مواطن الشعوب الاسلامية
في آسيا
١٤

شبه جزيرة العرب

-١-
عسير

محمود شاكر

المكتب الاسلامي

محمود شاكر
عسير
المكتب الإسلامي

إن مطبوعات المكتب الاسلامي تطلب مباشرة على عنوانيه
بيروت : ص.ب ٣٧٧١ - ١١ هاتف ٤٥٠٦٣٨ برقياً (اسلاميا)
دمشق : ص.ب ٨٠٠ هاتف ١١١٦٣٧ برقياً (اسلامي)
وليس للمكتب أي وكلاء أو متعهدين في بيروت أو أي بلد آخر

شبه جزيرة العرب

-١-

عسير

مواطن الشعوب الاسلامية
في آسيا

شبه جزيرة العرب

-١-

عسير

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ - ١٩٧٨ م .

الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبدالله ، وعلى آله وصحبه الأخيار ومن دعا بدعوته وسار على دربه إلى يوم الدين وبعد :

فقد تعطي الفكرة العامة عن منطقة صورة لها على غير حقيقتها وترسم لها صفةً بعيدةً عن واقعها . فالبقعة التي تعرف بفقرها يخيّل للمرء انها لاتنتج حباً ولا تنبت زرعاً ، والبلاد التي تغلب عليها سمة الفقر يظن الإنسان انه لا ماء فيها ولا شجر ، ولكن لو جال فيها لتغيّرت فكرته ولو درسها لتبدل ظنه وتبدد ما كان في مخيلته . وإن الأرض التي سمع بفناها ، أو رأى مشهداً من خضرتها ونعيمها يحسب أنه لابور فيها ولا سنوات عجاف تمرّ عليها ولو انتقل إليها لوجد فيها عكس ما اقتنع به وغير ماثبت في ذهنه .

كانت الفكرة الراسخة في ذهني أنّ منطقة حوران من بلاد الشام بقعة يسودها الجدب ويقلّ فيها الخير يظمأ اهلها إذا اشتد الحر ويتناول قاطنوها ماء الشرب من برك يجمعونها من مياه المطر تتأسّن مع الزمن ، وتتسخ بالاستعمال وتصبح رنقاً بعد صاف ، ومما زاد هذه الفكرة رسوخاً وجعلها أكثر ثبوتاً اني كنت

أنتقل من دمشق إلى درعا مسافة أكثر من مائة كيل فكنت لا أرى إلا منظراً واحداً رتيباً ، لايكاد يشذ ، أرضاً سوداء قاحلة لاخضرة فيها ولا ظل تعتورها بعض الآكام من صخور تبدو أكثر سواداً تزيد المنظر جدباً ، فتملّه العين وتميل إلى الإغفاء وهي التي تريد ان تتملى بالمناظر وتتعشق الجمال وفي خلق الله كل جمال وفي إبداعه كل بديع ، وقد ترى بعد فترة مطر أو نتيجة طل الصباح شويكات خضراً نبتت على جانبي الطريق فكانت ملء العين وهي من الشوك وهذا كل ما يتغيّر من رتابة المنظر ووحشية الدرب وتبقى انيسة الطريق مبددة سواد المشهد ، هذا إضافة إلى الحشائش والزرع في أعوام الخير والتي لاتستمر إلا مدة بسيطة حتى يلفحها الحر وتصبح هشيماً تذروه الرياح .

وزرنا مرة وادي الأشعري في حوران فتغيرت فكرتي عن المنطقة وتبددت صورتها الماثلة في ذهني سابقاً . إنه واد ينخفض فجاة بعمق مائة متر تقريباً ويتقعر في الأسفل قليلاً ، وتبدو طبقات الصخر على جانبيه متعاقبة لا يزيد سمك الطبقة الواحدة عن متر ، طبقة كلسية بيضاء تعقبها أخرى بازلتية سوداء ، ومن أعلى كل طبقة كلسية ينمو صف من القصب يحيط بالوادي كشريط أخضر ومن أعلى كل طبقة سوداء ينبجس رذاذ من الماء يلف الوادي بخط فضي وتتقاطر ذرات الماء على أوراق القصب التي أسفل منها فتتناثر وهكذا إلى أسفل الوادي حيث تتجمع هناك على شكل بحيرة صغيرة تتحرك مياهها ببطء لتصب في النهاية في نهر اليرموك . ويداعب النسيم أوراق القصب فيكشف بحركته عن بياض كانت قد سترته خضرة القصب . وتنعكس أشعة الشمس على قطرات الماء المتناثرة فتبدو وكأنها شهب متساقطة . وتسمع الطير تصدح خلف العيون ووراء عيدان القصب ولها غناء كما لحركة القصب الحان ولخرير المياه صوت .

ولم يكن بوسعي أن أصف جمال المنظر ، والتفت إلى أحد الأصدقاء بجانبي فاذا بعينيه تغرورقان بالدموع ، إذ جالت الصورة في نفسه ولم يستطع أن يصورها بقلمه فاستجاب الدمع ولبت العين وجادت بما تملك وما استطاع إلا أن يقول : لو رأيت هذا المنظر على قطعة أو لوحة لما صدقت أنه من بلادي ، ولو كان في بلدٍ يعوزها المنظر لجعلت منه دعاية لها ولكانت على جنباته أجمل الحدائق العامة والمنتزهات .

ويعتقد كثير من الذين يعيشون خارج الجزيرة العربية أن بقاعها كلها مقفرة وأن أراضيها كلها صحارى مجدبة تغطيها الرمال التي تذروها الرياح او تنكشف التربة عن صخور فتبقيها جرداء أو تبرز نتوءات صخرية بركانية تشكل حرات وعرة تزيد في صعوبة المواصلات وتعيق الانتقال وإن وجدت بين هذه التضاريس تجمعات بشرية فهي واحات صغيرة تقوم على ينابيع قليلة المياه تنبجس من قاع منخفض وهي التي أوجدت الواحة وقامت عليها بعض الأشجار المعدودة لاتتعدى المنخفض ولاتزيد عن مساحته .

ولو تجول الإنسان في ربوع الجزيرة لوجد واحات كثيرة تتجاوز المنخفضات وتمتد على طول الأودية رغم جفافها ، إذ تضرب أشجار النخيل بجذورها في الأعماق وتأخذ منها الرطوبة وتستطيع معها الحياة إضافة إلى تحملها الجفاف لطبيعة سعفها وعدم خروج أي جزء من الماء منها والاحتفاظ بقسم منه في ليفها ونستطيع أن نقول إن أشجار النخيل تشكل أحياناً غابات حقيقية في كثير من البقاع هذا مع العلم أن نهاية الأودية التي تفيض في الرمال فتتشبع التربة هناك بالماء وتكون قابلة لقيام الزراعة ، وقد تتفجر منها عيون لمثل طبقاتها فالاحساء وعيونها والخرج وبحيراته والافلاج وينابيعها كلها مجال لقيام البساتين ومراكز لأعمال الزراعة . هذا إضافة الى البقاع التي تقع عند أقدام المرتفعات

وتقوم فيها الزراعات والأراضي العالية التي تستفيد من كثرة الرطوبة والأودية التي تقوم بين الجبال وتتفجر فيها الينابيع ، وأراضي تهامة وواحات العارض وسدير والوشم والقصيم ، ثم هناك الإفادة من المياه الجوفية الكثيرة التي خلفتها الحقب التاريخية المطيرة التي أصبحت تستخرج بواسطة المحركات الآلية أو تتدفق مياهها من تلقاء ذاتها بسبب الضغط وميل الأرض هذه كلها بقاع كست أرض الجزيرة بالخضرة وأعطت المار عليها صورة غير التي كانت في ذهنه وهو بعيد عنها ونستطيع أن نقول : إن أرض الجزيرة العربية فعلاً بقاع صفراء ولكن فيها نقطاً وخطوطاً خضراً تتسع وتزداد مع الزمن لتصبح جنات .

وإذا كانت البلاد المعتدلة بحاجة إلى مناطق مرتفعة يصطاف فيها الناس ويقضون فصل الحر فيها يتمتعون بمناخها العذب ونسماتها المنعشة وارتفاعها المشرف وروعة مناظرها إذا كان هذا في البلاد المعتدلة كسويسره مصيف أوربا ولبنان مركز اصطياف الشرق فان البلاد الحارة هي أكثر حاجة الى المصايف وسكانها أكثر رغبة في قضاء فصل الصيف في المرتفعات المعتدلة المناخ والبقاع التي يملؤها سحر الطبيعة .

إن سكان الجزيرة العربية هم بأشد الحاجة الى المصايف في بلادهم يقضون فيها فصل الحر اللافح ويتخلصون من وقت الصيف اللاهب الذي يسوده الجفاف وتنقطع فيه اقل النسمات مما يجعل الهواء خانقاً محبوساً . وفي الجزيرة بقاع مرتفعة في الغرب يعتدل فيها المناخ وتمتلىء بالخضرة وتكثر فيها المناظر ، ومن أكثرها أهمية منطقة عسير التي ستكون عندما تصل إليها يد العناية والتحسين من أهم المصايف ، فارتفاعها يزيد عن ٣٠٠٠ م ومن يجتازها لايتصور نفسه أنه فوق بقعة في خطوط عرضها بل وفي الجزيرة العربية نفسها .

إن منطقة عسير لاينفك نسيمها المعتدل يهب ينعش النفس ويحمل النشاط ، وإذا كان فصل الشتاء يميل الى البرد إلا أن الرطوبة الموجودة في الجو تجعل البرد أخف وطئاً من برد الصحارى والمناطق الجافة الأخرى في الجزيرة ، وفي الوقت نفسه تجعل الخضرة دائمة تركن إليها النفس والمياه متوفرة فتأنس بها العين على حين تكون غيرها من البقاع قد أحرقت الشمس كل نبات وتركته حطاماً وأزالت كل أثر للماء .

إن الذي يذهب الى عسير تتغير الفكرة التي في نفسه والصورة التي في مشاعره عن الجزيرة العربية، إذ يرى الخضرة تحيط به من كل جهة ويرى الماء ينساب ببطء أمام ناظريه وتنفتح النفس وتشرق وتبتهج الحياة بتلك المناظر الخلابة فمن يرتقي ذروة جبل السودة ويتجه الى الغرب يرى أمامه شدة في الانحدار تساير السفوح الغربية كلها دون ذراها ولايمكن أن يصعد المرء عليها أو ينتقل من تهامة الى عسير إلا عن طريق عقبات معروفة ومناطق موصوفة حفرتها مياه الأودية التي مدت رؤوسها الى قرب الأودية الأخرى المنسابة نحو الشرق .... ورغم هذه العقبات فلا يجتازها الإنسان متسلقاً إلا على أربع .... ثم يرى بعد ذلك أودية خضراً اشتدت خضرتها حتى غدت قريبة من الزرقة وتجاري امتداد السيول وشعيبانها وقد تبدو في بعض الأحيان صفحات الماء من خلال هذه الخضرة تلمع كالفضة تحت أشعة الشمس وقت الأصيل إذا كشفتها نسمة ريح أو أظهرتها أراض مكشوفة ، وترى فوقها [illegible]قات بيضاء من رطوبة الجو حتى لتبدو سحباً بيضاء فوق البحر وتخرج من خلالها أشعة الشمس الذهبية على شكل مروحة ساحة عملها ملء الرؤية وتسقط الشمس ببطء تحت الأفق وكأنها تغيب دونك وأنت شاهد عليها وإذا كانت رطوبة الجو قليلة في الصباح بدت زرقة البحر واضحة المعالم .

وحيثما اجلت الطرف اعترضت ناظريك خضرة واشجار وملأت الجو بهجة وإشراقاً وإن كانت تتخللها مرتفعات تبدو عارية في المناطق الشديدة الانحدار وتبدو صخورها جرداء وسوادها داكناً وبخاصة إذا كان الوقت بعد منتصف النهار إذ تقع في ظل الذرا والمنحدرات فتزيدها عتمة . وتمتد الجبال في الشرق أمامك ويقلّ ارتفاعها مع بعدها وتقل خضرتها باستمرار مع نأيها حتى تغيب في الأفق ويتمد بصرك بعيداً بعيداً حتى يختفي المنظر في ذهنك برمال الربع الخالي ... وتبدو السماء أكثر زرقة والرؤية أكثر وضوحاً لقلة الرطوبة .

وتتوالى المرتفعات والأودية حتى تقسو على السالك الطرق وتتعب الثنيات المتنقل وتجعل وعورتها هذه فيها بقاعاً حصينة وحصوناً منيعة تعتو على الغازي وتمتنع على الطارق .

هذه مصايف الجزيرة العربية في المستقبل بعد أن تمسحها يد الإعمار وترعاها يد الإصلاح .

* * *

الباب الأول

الجغرافية

الفصل الأول

التضاريس

تمتد في غربي بلاد العرب سلسلة من الجبال ، من اليمن جنوباً إلى العقبة شمالاً ، وهذه السلسلة تخترقها اودية وشعاب كثيرة ، يشرّق بعضها وبعضها يغرّب . وليست هذه السلسلة على درجة واحدة من حيث الارتفاع فمنها الشامخ ومنها المنخفض ، ومنها مسطح القمة له فراغ واسعة فيها سكان ، ومنها ما هو مؤلل اصلع القمة خال من النبات ومن وسائل الحياة.

هذه السلسلة تسمى الحجاز ، ويعلل المتقدمون التسمية بأنها حجزت بين الغور — وهو منخفض متصل بالبحر — وبين نجد — وهو أعالي الجزيرة المرتفعة — ذات الارض السهلة التربة الكثيرة النبات عندما يجودها الغيث . ويطلق على هذه السلسلة أيضاً اسم الطود ، ولكنه يخص جنوبها من قرب مكة حتى اليمن ، وقد يطلق على الطرف الجنوبي الشرقي اسم الجبل الأسود وعلى القسم الشمالي حجاز المدينة . كما يسمى القسم الجنوبي أيضا باسم السراة وقد يقال فيه السروات لأن كل قسم فيه ينسب إلى قبيلة ويدعى سراة ، أما القسم الشمالي فقد يطلق عليه اسم الشراة وبخاصة الجبال الواقعة بين عسفان والمدينة .

والسراة : سراة الفرس أعلى متنه ، جمعه سروات ، وقال الأصمعي : الطود جبل مشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء يقال له السراة ، وإنما سمي بذلك لعلوه ، وسراة كل شيء ظهره يقال : سراة ثقيف ثم سراة فهم وعدوان ، ثم سراة الأزد . وقال قوم : الحجاز جبال تحجز بين تهامة ونجد ، يقال لأعلاها السراة، كما يقال لظهر الدابة السراة .

وعسير جزء من هذه السروات تمتد شمال بلاد اليمن حتى سراة الحجاز ، وقد اختلفت كلمة عسير تاريخياً ومكانياً ، فإذا كان قديماً قد اطلق اسم جرَش على المنطقة التي تسمى اليوم عسير فإنها قد حملت فيما بعد اسم قبائل متحالفة اقامت في المنطقة وعرفت باسم عسير . وقد اصبح من المعروف عند الكثير ممن كتب عن بلاد عسير أن اسمها مشتق من العسر لصعوبة مسالكها وكثرة تعاريجها لأن هذا الاقليم يضم جبالاً شامخة الذرا مترامية الأطراف تتخللها اودية وشعاب وعرة المسالك ملتوية المآتي . وإذا كان هذا الاسم فيما مضى يشمل منطقة صغيرة نسبياً حيث منازل تلك القبائل المتحالفة إلا انه توسع اليوم وشمل البقاع التي وصل إليها حكام تلك البلاد أثناء توسعهم وامتداد نفوذهم.

يقول أمين الريحاني في كتابه « نجد وملحقاته » :

(في شبه الجزيرة جبال غير أجا وسلمى ، وغير جبال اليمن وعمان تستحق أن تنعت بالزمردية . هناك جبال عسير

وقد كساها الاخضرار ، فضخمت فيها الأشجار ، وغزرت المياه . وتنوعت الثمار • هي جبال عسير الغنية بكنوزها الدفينة ، ناهيك هوائها ، وهو في اعتداله مثل هواء الطائف ، وبمناظرها وهي روع من مناظر اليمن ، وهي أحصن الجبال للدفاع ، ورجالها من صفوة العرب في البأس والبسالة) .

وعسير اليوم هي المقاطعة الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية تمتد على مساحة واسعة وتضم اجزاء من تهامة واقساماً من جبال السراة وسفوحها الشرقية .

١ – **تهامة** : وهي منطقة السهول الواقعة على طول ساحل البحر الأحمر حتى السروات وتضيق هذه المنطقة في الشمال حتى تكاد تنعدم تماماً وتصبح الجبال محاذية لساحل البحر الأحمر مباشرة، ولذا فإن منطقة تهامة في الحقيقة تبدأ من جنوب جدة • ويزداد اتساع منطقة تهامة كلما اتجهنا جنوباً نحو جيزان وتصبح تهامة عسير أكثر اتساعاً وتتواجد فيها أراضٍ زراعية كبيرة على جوانب اوديتها إذ تمتاز بوجود طبقة طينية على سطحها في الجزء القريب جداً من الجبال وكذلك تمتاز بتواجد الطمى في الجزء الذي يليه قبل منطقة الساحل والتي تكون تربتها رملية. ونظراً لكون أراضي منطقة تهامة رسوبية منقولة بواسطة مياه الأودية الآتية من الجبل فإن تربتها تتدرج بشكل واضح من المرتفعات إلى ساحل البحر بحيث تتميز بالآتي :

أ ـ تتواجد الاراضي الحجرية بالقرب من الجبال .

ب ـ تتواجد اراضي الطمي على جوانب مجاري الأودية وتعرف باسم « الحزون » وفيهابعض الحرارة والغياض وهي غنية بالمراعي وفيها بعض الجبال من غير السروات .

حـ ـ تتواجد الاراضي الرملية كلما اقتربنا من الساحل حيث توجد سبخات ساحلية يصل عرضها احياناً إلى ٤ كيلو مترات ، وفي القسم الشمالي منها حرار بين ميناءي الشقيق والقحمة .

د ـ تتواجد الأراضي الملحية بجوار الشواطىء .

وشواطىء تهامة قليلة التضاريس غير صالحة لرسو السفن وبخاصة الكبيرة منها لكثرة الجزر الصغيرة التي تكثر في البحر الأحمر ومنها المرجانية . وتمتد شواطىء تهامة عسير بطول اكثر من ٣٠٠ كيل . ويتبعها ما يقرب من مائة جزيرة غير مسكونة ما عدا اكبر تلك الجزر ، وأشهرها جزيرة فرسان ، وتوجد بقرب تلك الجزر مغاصات اللؤلؤ .

ولعله من المفيد ان نتحدث شيئاً عن جزيرة فرسان التي تبعد عن جيزان مسافة ستين ميلاً بحرياً ، وهي جزيرة صخرية يصل طولها إلى مائة كيلو متر ،وعرضها إلى الثلاثين . ويزيد عدد سكانها على خمسة آلاف نسمة . وتشتمل على بلدة فرسان قاعدة الجزيرة ، ويتبعها عدد من القرى منها : قرية المحرّق وهي واحة فيها أشجار النخيل ويزيد عددها على ستمائة والف نخلة .

وقرية القصار وهي واحة موفورة المياه العذبة ، ويمنح ماؤها من آبار صخرية قريبة الغور قليلة العمق ، وتعتبر مكاناً لنزهة أهل فرسان ، وفيها من أشجار النخيل ما يزيد على تسعة الاف نخلة .

ويزيد عدد قراها على العشر وعدد موانئها على السنة وأشهر الموانىء مرسي تَبْنْه وموقعه في الجنوب الشرقي من جزيرة فرسان .

ويتبع جزيرة فرسان الجزر الآتية :

جزيرة السقيد : وتقدر مساحتها بنصف مساحة جزيرة فرسان ، وتقع إلى الشمال الشرقي منها ، بينهما شريط مائي قليل العمق تخوضه الجمال ولا يزيد عرضه على كيلو متر واحد . وغالب تربتها رملية ، وتتوفر فيها المياه العذبة ، وتحمل قاعدتها الاسم نفسه « السقيد » وفيها من النخيل ما يقرب من اثنتي عشرة الف نخلة .

جزيرة زفاف : ويبدو انها تحوي على النفط في طبقات أرضها .

جزيرة قماح : وفيها قرية آهلة بالسكان فيها عدد من أشجار النخيل .

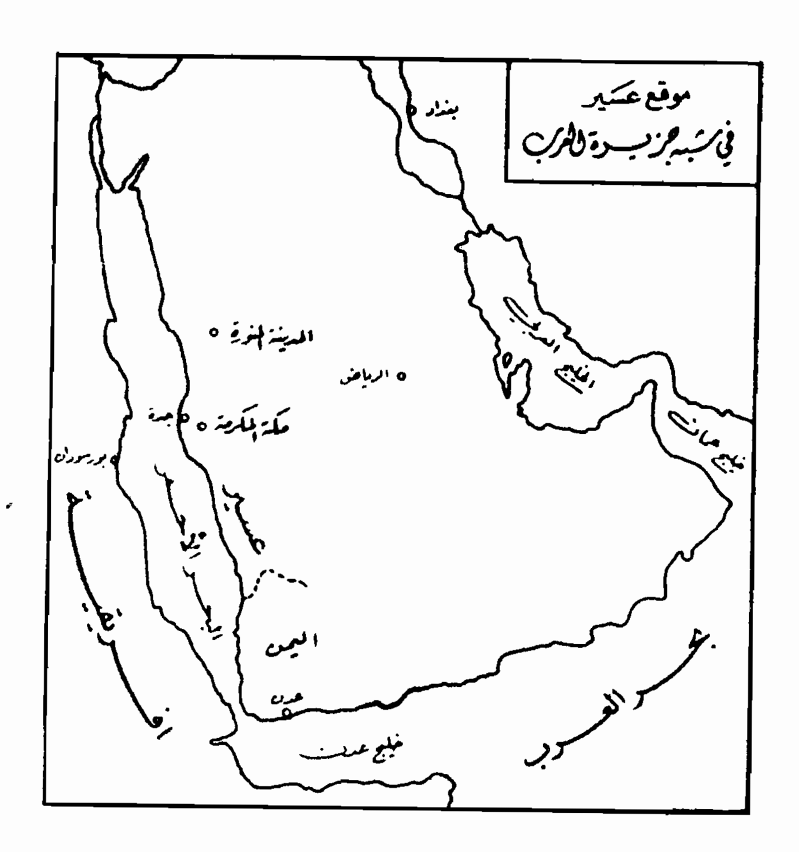
وسكان جزر فرسان من تغلب وكانوا قد تنصروا في القديم .

ولهم كنائس في الجزر ، ولكنها قد خرجت جميعها بزوال الدين النصراني منها ، وهم اهل بأس وشجاعة . ويحملون التجارة إلى بلاد الحبشة في العام مرة واحدة . ويدّعي بعضهم ان سكان فرسان ينتسبون إلى حمير . وفي الجزر جبل يقال له جبل الكنيسة يقال إنه كان فيه آثار بناء قديم زال منذ عهد قريب .

٢ ـ **السراة** : وهي جبال مرتفعة يزيد علوها على ٣٠٠٠ م ، ويصل في جبل السودة شمال مدينة ابها إلى ٢١٣٠ م وهي جزء من الدرع العربي ذي الصخور البلورية والتي لاتحوي على مياه جوفية مختزنة فيها لأنها غير منفذة لايتسرب الماء إليها ، ولذلك تقل فيها الينابيع ، وإن وجد بعضها فانما بسبب تفتت بعض صخور الغرانيت التي حوت بعض الماء أو في رواسب الأودية والمنخفضات وكلاهما قليل . وهذه الجبال جزء من السروات التي كانت وجبال إفريقية على الشاطىء الثاني للبحر الأحمر والتي تمتد من مصر وحتى الصومال كتلة واحدة اصابتها عدة انكسارات ارتفعت نتيجتها الجبال على جانبي الغور الذي ملأته المياه وعرف باسم البحر الاحمر ، وكانت المرتفعات على شكل مدرجات لتوالي الانكسارات التي خضعت لها المنطقة ولذا فالجبال تميل بشدة نحو البحر في الغرب بينما تنحدر ببطء نحو الهضبة الداخلية في الشرق ، ويكون انحدارها العام نحو الشمال المشرقي .

وتعتبر هذه الجبال موزعة للمياه بين تهامة في الغرب واودية اخرى تسير نحو الشمال الشرقي او إلى الشرق ، ولا نجد في المنطقة الأودية الطولية التي نراها في الحجاز لعدم وجود انكسارات في هذا الاتجاه تجري فيها الأودية .

* * *



المنـــاخ

المنـاخ : يختلف المناخ بين تهامةوالسراة نتيجةالاختلاف في الارتفاع إذ تكون الحرارة مرتفعة في منطقة السهول صيفـاً ويبلغ معدلها ٤٤ درجة مئوية ، وتكون هذه الحرارة مقرونـة بالرطوبة مما يجعل تحملها صعباً ويشعر المرء بكثير من الضيق إذ يتصبب العرق منه باستمرار ، وكذا تتراوح نسبة الرطوبة بين ٨٥ ــ ٩٠٪ ، أما في الشتاء فلا تنخفض درجة الحرارة عن ١٧ درجة مئوية • وتكون الرطوبة بين ٣٠ ــ ٥٠٪ •

أما المناطق الجبلية فالحرارة تكون معتدلة فلا تزيد عن٢٨ درجة مئوية في الصيف ، وتنخفض إلى ٣ درجات في الشتاء ومع ذلك فلا يشعر الإنسان بالبرد الشديد رغم الارتفاع الكبير إلا أن الرطوبة تجعل البرد غير قارس كما هو الحال في المنـاطق الصحراوية التي تمتد إلى الشرق منها •

وتهب على عسير في الصيف الرياح الموسمية سواء الغربية منها أم الجنوبية الغربية فالأولى تصل إلى المنطقـة من المحيط الأطلسي وتسبب سقوط الأمطار فوق هضبة الحبشة وعندمـا

تجتازها تمر فوق مناطق منخفضة ثم فوق البحر الأحمر فتحمل معها بعض الرطوبة فعندما تصطدم بجبال عسير تسبب هطول المطر بينما لاتسبب تهطالاً فوق تهامة لحرارة المنطقة فتقل معها الرطوبة النسبية ولكنها تسبب العواصف الرملية التي تعرف هناك باسم الغُبرة وغالباً ما تكون في نهاية الصيف وبعد الزوال حتى غروب الشمس • أما الرياح الجنوبية الغربية فتأتي من المحيط الهندي وتكون في أوائل الصيف وتثير البحر الأحمر وتهيجه فترتفع الأمواج فيه ، ولاتسقط إلا أمطاراً قليلة لأنها تقع في ظل القرن الافريقي كما أن جبال اليمن تكون قد أفقدتها أكثر حمولتها ، ولاينال تهامة منها شيء •

كما قد تصل آثار البحر الأبيض المتوسط إلى المنطقة وتسبب سقوط بعض الأمطار الشتوية • أما البحر الأحمر فأثره ضعيف جداً لضيقه وانخفاضه وانحصاره بين المرتفعات ، وينحصر أثره في زيادة رطوبة المنطقة وشحن بعض الرياح المارة فوقه ببعضها •

نجد أن الأمطار تقل في تهامة ويتراوح معدلها بين ٥٠ — ٢٥٠مم سنوياً وتزداد في المرتفعات ويتراوح متوسطها بين ٢٥٠ — ٥٠٠ مم في العام ثم تعود إلى التناقص في الشرق إذ ما نصل إلى نهاية منطقة عسير إلا وتكون الأمطار قد نقصت عن ٥٠ مم في العام ونكون قد وصلنا إلى الصحراء •

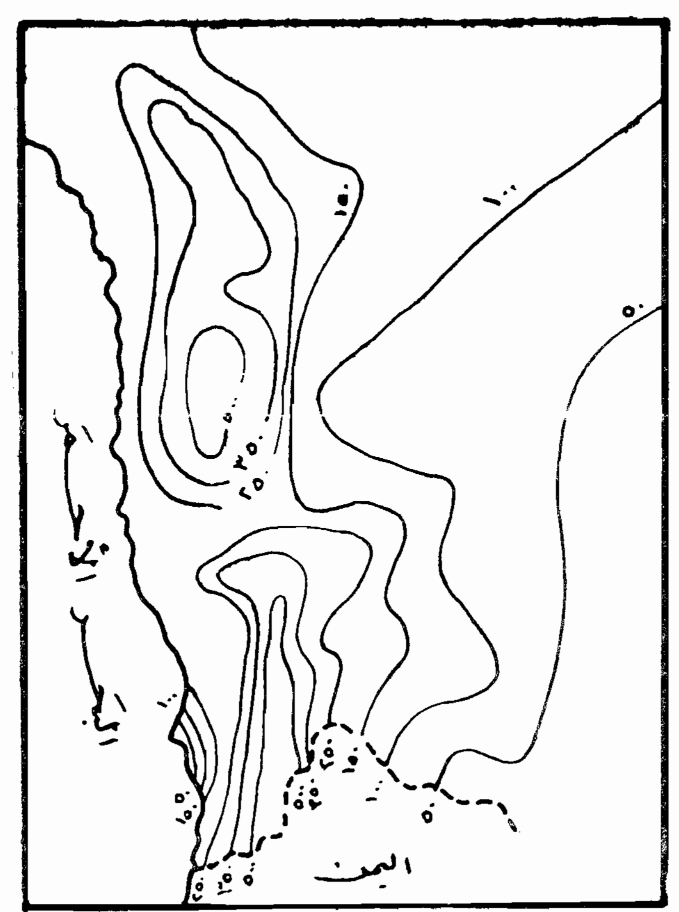
ولكن هذه الأمطار تتوزع على أشهر السنة كافة مما يجعل

الخضرة دائمة في المنطقة وإن كانت أكثر الأمطار تهطل في فصل الصيف بسبب الرياح الموسمية التي تكلمنا عنها ففي مدينة أبها يكون معدل الأمطار خلال أشهر السنة على الشكل التالي :

كانون الثاني	٣٠ مم •	آب	٨٠ مم •
شباط	٥٠ مم •	ايلول	٦٠ مم •
آذار	٣٠ مم •	تشرين أول	٦٠ مم •
نيسان	٥٠ مم •	تشرين ثاني	٨٠ مم •
أيار	٤٠ مم •	كانون أول	٤٠ مم •
حزيران	٦٠ مم •		
تموز	١٠٠ مم •		

ولما كانت أكثر الأمطار تهطل في فصل الصيف لذا نستطيع أن نقول إن موسم الأودية الرئيسي إنما هو نهاية الصيف حيث تنعقد الغيوم وتهطل الأمطار وتجري السيول •

وإن قسماً من مياه السيول يذهب بالتبخر لشدة الحرارة وبخاصة في تهامة بينما لايضيع إلا القليل منها في التسرب إلى باطن الأرض بسبب صخور المنطقة الصلدة والتي لاتسمح للماء بالتسرب داخلها إذ أنها بلورية وغير منفذة •



مصور يوضح معدل الأمطار السنوي في منطقة عسير

الأودية والمياه

الأودية : نستطيع أن نقسم الأودية في عسير إلى قسمين:

١ ـ أودية تهامة : وهي أودية قصيرة المجرى تنحدر بسرعة نحو الغرب حيث تنتهي في البحر، وتتلقى المياه من الامطار المتساقطة على جبال السراة حيث تتجمع في شعاب تجتمع مياهها في وادٍ كبير ، وقد تختلط مياه الأودية المجاورة أثناء الفيضان وبخاصة في المنطقة المنخفضة التي تقع قريباً من شاطىء البحر • ويزيد عدد هذه الأودية على الثلاثين واديا ولنذكر أهمها من الجنوب إلى الشمال •

وادي حرض : وادٍ قصير ، يتلقى المياه من السفوح الغربية لسراة اليمن ، ويسمى باسم بلدة حرض اليمنية التي تقع على مجراه الأعلى • وقد قال ياقوت الحموي : حرض ، بفتحتين ؛ وهو في اللغة الذي أذابه الحزن : وهو بلد في أوائل اليمن من جهة مكة ، نزله حرض بن خولان بن عمرو بن مالك بن حمير فسمي به ، وهو اليوم بين خولان وهمدان[١] • وقال الهمداني:

(١) ــ معجم البلدان •

حرض : وهو وسط من الأودية وله فرعان : فالجنوبي منهما مـن الشقيقة وما اكتنف المحجة ومنها إلى حرض من بلد عـُذَر وبلد حجور إلى المباح فالمرير ، والشمالي منهما نقيل مطرق وما اكتنف المسيل منه من بلد غـُذَر وبلد بني شهاب بن العاقل إلـى معـين الحنش حتى يلتقي بالفرع الثاني بالسرين فيقحمان كـلاهمـا اللصاب (١) وهو أعلى وادي حرض ويمده الشعاب يمنةً من بلد خولان ويسرة من بلد همدان ، ويصب إلى السقيفتين ، ويسقي ما أخذ هذه البلاد إلى البحر (٢) .

وادي تعشر : ويتلقى المياه من سفوح جبل أبو منار الغربيه وتأتيه ثمانية أودية كلها من ميسرته وهي : امغاوية ثم الملح الذي تجتمع إليه بقية الشعا بـوهي : بومغيرة ـ بوقعبول ـ بوحسين ـ مشطوب ـ بومنورة ـ بو معجانة . ويعرف في أعـلاه باسم وادي وعلان . أما عن اليمين فيتلقى ميـاه الأودية والشعـاب المنسابة من جبال الرميح وقرن قبول وجبل جحفان وأهم الأودية هي : القصب ـ أفحوص ـ لية ـ بو ثميرة ـ مغياله ـ دياب ـ بمعرج ـ امقماري ـ بومنورة ـ بوحشيش . ويقدر مايحمل هذا الوادي الكبير ـ وادي تعشر ـ بـ ٤٥ ألف متر مكعب من المـاء في العـام .

(١) اللصاب : الخانق .

(٢) صفة الجزيرة العربية ص ١٢٥ منشورات دار اليمامة .

وتقع على أطراف هذا الوادي عـدد من القـرى مثـل : حسامتة ، اللقية على وادي لية ، وقفل على وادي مغيالة ، والركوبة قريباً من التقاء وادي لية ومغالية ، والخضراء جنوبي صامتـة .

مصور يوضح أودية جنوبي تهامة عسير

وادي خلب : ويمد رأسه حتى بلاد اليمن ، ويكون طويل المجرى ، وتأتي روافده من سراة خولان ، وأشهر روافده دهوان ـ شرانة ـ مجاره ـ ذهبان • ويقدر ما يحمله من الماء سنوياً كسابقه وادي تعشر وهو ٤٥ ألف متر مكعب ويأتي مثلهـا من روافده • ويتسع مجراه عند مصبه كثيراً حتى تضيع مياهه في رماله • وتقع على واديه القرى التالية : أم شطيفية وجحا وسوق الأحد وأم عرج وكوبا • ويصب جنوبي جبل المقعد •

وادي الحمس : وتجتمع إليه مياه أودية الفجا والربـاح والكور والمعاين والأملح ومقاب ، وهو يعادل الأودية السابقة من حيث حمولته ، وأكثر الأودية تنحدر من جبل القمر الذي يبلغ ارتفاعه ٧٠٥ م وجبل الطرف الذي يعلو ٥٤١ م •

ومن القرى الواقعة في حوضه : المضاياجنوبي شرقيجازان وقاعدة بلاد الحكامية • والحوراني على العدوة اليمنى من وادي الخمس وهي من قرى المسارحة •

وادي جازان : ومآتيه من غيلان جبل بني رازح بن غيلان وأشراف رغافة بلد عامر في أرض بني جماعة ، ومساقط عنم • وتقترب رؤوس أوديته العليا من شعاب وادي خلب العليا ، ومن الأودية التي تدفع مياهها نحو : أبو الجرع ومسيال وعوجبـة ومشرف وقصبة •

ومن قراه سلامة وعقدة والقعارية والمجصص والواصلي •

وقد أقيم عليه سد لحجز المياه من أجل الري • وإن لـم يكن هو أكبر وادٍ في تهامة إلا أنه من الأودية التي يمكن الإفادة منها كما أنه يعادل بقية الأودية الكبيرة ويصرف ٤٥ ألف م^3 من الماء كل عـام •

وادي ضمد : ويتلقى من غيلان جبل بني رازح بين غيلان وأشراف رغافة كوادي جازان وتأتيه مياه وادي جورا وكلاهما تنحدر إليهما سيول جبل فيفا وجبال بني مالك وجبال الحشر •

ومن القرى التي تقع في حوضه الواسط وتقع على عدوته الجنوبيـة •

وادي صبيا : وتأتيه مياه وادي قصي من جهة اليسار كما يرفده من جهـة اليمين وادي نخلان الـذي يجري بين العكوة الشاميةمن جهة اليمينوالعكوة اليمانيةمن جهةاليسار والعكوتان جبـلان •

ومن المدن الهامة صبيا التي يحمل الوادي اسمها ، وظبية التي تقع إلى الجنوب منها •

وادي بيش : وهو أكبر أودية تهامة عسير ، ويشكل نصف دائرة إذ تبدأ شعابه الأولى من جبال الحشر وجبال بني مـالك وجبال السراة كوادي الدفاع ووادي الضبعة ووادي القاعـة وتتجه نحو الشمال الغربي ثم يأتيه وادي العوراء ووادي راكان

ويتجه عندها وادي بيش نحو الجنوب الغربي فتأتيه الروافد عن يسراه وادي عكاش وقري وغوان وشهدان ووساع ويتجه نحو البحر ليصب شمال وادي صبيا **وعلى مقربة منه** .

ويقدر مايصرفه من المياه خلال العام ١٥٥ ألف متر مكعب . وتكثر القرى في مجراه الأسفل أبو الطيور وقلبية والجارية والقشة وبيش . ويقول ياقوت الحموي : بيش : بالشين المعجمة : من مخاليف اليمن ، فيه عدة معادن ، وهو وادٍ فيه مدينة يقال لها أبو تراب . سميت بذلك لكثرة الرياح والسوافي فيها ، وهي ملك للشرفاء بني سليمان الحسنيين .

وادي السر : وهو واد صغير .

وادي بيض : ويرفده من جهة اليسار وادي جوان ثم وادي سمرة .

وادي رملان : ويوازي وادي بيض .

وادي عتود[1] : وهو من الأودية الكبيرة مثل جازان وتعشر . وتأتي مياهه من السراة إذ يرفده من جهة اليمين وادي

(1) يوجد واديان يحملان هذا الاسم احدهما يتجه نحو الشمال الشرقي حيث يرفد وادي بيشة ، والآخر هذا الذي نتكلم عنه ويجري في تهامة ويصب في البحر الاحمر ، ولا يفصل بين الواديين سوى منطقة صغيرة تقع فيها قرى العضاضة وآل يزيد وتعتبر منطقة تقسيم المياه بين السيلين .

ضلع الذي يمتد برأسه حتى قرب مدينة أبها ثم تأتيه مياه وادي مرابا المجتمعة من أودية الفينة وحرملة ومرابا وكلها أودية تقترب في مجاريها العليا من وادي خيبي الذي هو أصل وادي أبها حتى لايفصل بعضها عن بعض سوى العقبات . وتقع عليه بلدة الدرب .

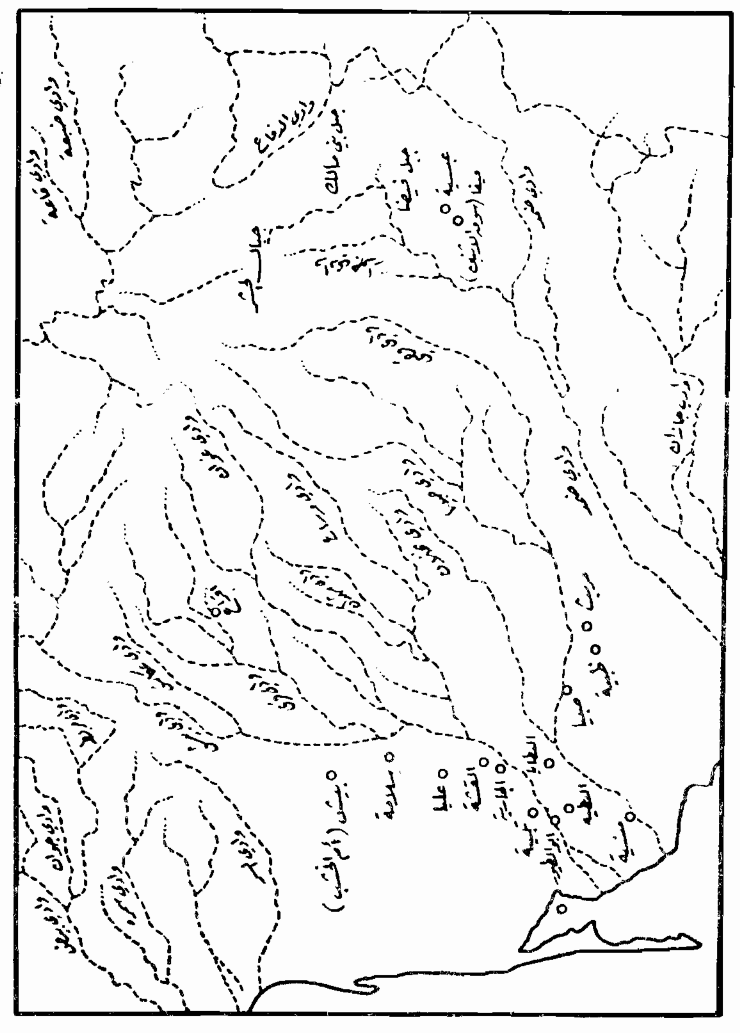
وادي ريم : وهو طويل المجرى أيضاً تأتي مياهه من السراة ومن غربي السودة وقريباً من مجرى وادي حلي الأعلى .

وادي عرمرم : وهو واد صغير .

وادي حلي : وتأتي مياهه من جبال السراة من السفوح العربية لجبل السودة ، ويتجه نحو الشمال الغربي فيرفده وادي قض الذي يتغذى أيضاً من جبل السودة ، ثم يرفده وادي تيّه من جهة اليمين أيضاً . وتقع في واديه رجال ألمع الشام ومحايل البحر وحلي .

ب – أودية السراة : وهي أودية أكثر طولاً وتتجه نحو الشمال الشرقي حسب الميل العام للمنطقة ويتجه بعضها نحو الشرق ، وجميعها تغيض مياهها في الرمال ، وأهمها :

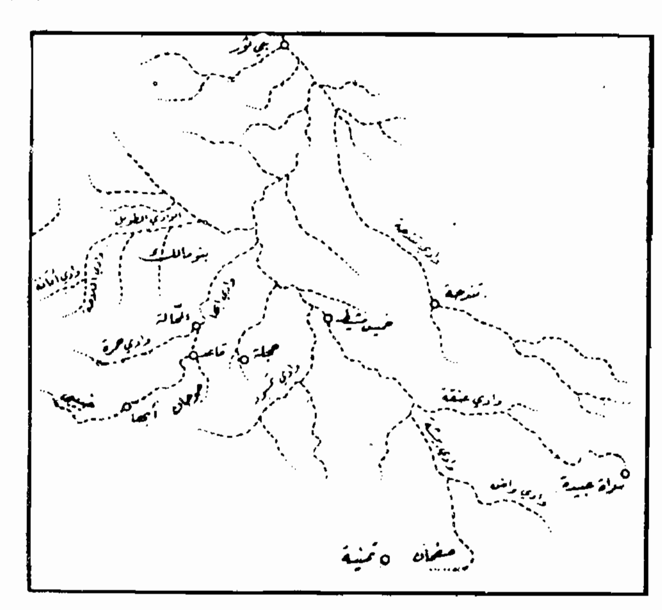
وادي بيشة : وهو أهم الأودية ، وأكثرها طولاً ، وأغناها روافد ، يبدأ من شرق تمنية ويعرف هناك باسم صفحان ، ويكون اتجاهه نحو الشرق ثم ينحرف نحو الشمال ويعرف باسم وادي المربع ويأتيه من اليمين وادي واض ويعرف بعدها باسم بيشة



مصور يوضح أودية تهامة عسير الوسطى

ويستمر في اتجاهه نحو الشمال حيث يرفده من جهة اليمين أيضاً وادي عنقة الذي يأتي من سراة عبيدة ويكون مجراه هذا في بلاد قحطان ، ويدخل بعدها بلاد شهران حيث تقوم عليه مدينة خميس مشيط وبعدها يرفده من جهة اليسار وادي عتود الذي تجتمع إليه المياه المتساقطة على المنطقة الواقعة بين أبها وبلاد قحطان •
ثم تأتيه مياه نهر حجلة عن اليسار أيضاً كما تأتيه سيول أخرى من اليمين ويتابع مجراه نحو الشمال حيث يرفده وادي أبها وهو وادٍ طويل يأتي من السودة ويعرف هناك باسم خبيبي وعندما يصل مدينة أبها يعرف باسمها ويرفـده وادي جوحان من اليمين عند قاعد كما يأتيه وادي حمرة من اليسار ويرفـده عند بلدة المخّالة ويتابع مجراه نحو الشمال حيث يجتمع بوادي بيشـة الذي يحتفظ الوادي باسمه ثم تأتيه مياه الوادي الطويل الذي تجتمع فيه مياه وادي أتانة ووادي ملاحة ويتلقيان المياه من جبل السودة وجبل تهلل ، وكذا أودية بني مالك التي تأخذ الميـاه من جبل تهلك وكذا وادي عبل ، كما يتلقى وادي بيشة سيولاً عديدة عن اليمين وعن الشمال • ومن أشهر الأودية التي تأتيه عن اليمين وادي تنوحة الذي يمد رأسه نحو الجنوب حتى قريباً من سراة عبيدة وتأتيه سيول كثيرة ثم يرفد وادي بيشة جنوب شرقي بني ثور ، كما تصل وادي بيشـة سيول من اليسار •
ويتابع مجراه بعد بلدة بني ثور وهنا تأتيه أكثر الروافد من جهة اليسار بسبب ميل المنطقة العام إذ أن السيول التي تجري على

يمناه تتجه نحو وادي تثليث ، فتصب فيه ميـاه بـلاد بالأسمر وبالأحمر وبالقرن ، وأهمها : وادي تَرْج الذي يجمع مياه عدة سيول ويصب في وادي بيشة عند الحيفة • ووادي هرجاب وهو من الأودية العظيمة في بلاد شهران ، ويرفد وادي بيشـة قرب الحيفة أيضاً • واعتباراً من واعر قبل الحيفة بقليل يدخـل بيشة



مصور مجرى وادي بيشة الأعلى

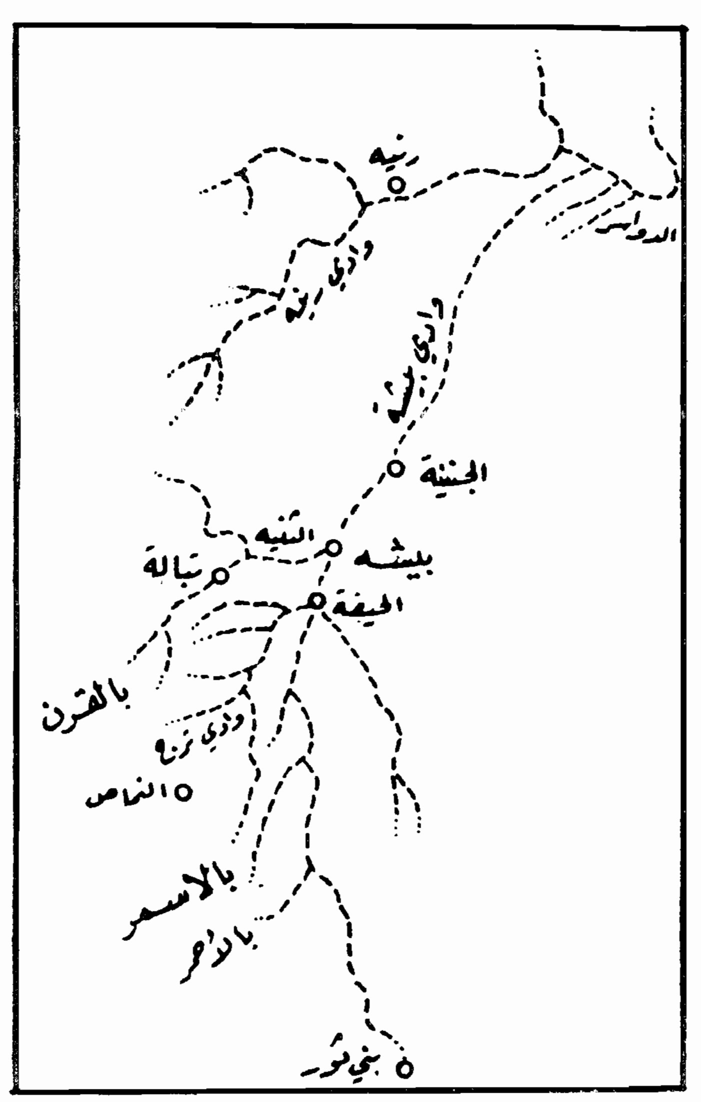
مجراه الأسفل وعندما تقوم مزارع النخيل في مجراه بينما من قبل يكون مرتفعاً ولايصلح لزراعـة النخيل وإنما لزراعـة القمـح ومجراه الأعلى يعرف بالشعف بينما الأسفل يسمى بالسعف لقيام

زراعة النخيل • ثم يرفده عند الصبحي وادي تبالة الذي يتلقـى المياه من بلاد غامد ويعرف في مجراه الأسفل باسم الثنية • وبعـد ذلك يمر الوادي من بيشة ويتابع اتجاهـه نحو الشمال الشرقي حيث يلتقي مع وادي رنيه ويغيضان معـاً في الرمـال باتجـاه وادي الدواسر •

يبلغ طول وادي بيشة ما يزيد على ٣٥٠ كم من بدايته وحتى بعد الجنينة بقليل ولكن يستمر بعدها ما يقرب من ١٠٠ كـم في الرمـال •

وادي تثليث : وهو يصفي الأمطار التي تتجـه إلى جهـة الشرق من بلاد بطون قبيلة قحطان ، كما أنه منتهى عدة أوديـة مهمـة تصفي قسماً مـن بـلاد قبيلـة شهران ، ويتجـه نحو الشمال الشرقي ، وينتهي عند الرمال المعروفة باسم المختمية بقرب وادي الدواسر ، وإذا جرت فيضانات كثيرة يمكن أن يتجـاوز السد الرملي ويصل إلى وادي الدواسر كما حدث عـام ١٣٣٦ هـ وقد أغرق آنذاك عدة قرى •

يمتد وادي حمضة نحو الجنوب أكثر من غيره من الأودية التي تشكل وادي تثليث ويرفده من اليسار وادي العريـن ثـم وادي طرب ثم وادي المسيرق الذي يتألف من ثلاثة أودية كبـيرة وهي الشيق والسليل وخيبر وتلتقي في حفاير الثفن مـع وادي تثليث ، ثم يرفده وادي القاعة • ومجرى الوادي تملكـه قحطان ما عدا وادي المسيرق والقاعة فإنهما ملك شهران •



مصور وادي بيشـة
في مجراه الأوسط والأسفل

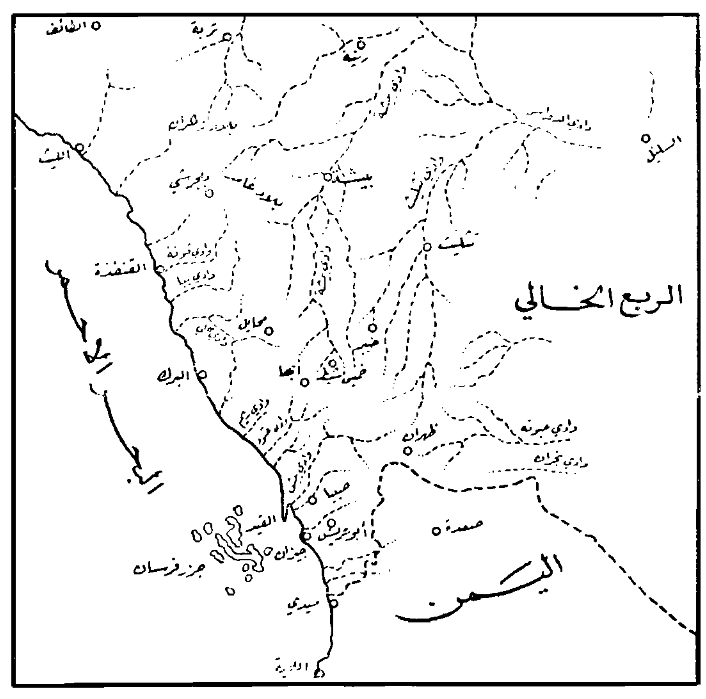
أما الأودية التي تتجه من السراة إلـى الشرق فهي : وادي حبونه ووادي نجران •

المياه المعدنية : توجـد في تهامـة بعض الميـاه المعدنيـة بسبب أن المنطقة انكسارية ، والمياه المعدنية ليست سوى ميـاه دخلت إلى باطن الأرض خلال صدوع وارتفعت حرارتهـا كمـا حللت بعض المعادن الموجودة في التربة وبخاصة المواد الكبريتيـة لسهولة انحلالها ثم انبثقت هذه المياه مرة أخرى بسبب ضغـط الأبخرة الناتجة عن الحرارة الأرضية •وتندفع البراكين في المناطق الانكسارية ، وتتكون في شقوقها الميـاه المعدنية كمـا يكون في الانكسارات ، وإن كانت الانكسارات سبب وجود البراكين إلا أن المياه المعدنية قد تكون في مناطق انكسارية كما قد تكون في مناطق بركانية ومن أشهر هذه العيون في تهامة عسير :

العين الحارة : جنوب شرقي جيزان وعلى مسافة ٥٠ كم منها بين الأودية العليا التي تكون وادي خلب ، وتظهر أبخرتها من بعيد على شكل دخان أبيض وتنبجس بين صخور بركانية ، وتنساب مياهها لتصب في وادي خلب • ومياهها حارة لدرجة لايتحملهـا جسم الإنسان •

الوغرة : وتقع شرقي العين الحارة بمسافـة خمسة كيـلو مترات ومياهها حارة أيضاً كسابقتها •

البزة : وتقع شرقي جيزان بمسافة ٥٣ كم، وقريبة من مجرى وادي جازان ، ومياهها حارة وتنساب بين بساتين النخيل لتصب في الوادي •



مصور يوضح أودية عسير

البزة : على اسم سابقتها وتقع شمال شرقي جيـزان على مسافة ٥٠ كم أيضاً وتصب مياهها القليلة الحرارة في شهـدان الذي يرفد وادي بيش .

وغرة بني مالك : بين جبال فيفا وجبال بني مالك قريباً من الحدود اليمنية ، وترفد مياهها وادي ضمد ، ويقصدها الناس سواء من اليمن أم من سكان تهامة ، وقد بني عليها حوضـان أحدهما للرجال والآخر للنساء ، وهي تبعد عن جيزان مسافـة ١٦٠ كم .

النبات والحيوان

النبات الطبيعي : يقول الهمداني عـن نبات عسير « بين روض وشجر عرى [١] وعضاه مطعمة وعضاه شوكة وحشائش وزهور وأنوار ، فأما الحشائش ففيها أكثر حشائش العقّـار ولكن أهلها البدوية لايعرفونها وإنما يعرفها الحكيم مـن الناس من أهل صناعة الطب ، وكل جنس من هذه الضروب لا تحصـر فنونه غير أن العرب قد تميل إلى أسماء الرجال وإلى أسماء العضاه الشائكة والمرتعية لما فيها من الخشونة والحدة والصلابة والصبر على قلة المياه وعدم الري فمن أسمائهم طلحة وسمرة وعوسجـة وعرفطة وقتادة وعلقمة وحدقة وشبرمة وطرفة و ... » [٢]

« ولقد كان سكان السراة يعتمدون على أشجـار بـلادهم ونباتاتها في أكثر ما يحتاجون إليه في شؤون حياتهم ، فمن بعض ثمار الأشجار يأكلون ، ومن تلك الأشجار يتخذون أسلحتهـم كالقسي والنبال وأواني أكلهم وشربهم ورحالهم وسقوف بيوتهم ، ومن ورقها وقشور جذوعها ما يصلحون قربهم وأنحاءهم ، ومـن

(١) شجر عرى : ينبت من تلقاء ذاته وهو النبات الطبيعي .
(٢) صفة الجزيرة العربية ص ٢٧٦ .

نباتاتها ما يتخذون منه أدوية لمرضاهم أو سماً لقتل أعدائهم من الوحوش الكاسرة والطيور الجارحة .... (1) » .

كما ويستفاد من النباتات لحفظ التربة من الانجراف عند سقوط الأمطار . والنباتات كثيرة منها ما هو أشجار عالية ومنها ما هو حشائش فصلية ، منها ما ينبت في الجبال والأماكن المرتفعة ومنها ما ينمو في الأودية والبقاع المنخفضة ، وأهمها :

الطلح : من أنواع الأكاسيا ، ويوجد في المناطق المنخفضة وينمو حتى ارتفاع ١٧٠٠ م كما يوجد في الأودية ، ويقطع في فصل الخريف وهو قوي فاذا أتى عليه الشتاء فرغ لبه وانتخر ولم يعد صالحا لما هو له من سقوف البيوت وغيرها .

العرعر : وأوراقه دائمة الخضرة ، وله ثمر صغير كالحمص ولكن لايستفاد منه ، وانما يستفاد من جذوعه كأخشاب قوية ، وهو نبات كبير ، وهو كثير بالسراة .

الزيتون البري : ويسمونه العتم وهو يكثر في أبها وبلاد (بالقرن) .

الإسحل : وهو من النباتات الصحراوية ، ويشبه الأثل ، وينمو في السهول .

(1) سراة غامد وزهران لحمد الجاسر ص ٣٧٢ عن التكملة للصاغاني .

الإلب : وهي شجرة شائكة كأنها الأترج ومنابتها ذرا الجبال .

الشعب : شجرة ظلها كثيف ، لاثمر لها ، وتنبت في المرتفعات .

الجوز : شجر عالٍ كثير الأغصان وأوراقه عريضة وثماره معروفة .

السوجر : وهو نبات الصفصاف ويكثر في الأودية .

الرقعة : وهو شجر كبير يشبه الجوز .

السرو : ينبت في الجبال حيث يتحمل البرد وأوراقه أبرية وتتخذ منه القسي .

السدر : وهو شجر النبق وأوراقه عريضة ، يرتفع إلى عشرة أمتار ، وهو كثير الظل ، يكثر في بطون الأودية وبخاصة في السفوح الشرقية .

السمر : نباتات صحراوية ترتفع إلى مترين ونصف المتر ، وأخشابها جيدة للوقود .

الضرو : نبات ضخم ، يستعمل في أعمال النجارة ، وكان يستفاد منه في صنع الآنية المنزلية .

اللبخ : من أشجار الجبال .

النبع : من أشجار الجبال أيضا .

ومن الحشائش والنباتات القصيرة :

البشام : عطر الرائحة ، طيب الطعم ، يستاك بقضبه ،

وإذا قطع خرج منه سائل أبيض ، ويدق ورقه ويخلط بالحناء ، يسود الشعر •

الحَدَق : له ثمرة تشبه المشمش تستعمل في الدباغة ويرتفع بقدر نصف متر •

الحرمل : نبات صحراوي ، ينمو بالقرب من الماء ، ويصل ارتفاعه إلى نصف متر •

الخزام : له ثمرة تأكلها الغربان ،وتألف نبتته أسراب النحل•

الخطر : يستعمل لتخضيب الشعر ، وقد يمزج مع الحناء ••

الرتم : حشائش ترعاها الأغنام •

المرار : شوك صغير كالعصفر •

القرظ : ويستعمل للدباغة ، وترعى الأغنام والماعز أوراقه، ويصل ارتفاعه ٢ ـ ٣ م ، ويستعمل للوقود •

العرفج : نبات مر المذاق يصل ارتفاعه إلى ٣٠ سم وسيقانه رفيعة •

العثرب : ينمو على أطراف الأودية وعلى حدود المناطق الزراعية ، وترعاه الإبل •

الطرف : نبات قصير يستعمل لحشو الوسائد والمساند •

الضرم : نبات يصل ارتفاعه إلى المتر ، طيب الرائحة ، تأكله الأغنام ، وتعلفه الإبل ،وله ثمر يشبه ثمر البلوط •

الشذا : ينبت بالسراة وتتخذ منه المساويك •

الزقوم : يرتفع إلى ٦٠ سم ، وأوراقه صغيرة ، مر المذاق وفيه أشواك تعلق بأصواف الأغنام أثناء مرورها فوقه كما تلصق بثياب الانسان •

الزوّان : نبات يشبه نبات القمح ويعرف في بلاد الشام باسم « زيوان » •

الشوحط : نبات يصل ارتفاعه إلى متر واحد ويوضع فوق أخشاب السقوف ، بينها وبين الطين •

الحيوان : كانت الحيوانات قديماً أكثر منها الآن إذ أن كثرة السكان واستعمال آلات الصيد الحديثة وتغير المناخ كل ذلك أدى إلى قلة الحيوانات وانعدام بعضها ، فقد كانت الأسود تكثر في المنطقة وتشتهر أسود وادي بيش وأسود وادي عتود،أما الآن فقد انقرضت وإن كان السكان يتحدثون عن وجود بعضها• وتوجد الضباع والذئاب والنمور في المناطق القليلة السكان • وكذلك قلت الظباء والوعول ، وتوجد الأرانب والنيص ومن الزواحف تكثر الأفاعي والحرباء •

الباب الثاني

السكان

نِسَبُ السُّكان

سُكنت السراة منذ القديم ، وكـان من قاطنيها من بـاد واندرست آثاره ، وكان منهم من جلا عنها وارتحل منها ، وكان منهم من انصهر مع من غلبهم على بلادهم • فقد قيل : إن العمالقة قد عمروها حتى انقرضوا منها ، كما قيل : إن الانباط قد انطلقوا منها إلى أطراف جنوبي بلاد الشام ، وقيل إن بني ثابر قد عاشوا فيها حتى جاءتهم الأزد وقد تفرقت في الأرض بعد خراب سـد مأرب فحطت رحال بعضهم فيها ، وغلبوا قاطنيها ، فأقاموا فيها ، وانتسب المغلوب للغالب ، ونُسب أهلها الجُدد إليها تمييزاً لهم عن بقية إخوانهم وتعريفاً لهم بمُقامهم فيقال : أزد السراة كمـا يقال أزد عُمان ، لأنها كانت قبيلة كبيرة لايسع أفرادها مكـان واحد ، ولا يكفي حيواناتها مرعى واحد • وكانت بطونها قـد خرجت من مستقرها وتريد الاستيطان واختيار المكان فكان لابد لها من أن تقاتل أقواماً سبقتها وجماعات حلت في أماكن طيبـة وبقاع خصبة ، وانطلقت أكثر البطون تخاصم وتخاصم ، ولـم يرق لأزد السراة أن ينصروا إخوانهم في قتال خزاعـة فسموا

شنوءة لشنآن بينهم وتباغض وتبرؤ (١) وعرفوا من بعدها باسم أزد شنوءة وهم بنو الحارث بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد كما أقامت معهم بعض البطون الأخرى .

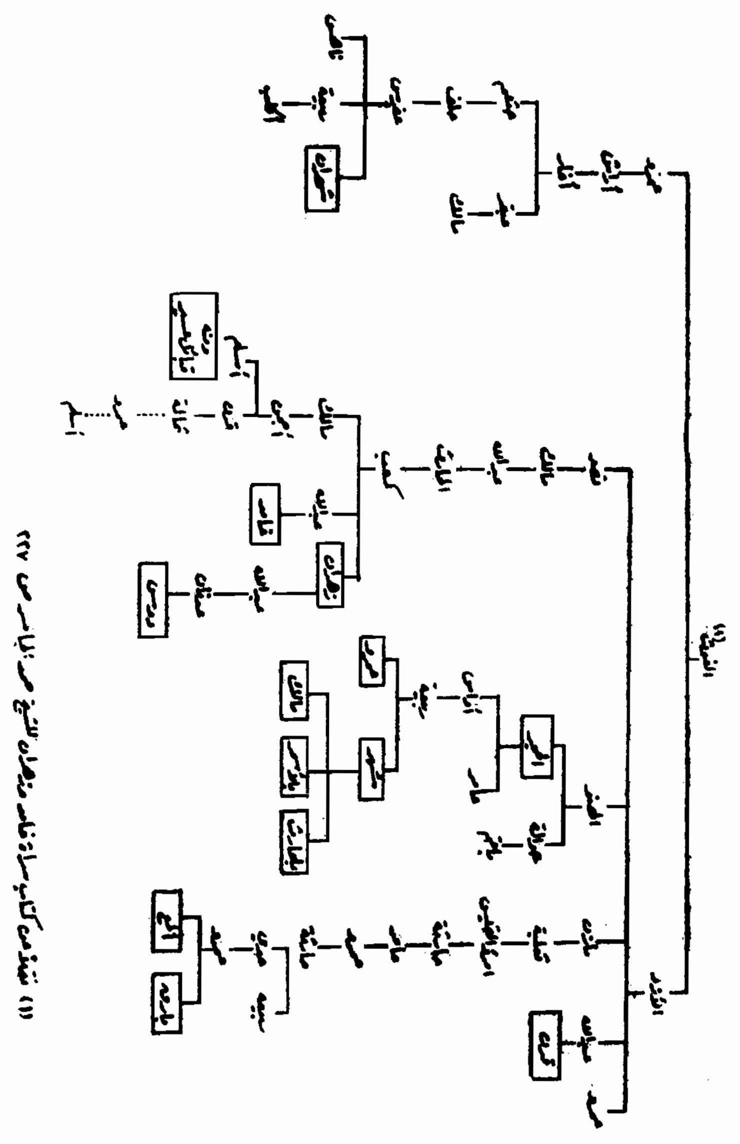
وتحالفت بعض البطون مع بعض ومع من جاءها مع غيرها حليفاً أو زائراً مستضيفاً أو مستجيراً رديفاً فشكلت قبيلة واحدة فاختلطت بذلك بعض الأنساب وضاع بعضها الآخر حتى لم يعرف إلا أنه من القبيلة الجديدة المتحالفة كقبيلة عسير التي أعطت المنطقة اسمها .

واستقر كذلك كل بطن في مكان معين وأعطاه اسمه وصار قبيلة خاصة فقال : سراة غامد وسراة زهران وبلاد بالقرن وبلاد شهران و ....

وإن اختلف في هذا النسب اليماني ، هل عسير من أسلم ابن عمرو بن ثمالة بن قرن أم تنتسب إلى أسلم أخي قرن هذا وهما ابنا أحجن بن مالك بن كعب بن الحارث بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد ؟ كما هو موضح في الجدول الآتي :

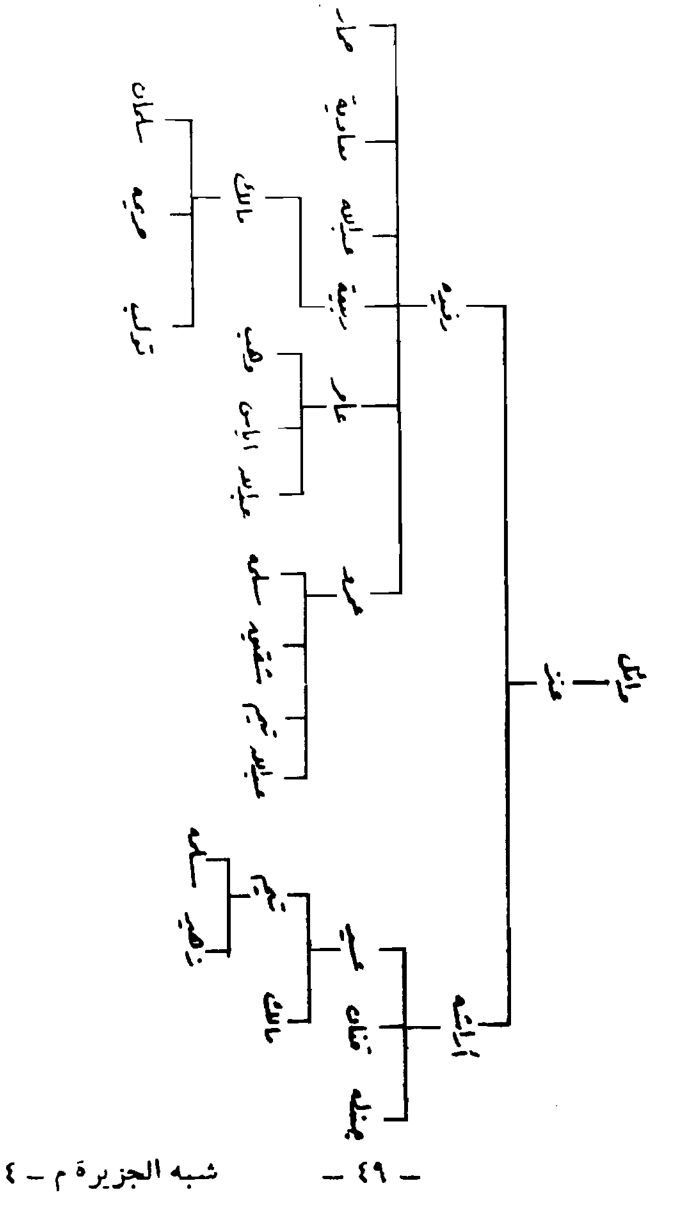
---

(١) ازد شنوءة قبيلة سميت لشنآن بينهم والنسبة شنائي وشنىء له حقه أعطاه إياه وبه أقر أو أعطاه وتبرأ منه ، وتشانؤوا تباغضوا « القاموس المحيط » مادة شنأ .



وهنـــاك من المؤرخين من يعتبر عسير رجــلاً ينتمي إلى العدنانيين فالهمداني أبو عبد الله محمد بن الحسن المتوفــى ٣٣٤ هـ يقول في الجزء الأول من كتابه « الإكليل » بعد أن ذكر أسماء عشائر من خولان، ولئلا تلتبس بقبائل عنز بن وائل فلنذكر لنسب عنز بن وائل أو ولد عنز بن وائل على ما خبرني به بعض من يصالبهم من جنب رفيدة وإراشة ، فأولد رفيدة ربيعة ومعاوية وعامراً وعبد الله وعمراً وحماراً ، فأولد ربيعة مالكاً ، فأولد مالك حريمة وتولباً وسلمان ، فأولد عامر بن رفيدة عبد الله ووهبــاً وإياساً ، فأولد عمرو بن رفيدة سلمة وشقيقاً وتيماً وعبد الله ، فأولد إراشة بن عنز بن وائل عسيراً وقناناً وجندلة ، فأولد عسير مالكاً وتيماً فأولد تيم زهيراً وسلمة ومنهم بنو شيبة وعضاضة وبنو اللقاح . وهكذا جاء عن النسابة هشام بن محمد بن السائب الكلبي مثل ماجاء عن الهمداني في رفع نسب عسير إلى عدنان[1] وذلك حسب الجدول الآتي :

(١) انظر تاريخ عسير في الماضي والحاضر لمؤلفه هاشم بن سعيد النعمي .



وكـذلك فقـد روى المؤرخ حسين بن أحمـد بن عبدالله الضمدي من علماء المخلاف السليماني للقرن الثاني عشر الهجري أن عسير من عدنان ولكنه روى له نسباً غير الذي ذكره الكلبي والهمداني حيث قال : هـو عسير بن عبس بن شحارة بن غالب ابن عبدالله بن عك بن عدنان وهو ينقل ذلك عن عـدة علماء مـن علماء الأنساب منهم أبو الحسن أحمد بن محمد الاشاعـري في كتابه « التعريف بالانساب » وكما روى ذلـك السيد الإمـام محمد بن عبد الله المشهور بأبي غلامة في كتابه « روضة الألباب » والملك الأشرف الغساني في كتابه المعروف « طرفة الأصحاب » وأبو عبد الله النسابة في كتابه « الموسون بالفلـك المشحون في أنساب القبائل والبطون » ثم هناك كتاب « جواهر التيجـان في أنساب عدنان وقحطان » •

وهنا لايهمنا كثيراً أانتسب عسير إلى عدنان أم إلى قحطان ؟ إذ عندما جاءت القبائل اليمانية إلى المنطقة كانت تقيم فيها قبائـل تنتمي إلى عك بن عدنان وحدث قتال بين الطرفـين وإذا كـانت قد انتصرت اليمانية على العدنانية إلا أن الثانية لم تغادر أماكنها نهائياً ولا زالت من مواطنها تماماً وإنما اختلطت مع الزمن بالغالبين عن طريق الحلف والمصاهرة والموالاة ، وغلب على الجميع اسم عسير • وإن كان كثير من الناس من يحب الانتماء للغالب ولهـذا انتسبوا إلى الأزد •

أما ما خرج عن مسمى عسير من القبائل التابعة لها فبعضهـم من قحطان من بني الحجر بن الهنو بن الأزد وهم رجال الحجـر أي قبائل بالأحمر وبالأسمر وبنو شـهر وبنو عمرو وبلحـارث وبنو مالك كما هو موضح في الجدول الوارد في الصفحة ٤٧ من هذا الكتاب •

وقـد كتب الشيـخ عبد الرحمن الحاقان بعض البحوث التاريخية عن منطقة عسير جاء فيها مايلي :

١ — قبائل شهران بن عفرس ، وناهس بن عفرس ، وهـم بلاشك من قبائل خثعم ، وقد وقع في نسبهم اختلاف كما وقـع في نسب غيرهم ، فمن المؤرخين من يزعم أنهم من بني نمار بـن نزار ، والذي نعتقد أنه صحيح أنهم من القبائـل القحطانيـة ، ويدخل فيهم من القبائل العدنانية بنو مالك (أهل تمنية) وبنـو شيبة (أهل المسقى والقرعاء) فإنهم من عنز — كما ذكر الهمداني — ويدخل فيهم أيضاً (العواسج) ويسمون الآن (العواشز) وهـم أهل مدينة جرش وهم من (حمير) ويدخل فيهم (كود) وهـم من (عنز) •

٢ — قبائل جنب بن سعد وهم شريف وسنحان • ومنهم (عبيدة) وقد ذكر بعض المؤرخين أن عبيدة اسم لأم هذه القبيلة، وهي عبيدة بنت مهلهل بن ربيعة التغلبي الذي نزح إلـى بـلاد (جنب) في زمن حرب البسوس ، وقد ذكر بعض النسابـة أن

قبيلة (جنب) أجبروا مهلهلاً على تزويج ابنة عمه منهم وفي ذلك يقول مهلهل :

أنكحهـا فقـدها الأراقم
في (جنب) والحباء من أدم
لو (بأبانين) جاء يخطبهـا
خضب أنف خاطب ما بـدم

وفيهم من القبائل العدنانية بنورفيدةبن أراشة من (عنز) ، ويطلق عليهم الآن (رفيدة) ويوجد في جبال رفيـدة في تهامـة جبل عظيم يسمونه (مهلهل) • ويسكن السراة أيضاً (بنو بشر) وقد وقع في نسبهم اختلاف ، فمنهم من ينسبهم إلـى (الأزد) ومنهم من يزعم أنهم من (بلحارث بن كعب) وآخر قبائل المنطقة شرقاً لجنوب قبائل وادعة وهيقبيلةأزدية ،أما قبائل تهامةعسير، فيبتدىء غرباً للشمال مـن قبائل المجاردة وبارق ، فإن هاتـين القبيلتين (أزديتان) وكذلك قبائـل آل (موسى) في محايـل • وربيعة المقاطرة والصوالحة ثم المنجحة وهذه القبائل (أزديـة) ثم يليهم قبائل (رجال ألمع) وألمع اسم لجدهم ، وهو من القبائل القحطانية • وهم عشر قبائل كالآتي : بنو ظالم • بنو قطبة • بنو العوص•البناء • بنو شحب•بنو زيد• وأهل صلب• بنو جونة • بنو قيس • شديدة • ويذكر بعض المؤرخين أن أهل صلب وبني زبد يقال لهم (بنو بكـر) • وبنو قيس ، وبنو جونة يقال لهـم

(بنو مسعود) وهذه القبائل الأربع يزعم بعضهم بأنهـم مـن القبائل العدنانية •

أما قبائل السهول ، فهم كالآتي : أهل المضة ، والفهر ، وآل سليمان • والمساردة مـن عبيـدة ، والحباب مـن سنحان ، قبائل أهل العين وتثليث والأمواه ، فهم من الجحادر من قحطـان وقبائلهم كالآتي : آل سعد • آل عاطف • المشاعلة • آل الجمـل ويتفرع منهم آل سويدان وآل مسعود وغيرهم [1] •

ورغم مافي هذه البحوث من ملاحظات فإن منطقـة عسير اليوم تضم مناطق أوسع من البقعة التي تقيم فيها قبيلـة عسير وأشهر القبائل في المنطقة كلها •

* * *

(١) رحلات في عسير يحيى ابراهيم الالمعي ص ٤٩ — ٥٠ .

الفصل الثاني

قبيلة عسير

قبيلة عسير حلف من القبائل ذات الأصول المختلفه ولكن كثرتها من أزد السراة وفيها عناصر من قحطان وشهران وهذا أمر طبيعي بالنظر إلى رابطة الجوار وضرورات الاختلاط الناشيء عن الغلبة والسلطان والمصاهرة والولاء ، وإن إرجاع أنساب القبائل العربية المعاصرة إلى أصولها أمر هو من الصعوبة بمكان عظيم نظراً للاختلاط الذي حصل خلال الزمن الطويل في الجزيرة العربية » أن قبيلة عسير يمانية تنزرت •

وأهل عسير أشد العرب نفرة من الأجانب ، وأبعد العرب عن المدنية ، كانوا في الماضي قبائل مستقلة بعضها عن بعض ، بل معادية بعضها لبعض ، ولايزال في الجهة الشرقية الجنوبية من أولئك الأعراب الذين يسلكون مسلك الأقدمين في الاستقلال والقتال ، فهم لايدينون لصاحب اليمن ، ولالصاحب عسير ، ولا لصاحب نجد والحجاز وذلك كما يقول الريحاني في كتابه « نجد وملحقاته » •

وعسير أربعة قبائل كبرى هم « مغيد » و « علكم »

ويقال لهما ولد أسلم ، وهما شوكة عسير وأكثرهم عدداً ، و « ربيعة رفيدة » و « بنو مالك » وجميعهم يعدون على وجه التقريب مائة ألف أو يزيدون •

وتمتد منازلهم شرقاً إلى قبيلة شهران « قرية حجلة » وما حاذاها ، وغرباً إلى منازل قبيلة ألمع ومشارف الجبال ، وجنوباً إلى منازل قحطان وبعض من شهران ، وشمالاً إلى منازل قبيلة بالأحمر أو المكان المعروف بالدرجة وهو السهب الممتد إلى مواطن قبيلة بالأحمر ، أو بعبارة أخرى تمتد من جبل (تمنية) وعقبة القرون من جهة الجنوب إلى وادي (تيه) وعقبة شعار في الشمال، فطولها يبلغ خمسين كيلو متراً ، وعرضها بين منازل رجال ألمع في الغرب وسهوب بلاد شهران في الشرق يصل إلى أربعين كيلو متراً •

آ ــ **بنو مغيد** : إحدى قبائل عسير ، وتضم عدداً من البطون يحدها من الشرق بنو مالك ومن الغرب بنو زيد أحد بطون ألمع ، ومن الشمال علكم، ومن الجنوب بنومازن وهم فرع من علكم ، ويوجد لها فروع خارج المنطقة هذه كآل يزيد الشعف حيث يقيمون جنوب بني مازن • وهناك قبيلة بني أنمار وتعرف لدى العامة باسم « بدو ربيعة » وتقطن قرب درب بني شعبة على طريق أبها ــ جيزان • وتنقسم هذه القبيلة إلى قسمين : قسم يسكن السراة والآخر يقيم في تهامة وهو في الواقع يتبع بني

مغيد ، ويفصل بين القسمين جبل يطل على تهامة بارتفاع كبير ، ويعرف باسم جبل الطور •

ويعتبر بنو مغيـــد أن لهم الحق في حمل لواء عسير ولعل ذلك بسبب كون آخر أمراء المنطقة منهم ، وقـــد يسبب هـــذا بعض المنافسات ، وحلت المشكلة في النهاية بأن يحمل هذا اللواء مندوب من قبل الحكومة •

ويصل تعداد بني مغيد إلى أكثر من ثـــلاثين ألف نســـمة ويصل عدد قراهم إلى الستين قرية ، ولكل قرية نائب يرشحـــه أهل القرية للمحافظة على العادات والتقاليد ، ويمثلهم في كـــل شأن يخص القرية أو القبيلة •

وهم أربعة أفخاذ هي :

١ ـــ آل ناجح : ومنهم آل يزيد ، وهم رؤوس عسير • ويقولون : إنهم ينتسون إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي الثاني ، وقد قدموا إلى المنطقة بعد زوال دولة بني أمية في الشام وملاحقة بني العباس لهم ، وعندما وصلوا إلى المنطقـــة تحالفوا مع بني مغيد •

ويذكر ابن كثير في كتابه « البداية والنهاية » أنه كان ليزيد بن معاوية خمسة عشر ولداً ذكراً هم : معاوية ، وخالد وأبو سفيـــان وأمهم أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وعبد العزيز وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بـــن عامر ، وعبـــد الله الاصغر ، وأبو بكر ، وعتبة ، وعبد الرحمن ، والربيع ، ومحمـــد

ويزيد ، وحرب ، وعمر ، وعثمان وهؤلاء أمهاتهم أمهات أولاد • وله من البنات خمس هن : عاتكة ، ورملة ، وأم عبد الرحمن ، وأم يزيد ، وأم محمد •

ويقول ابن كثير : وقد انقرضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب •

والواقع أن رأي ابن كثير غير مقبول إذ من المستبعـــد أن ينقرض نسل خمسة عشر ذكراً فلم ينجب أحدهم في حـــين كان يتزوج الواحد منهم عدة نساء وإنما الذي يبدو صحيحاً أن قيام دولة بني العباس وملاحقة الأمويين ومنهم أبناء يزيد وأحفادهم قد جعلهم يغادرون المنطقة التي كانوا فيها وهي دمشق ويتجهون إلى مناطق ثانية فلم يعد يعرف لهم أثر في منطقتهـــم التي نشؤوا فيها وبخاصة أن هذا لم يحدث بعد مدة طويلة من أيام يزيـــد إذ دارت الدائرة على بني أمية ولم يمض على وفاة يزيـــد أكثر مـــن ثمانية وستين عاماً فقد يكون بعض أبنائه لايزالون أحياء ، وعندما وصلوا إلى مناطقهم الجديدة التي حلـــوا فيها لم يشتهر أمرهـــم فيها إذ لم يعرّفوا على أنفسهم خوفاً من بطش السلطة بهم وهـــي التي تدين بالولاء لخصومهم بني العباس كما أن التاريخ لم يؤرخ ـــ مع الأسف ـــ إلا للأمراء والملوك فنسيهم عندما أعلنوا عـــن أنفسهم وقت ضعفت سلطة بني العباس • وقد تكون أسر أخرى تنتمي إلى يزيد في جهات ثانية • ولهذا عندما قال ابن كثير بأنهم قد انقرضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب فهو صادق مع نفسه إذ لـــم

يسمع حتى أيامه بأحد ينتمي إليه في منطقة دمشق أو بآخر طارت شهرته في منطقة ثانية .

وهم الذين يحملون رايات عسير في الحروب ، والراية قطعة من قماش خضراء ، طولها خمسة أذرع ، وعرضها ذراعان ، كتب عليها في الأعلى لا إله إلا الله محمد رسول الله وفي الأسفل نصر من الله وفتح قريب .

٢ً ــ آل عبد العزيز .

٣ً ــ آل وازع .

٤ً ــ آل مغيد الوطى ومنهم آل الشرف وآل يزيد الشعف الذين دخل معهم آخرون بالمصاهرة والحلف .

ويعتبر بنو مغيد فيقولون عن أنفسهم مغيد الخطى .

ب ــ علكم : وهم ستة أقسام منهم : بنو مازن ، وبنو المفرن ، وأهل العضاضة بقرب الشعف ، وأهل القصير ، وآل سعيدي وتلادة عبدل ، وآل قاسم ومنهم آل عباس الذين عرفوا بعلمهم في المنطقة كلها ، وتفتخر علكم فتقول عن نفسها علكم الهول .

حـ ــ ربيعة ورفيدة : فربيعة أربع عشائر هي : تيهان ، وبنو ثوعة وآل شدادي ، وبنو غنمي ، وآل عاصم . وتقول ربيعة عن نفسها « ربيعة مسّاكة الحرب » .

ورفيدة خمس عشائر هي : آل الحارث ، وأهل طبب ، وأهل الغال ، والتلادة ، والرفقتين .

د ــ بنو مالك : هم أهل الصمت ، وهم ثمانية أقسام

أشهرها : آل يعلى الذين منهم آل خضرا وقد عرفوا بالعلم . وبنو منبه ، وآل الحبشي ، وبنو رزام ، وآل المجمل ، وآل رميان ، وبنو ربيعة ، والتلادة أيضاً .

ويتبع عسير عدد من القبائل الصغرى دون الأولى في المركز الاجتماعي وذلك بسبب قوة الشوكة والشكيمة ، كما أنها هي تختلف فيما بينها ، كما لها فروع في المناطق الثانية وبين القبائل التي تقيم في البقاع الأخرى من السراة كشهران وقحطان ورجال الحجر ، وأهم هذه القبائل :

١ً ــ البلاحطة : وهم الذين يستجدون بمديحهم ومع هذا فيعرفون بالكرم وحسن الضيافة .

٢ً ــ الفيوض : وهم كالأجراء ، ويعملون في صناعة النسيج اليدوي ، فيغزلون وينسجون وبر الحيوانات وشعرها على شكل فرشات مستطيلة .

٣ً ــ الهتمان : وهم من الطبقات الوضيعة ، ولا يعترفون بالجميل ، ويعرفون باسم « الهتوم » ، ويعتبر هذا الاسم سبة وعاراً وكلمة شتيمة .

٤ً ــ الكحلة : وهم ذوو مستوى رفيع ومع هذا فالقبائل القوية لا تناسبهم ولا تصاهرهم .

٥ً ــ الدواسر : وهم غير القبيلة العربية المعروفة ذات المكانة والمنعة ، وأصل هؤلاء من الأرقاء .

٦ً ــ العبيد : وهم الذين يحملون لون البشرة الأسود .

٧ ــ المحاحة ويمتهنون بيع البهارات وما شاكلها •

وجرت العادة ألا تتزوج بطون عسير القوية مع هذه القبائل التي تتبعها للاختلاف في المستوى الاجتماعي •

كما جرت العادة في سائر بلاد السراة وشهران وقحطان أن يكون لكل قبيلة في السراة أتباع من القبائل في تهامة ، ومن أشهر هذه القبائل التي تقيم في تهامة وترتبط مع قبائل عسير هي :

آ ــ المغيديون : ويتبعون بني مغيد •

ب ــ أم نفلة : ويتبعون علكم •

حـ ــ سكان وادي مربة : ويتبعون بني مغيد وعلكم •

د ــ ربيعة اليمن : وتحسب من ملحقات بني مغيد ، وتقيم في وادي ضلع إلى الجنوب الغربي من مدينة أبها وحتى التقائه بوادي عتود التهامي ، ولا تزال أقرب إلى البداوة ، وتعيش على الرعي ، ولا يزال عندها بعض العادات الغريبة وإن زال أكثرها وبقي بعضها في الخفاء ، وأهمها الحفلات التي تقوم أثناء عملية الختان التي تتم بسلخ الجلد ، ويحضرها الرجال والنساء على حد سواء وبخاصة الفتيات الأبكار ، وتتم العملية والمختون عار ، ولا يختن إلا من بلغ سن الرجال ، هذا إضافة إلى الاختلاط •

ولا يضع الرجال على رؤوسهم شيئاً بينما تضع النساء قبعات من القش أو عسب النخل على رؤوسهن وفي الوقت نفسه فالقبيلة أهل كرم وضيافة •

توزع بطون قبيلة عسير

العادات الاجتماعية عند قبائل عسير

ينقسم أهل عسير إلى قسمين : « القبيلي » وهـو الذي يمتّ بصلة الى قبيلة عظيمة ذات نسب وقوة ،وهو مزارع بالدرجة الأولى ، و « الطرف » وهو غير الأصيل ويمتهن حرفة بشكل عام •

والأطراف أنواع منهم الصناع ، والبلاحطة وهم أدنـى الأطراف ، والفيوض ، والهتوم • ولا يصاهر « القبيلي » الأطراف فلا يزوّجهم ولا يتزوج منهـم • ولكـن الزواج يتم بين الأطراف بعضهم مـع بعض ، وان كان بعضهم يشعر باعتلاء مكانته على بعضهم الآخر ، وهم يعترفون بضعتهم أمام القبليين ،وعدد الأطراف قليل إذ لا تتجاوز نسبتهم ٥٪ فقط •

ومن العادات المميزة عند قبائل عسير والملاحظة :

١ ـ **الختان** : ويسمى « تطهير » ، ويعمل للشاب الذي يراد ختنه ملابس خاصة ، وتشكيلة معينة في الشعر ، ولا تتـم عملية الختان إلا بعد أن يتجاوز الشاب سن البلوغ ، وتتم بين جمع غفير من أبناء قبيلته وأخواله وأقارب آسرته جميعاً سـواء أكانوا من قبيلته أم من غيرها ، ويختن أمام الأشهاد ، والغرض من ذلك إظهار شجاعة الرجل المختون ، ويعلمّ قبل إجراء العملية له أبياتاً من الشعر قد تصل في بعض الأحيان إلى الثلاثين بيتـاً وتسمى « قاف » تتضمن مديحاً لأهله وأخواله وإظهار محاسنهم

وإبداء مناقبهم • ويقدّم الأخوال في هذه المناسبة مبلغاً من المال لوالد ابن أختهم ، ويسمى هذا المبلغ « جود » وهم أشد حرصا على تقديم مبلغ أكبر حتى يشملهم المديح ، وحتى لايحملهم ابن أختهم شيئاً من العار فيما إذا أبدى تخوفاً أو اضطراباً لأن من الشائع أن الولد يشبه أخواله ، ومن القديم قيل « كادت المرأة أن تلد أخاها » ، وقد بدأت هـذه العادة تقل وتضمحل ، وإن بقيت واضحة عند « بدو ربيعة » و « بدو وادي مربة » وبشكل أكثر قسوة وأشنع عيباً •

٢ ـ **الزواج** : إن الأمر الشائع منـذ مـدة طويلـة أن الجمال كثير في عسير والصداق قليل ، ولهـذا كانت الأسواق تغص براغبي الزواج ، وكثيراً ما يدور هذا الحديث بين زوّار المنطقة وضيوفها ولكن يظهر أن قلة الصداق إنما هو لأهل المنطقة لا لسواهم ، ولا يختلف الجمال كثيراً عن بقية المناطق ، ونساء السراة على العموم تغلب في وجوههن الاستدارة ، ويتميزن عن أهل التهائم بإشراق اللون وصفرته ، والاعتدال في قاماتهـن ، وشعورهن على العموم حالكة السواد لهن في تصفيفها وضفرهـا صناعة خاصة •

ومن العادات الشائعة أن البنت لا تتـزوج حتى تبلغ سن الخامسة والعشرين من عمرها لأن أهلها يريدون أن يستفيدوا منها في العمل في المزارع •

والصداق ليس من نصيب الفتاة وإنما من حظ والـدها وفيه أحياناً من الطمع الشيء الكثير •

ومن الشائع أن يتعرف الشاب على فتاته قبل عقد النكـاح في إحدى المناسبات من زواج أو ختان أو في الأسواق ، وبخاصة أن المرأة لاتغطي وجهها •

وينفق الرجل الكثير من المال في زواجه ، وبخاصة في كسوة أهل خطيبته قبل أن تنتقل إلى داره والعار والويل للزوج الذي لم يفعل ذلك ، والذين يكسوهم عادة إخـوة واخوات العـروس وخالاتها وأعمامها وعماتها وما أكثرهم إن كان الزوج غريباً أو غنيـاً •

ويعطي والد الفتاة ابنته بعض الحاجيات أثناء انتقالها بينمـا يقدم رجلها في المستقبل الحلي من مجوهرات وغيرها •

وللمرأة مطلق الحرية في اختيار الزوج فإذا ما تقدم لخطبتها أحد ــ وغالباً ما تراه ــ ولم يعجبها أبت وامتنعت بكل صراحة ، ولاتقع أية محاولة من ذويها لحملها على القبول والاستجابة • وهن صريحات في قول لا أو نعم ، وحتى لو حصل الرضا ثم لـم تستطب معاشرته تترك بيت الزوجيـة وتقول : « شَنَيْتَه » أي كرهته ، ولايحصل في الغالب اعنات من الزوج ودعوى بالنشوز ، ويكون له إذ ذاك حق المطالبة بما دفع في صداقها ، فإن ردّ إليه وإلا جعل ذمة له عليها ، ويكون على حد تعبيرهم «في رأسها كذا» يسددونها من صداقها في زواجها الجديد إن كان •

ومما هو متعارف في عسير نوع من الزواج يسمونه « زواج السر » ومعناه أن يقع في أشد الخفاء ، أي دون إعـلان وتشهير بالعقد ، وهو أكثر ما يقع مع الثيبات وممن يخشى نفور زوجـة أخرى لديه أو ممن ليس له إقامة طويلة في القرية وغالباً ما يكون قصير الأجل [1] •

وعندما يريد الرجل أن يأخذ زوجه من دار أهلها يسير مـع عصبة من أهله وذويه • ويقيم عادة حفلةً لجماعته وأقاربه ، وبعد هذه الحفلـة يقوم الشباب ببعض الألعـاب وتسمى « سمرة » وتستمر حتى الفجر ثم يتفرقون • وفي اليوم التالي تأتي النسـاء من القرى المجاورة ، وهذا اليوم هو أحسن الأيام عندهن ، حيث تلبس النساء فيه أحسن الملابس وأجملها ، وقـد تتـاح للفتيات منهن فرص للزواج قد لاتتاح في غير هذا اليوم •

ومع ما يشاع ــ كما ذكرنا ــ من كثرة وجـود الفتيـات الراغبات في الزواج ، فإن كثيراً من الرجال ما يقعد بهم الحظ ولا يجدون الذي يفتشون عنـه حتى أن بعضهم قد أنشـد وقـد ضاق ذرعاً بقعود حظه :

إن أبهـا وعرسهـا كالمعيدي في المثـل
زعـم البعض انهـا خير نزل لمـن نزل

(١) في ربوع عسير محمد عمر رفيع ص ٣٤ طبعة عام ١٣٧٣هـ ــ ١٩٥٤ م ــ دار العهد الجديد للطباعة بالقاهرة .

خـدع الناس قولـه   زخرف القول من نقـل

٣ ـ **الدعوات والمناسبات** : قد يدعـو المرء أقاربه دعـوة خاصة ، وقد تكون بمناسبة زواج ، أو ختان ، أو أيـة مناسبـة أخرى فيأتي المدعوون في اليوم المحدد مع عدد من جماعتهم ،وكل يحمل بندقيته ـ يوم كانت تحمل البنادق ومسموح بذلـك ـ وعند اقترابهم من قرية المضيف يكون الداعون في انتظارهـم وفي أيديهم أيضاً بنادقهم فيتبادلون الطلقات النارية تعبيراً عن الحب بينهم ، وعندما تبقى بين الجماعتين مسافة قصيرة يتوقف إطـلاق النار ويبدأ الترحيب بالكلام •••••• ويرد المدعـوون علـى الترحيب بما يسمى « المردودة » وهي عبارة عن كلام يوضحون فيه سبب قدومهم ويبينون المبلغ الذي يحملونه ••••• وينزلون يوماً في بيت صاحب الدعوة ثم يتفرقون على منازل أهل القرية

وحتى يقوم صاحب الدعوة بواجبه ، عليه أن يقدّم أنواع الطعام جميعها ، وقد يتحمل الكثير من الديون بهذا السبب ، بل هو الشائع لفقر المنطقة النسبي •

والكرم الزائد عن الحد هو السائد بينهم وكأن كل شخص يحاول اثبات وجوده بين جماعته وأفراد قبيلته به •

٤ ـ **المراة** : لا تحتجب المـرأة في عسير أي لا تغطي وجهها ، وإنما لباس الحشمة هو الشائع بين النساء جميعاً ، وهن يعملن مع

الرجال في الحقول وهذا شأن أكثر المناطق الزراعية وبخاصة وقت الحصاد وجني المحصول ••• وتعمل المرأة مع الرجل في شؤونه كلها إضافة إلى عملها الخاص الموكلة به وهو تدبير المنزل ، وفي جلب الماء وإحضار الحطب ، وقلما تعمل المرأة في الخياطة إذ أن هذه المهنة من اختصاص الرجل •

ومن الأسماء الشائعة في المنطقة زهرة ، وظبية ، ونجمة ، وملك ، وليلى ••••

وتلبس النساء سراويل وقمصان ، وغالباً ما تكون القمصان سوداء محلاة على الصدر بأشكال من التطريز اليدوي بالحريـر المختلف الألوان • وتضع المرأة على رأسها خارج منزلها سواء في الحقل أم في السوق قبعة من سعف النخل أو من القش تقيها من أشعة الشمس ، وتسمى « الطفشة » ، وتكون على شكـل دائري مجوفة في وسطها لدخول الرأس ، وتشد خصرها بحزام من الجلد ، وقد يكون من الفضة وتجعل المرأة المتزوجة فـوق رأسها خماراً أسود ، بينما تكتفي الفتاة البكر بمنديـل أصفر اللون أو أحمر منقطاً بالسواد وتربطه أسفل الرقبـة ، وتتطيب النساء بأنواع من الأطياب كالريحان ويكثرن منـه على الـرأس ويعرف باسم « مكعس » •

والمرأة عند البدو أكثر مشاركة للرجال في أعمالهم حتى في التجارة والسفر على ظهـور الإبل ، وتلبس البدويـة إزاراً مـن قمـاش مصبوغ بصبـاغ أزرق ورداء من النوع نفسه ، كمـا تضع على

رأسها القبعة « الطفشة » وإن كانت أصغر مقياساً مع طول في التجويف الخاص بالرأس ، وقد تسير مسافة طويلة دون نعل •

ويعمل سكان القرى في الزراعة ، وفي تربية الحيوان ، وكثيراً ما يكون مركز الرجل حسبما يملكه من أرض أو من عدد قطيع الحيوان ، ويعمل البدو في الرعي فقط ، ولذا فهم يملكون ثروة حيوانية أكبر وبخاصة من الأغنام •

وقد اتجه عدد غير قليل من السكان اليوم إلى العمل في وظائف الدولة ، وانصرف أبناؤهم نحو المدارس وتحصيل العلم•

٥ ـ الرجل : كان الرجل حاسر الرأس أما الآن فقد أصبح يضع على رأسه « الغترة » وذلك منذ أن أصبحت المنطقة جزءاً من المملكة العربية السعودية ، ويلبسون في الشتاء العباءة ويسمونها « الشملة » وتتخذ من أصواف الأغنام ، وتحاك إلى ما تحت الركبة بقليل حتى لاتعيق الحركة • ويضعون على أوساطهم « الجنابى » وبعضها ما يحلى بالفضة ، وتوضع داخل غمد من الجلد يسمى « معيّرة » وبعضها ما هو معقوف الرأس ومنها ما هو مستقيمه ، أما الثياب الأخرى فهي عادية ، الثوب المعروف في المنطقة كلها وإن كان يبدو هنا قصيراً قليلاً ، ولونه أبيض ، بينما ثوب المرأة أحمر أو أسود •

٦ ـ الألعاب : يصطف الرجال متراصين على شكل صفوف ، يتوسط الصف الأول حملة الطبول والدفوف ويواجههم ملحن الغناء فينشد ما يريد ، وتقرع الطبول والدفوف على ترجيعه ، ويردد

اللاعبون في الصفوف ماقاله مع القفز وضرب أرجلهم على الأرض واقفين مرة وسائرين أخرى في شكل دائري ، وقد يواجههم أحياناً رجل آخر حاملاً « جنبيته» وقد استلها من غمدها ، ويقفز بخفة ويصيح بكلمات عالية لايفهمها الغريب عادة لأنها باللهجة المحلية •

٧ ـ التعاون : وأجمل ما في عسير التعاون الذي يسود بين أهلها ويبدو هذا في مساعدة الشخص الذي تحل به نازلة أو تصيبه نكبة إذ يسرع أفراد القبيلة والقرية إلى التعويض عنه وبناء بيته إن تهدم وإعطائه ما فقد ، وتبدو في استقبال أهل القرية للضيف القادم إلى أحد أبنائها مهما كان وضعه الاجتماعي ويتقدمهم كبير القبيلة ومعه الوجهاء يرافقون المضيف يرحبون بالضيف ويسيرون معه إلى البيت الذي سيحل فيه ، كما تساعد القرية المضيف في إنزال ضيوفه وإكرامهم ودعوتهم ، خاصة إن كان عددهم تضيق به دار المضيف وحالته • وهناك لجنة قبلية منتخبة في كل قرية وغالباً مايكون عددها ثلاثة أفراد تقوم بجمع عشر محصول الأرض من المزارعين ، وهذا الناتج يكون للغزو وقرى الضيف ومساعدة المحتاج وإطعام ابناء السبيل ، ويصرف كذلك للمسجد وتجهيز الموتى الفقراء وحفر الآبار •

كما يبدو التعاون في مساعدة بعضهم بعضاً في البناء والحصاد وجني الموسم ومساعدة من يقعده الفقر عن الزواج ، ويسعون لعدم رفع المهور ويعاقبون من يغالي في الصداق •

وكانت هنـاك بعض العادات السيئة وقـد زالت ــ ولله الحمد ــ ومنها ما يتكبده الذي يموت له بعض أفراد أسرته فينزل عنده العديد من الرجال للعزاء ويسمون ذلك « الفراش » فيذبح لهم كل ما يملك أو أكثره خلال الأيام الثلاثة التي يبقون فيها بداره ومنها ما يأخذه بعض أكابرهم باسم المسؤولية وقد انتهت أيـام هذا كلـه •

٨ ــ **الصفات** : ويمتاز أهل عسير بالشجاعة وثبات الجأش عند اللقـاء ، ويحبون اقتناء السلاح كمـا يرغبون في الانخراط في صفوف الجيش إذ يعرفون بالطاعة التي يتركونها إن أصابهم ضيم أو لحق بهم أذى •

٩ ــ **اللهجة** : لأهل عسير لهجـة خاصـة وهي تغييـر بعض الأحرف وقلبها في اللفظ ومنها :

قلب الجيـم ياء فيقولـون : يـاء ، مسيـد ، ريـال بدلاً من جاء ، مسجد ، رجال •

وقلب النون راء فيقولون : حلي بريعقوب • من حلي بن يعقوب •

قلب « ال » التعريف أم فيقـولون : امعـي ، امناصر ، امقضية بدلاً من المعي ، والناصر ، والقضية •

ومثل : ليس من امبر امصيام في امسفر ، عوضاً عن : « ليس من البر الصيام السفر [١] »

قلب الكاف شيناً وبخاصة لمخاطبة الأنثى فيقـولـون : ماحالش وحال أبوش ؟ ويقصدون كيف حالك وحال أبوك ؟ •

ويستعملون كلمـة « ثـم » بدلاً من « هنالـك » بشكل طبيعي •

كمـا يستعملون الجمـل الاعتراضية ومعظمها دعائيـة للمخاطب •

---

(١) حديث شريف رواه كعب بن عاصم الأشعري ، قـال سمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس مـن امبر امصيام في امسفر » مسند الإمام أحمد ٤٣٤/٥ .

المراكز البشرية عند قبائل عسير

أبهـــا : لعل من أشهر مراكـز المنطقة كاملـة « أبهـا » وهي حاضرتها ، ومركز قبائل عسير وقاعدة بني مغيـد ، تقع في الجانب الشرقي من جبـال عسير ، في وهدة بين جبـال جرداء ، وتتوسط الوهدة ربوة تسمى « رأس أملـح » حيث أقام الأمير محمد بن عائض قصره المسمى « شذا » حيث يشرف من طرفـه الشمالي الغربي على منطقة فسيحة تعرف باسم « البحار » وكـذا من الشرق على منطقة منبسطة يقوم فيها السوق الاسبـوعي ، وبهذا يمكن الدفاع عنه •

ويوجـد فيها واديان أحدهمـا اسمه « وادي أبهـا » أو « العُشْبان » والثاني اسمه « ضِباعه » ويجريان إن كان التهطال غزيراً ، وقد يتدفق الماء فيهما عدة أيام ، ومعظم آبـار البلدة في هذين الواديين وأعذبها بئر « نعمان » وبئر « النَّجلّة » • ويعرف وادي أبها قبل وصوله المدينة باسم « خبيبي » •

ومدينة أبها بلدة غير قديمة فهي غير معروفة في التاريخ [١] وإنما الذي عرف إنما هو وادي أبها فعندما انشئت عرفت باسمه ؛

(١) كما ورد انها كانت معروفة في التاريخ منذ القديم وباسم « ابقا » او « ايفا » او « هيفا » وان الابل التي كانت تحمل هدايا بلقيس لسيدنا سليمان كانت منها •

وضمت عدة أحيـاء حملت اسم الوادي ، وبدأت تنمو عنـدما اتخذها علي بن مجثل قاعدة له •

وتحيط الجبال بها من كل جهة ، وقد أقيمت على قممها قلاع تحمي المدينة إضافـة إلى حمايتها من جهة الغرب بسبب صعوبة الانتقال من تهامة الى السراة والذي لايتم إلا عن طريق عدد من العقبات لايرتقيها الانسان إلا بكثير من الصعوبة •

ومن أهم هذه القلاع المحيطة بها :

١ً ــ قلعة ضلع : وهي تتحكم بوادي ضلـع حيث العقبة المعروفة بهذا الاسم •

٢ً ــ قلعة ذِرة : وتقـع على جبل ذرة الذي يقـع شمال شرقي قلعة ضلع ، والقلعة القائمة على هذا الجبل حفرت تحتهـا بيوت داخل الصخر •

٣ً ــ قلعة شمسان : وتقع شما لمدينة أبهـا وتتحكم في الطريق الشمالية القادمة من عقبتي «شعار» و «الصماء» • وقـد وصلت هذه القلاع بعضها مع بعض بطرق جبلية ممهدة وبخاصـة أيام المتصرف التركي محي الدين باشا •

تقع أبها على ارتفـاع ٢١٧٠ متر عن سطح البحر مما يجعل الضغط الجوي منخفضاً الأمر الـذي يجعل القادم اليهـا يشعر بالتعب وبخاصة من يأتي من منطقة قليلة الارتفاع ويستمر هـذا عدة أشهر حتى يتعود على مناخها العذب وهوائها العليل •

وتتألف مدينة أبها من عـــدد من القرى أقيمت علـــى طول مجرى وادي أبها وتمتد باتجاه سيره من الجنوب الغربي نحـــو الشمال الشرقي ، وهذه القرى هي :

١ ــ المناظر : وهي أصل المدينة واليوم حي من أحيائها ، وكانت في الأصل قصراً للأمير عائض بن علي بن وهاس ثم أقيم على أنقاضه قصر للأمير سعيد بن عائض سمي بقصر مازن •

٢ ــ المفتاحة : وهي أول الأحياء من جهة الغرب وتقع إلى الشرق من الوادي ، واختط علي بن مجثل قلعته فيها •

٣ ــ القرى : وتلي المفتاحة •

٤ ــ النعمان : وأكثر سكانه من موالي آل عائض •

٥ ــ الربوع : وكانت تقام فيها سوق يوم الأربعاء فسميت بها على عادة أهل تلك المنطقة •

٦ ــ شذا : وفيها القصر الذي بناه الأمير محمد بن عائض عندما نقل مركز حكمه من بلدة « ريدة » إلى أبها ، وفيهـــا الآن قصر الحكم ومركز البرقيات واللاسلكي ، وقد أقيم قصر الحكومة على أنقاض الثكنة العسكرية العثمانية •

أما إلى الشرق من حي المناظر فتوجـــد القرى أو الأحيـــاء الآتيـــة :

١ ــ البديع : وهو يقع غربي المناظر •

٢ ــ الخشع •

٣ ــ النصب •

٤ ــ المقابل : كان قصراً للأمير سالم بن عبد الله بن ابراهيم ابن عايض ومنه سمي الحي ، وعلى أنقاضه أقـــام الأمير محمد بن عائض قصراً لم تزل أطلاله ماثلة ، مقابل قصر باشوات متصرفية عسير • وهو الحي الوحيد القائم على الجانب الغربي من الوادي ، وقد كان يسكن فيه متصرف عسير سليمان شفيق الكمالي ، ثـــم محي الدين باشا من بعده ، وكان جسر يربط بين هذا الحي وبقية الأحياء • وعند ملتقى وادي أبها بوادي « جوحان » المنحدر من الجبال والعقبات الواقعة جنوبي أبها وعلى مقربـــة من قريتـــي « القاعد » و « الداره » كان الوادي يشكل مستنقعاً وغدرانـــاً عميقة أمكن للأسماك أن تتوالد فيه •

وعند هذه الغدران كان يوجد قبر ينسب لذي القرنين وقد هدم يوم دخلت الحملات الإخوانية من جيوش نجد المنطقـــة • ويقول الهمداني : « إنه عثر على هذا القبر في رأس الثلاثمائة من الهجرة » وذو القرنين هذا هو يماني وليس الاسكندر المقدوني • وقد اختلف في نسب هذا الرجل اليماني فمنهـــم من قـــال : هـــو الهميسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان •

ومنهم من قال : هو الصعب ذو القرنين السيار بن مالـــك ابن الحارث الأعلى بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان •

ومنهم من قال : هو الصعب بن عبد الله بن مالـــك بن سدد ابن حمير الأصغر وقد نسب هذا القول الأخير إلى علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس •

ويزيد عدد سكان أبها اليوم على خمسة وعشرين ألف نسمة. وبيوتها من الطين والحجارة وقد يتفرد بعضها بنوع واحد من مادتي البناء هاتين ، وقد بدأ العمران الحديث يكثر فيها يوماً بعد يوم .

ومدينة أبها عقدة مواصلات هامة فهي تتصل مع :

أ ــ تهامة : عن طريق يتجه من أبها نحو الجنوب الغربي إلى عقبة ضلع ومنها إلى وادي « عتود » إلى « القصبة » و « درب بني شعبة » و « صبيا » و « جيزان » وإن لم يكتمل هذا الطريق بعدتعبيداً إلا أنه من مشروعات المنطقة .

ب ــ القنفذة : عن طريق عقبة شعار .

جـ ــ رجال : عن طريق عقبة الصماء .

د ــ الحجاز : عن طريق بلاد بالأحمر وبالأسمر وبني عمرو وغامد وزهران فالطائف .

هـ ــ شهران : حيث تبعد عن بلدة خميس مشيط ٢٧ كم فقط .

و ــ اليمن : عن طريق تمنية إلى بلاد قحطان ووادعة ثم الى صعدة ، وهي طريق وعرة .

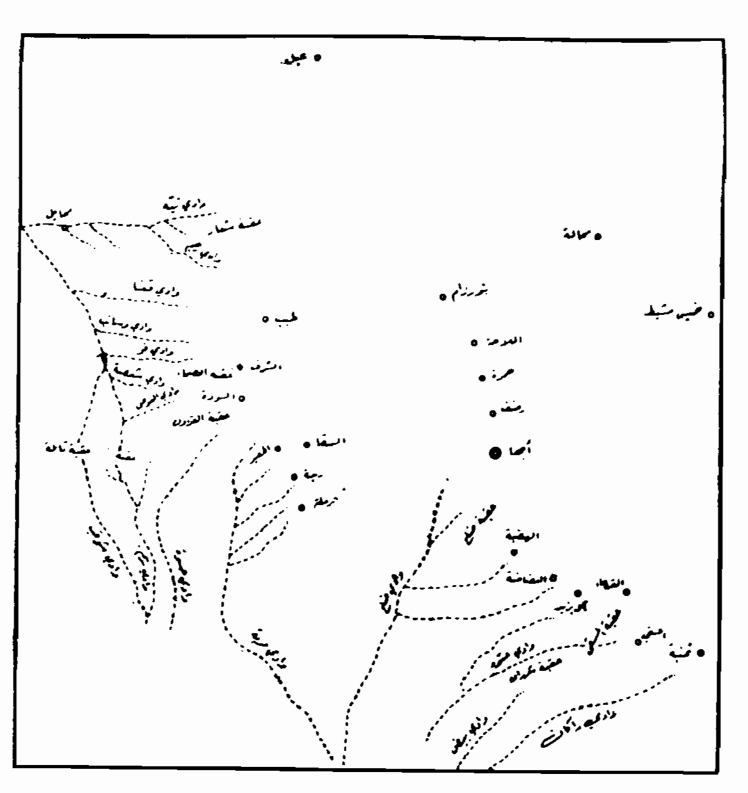
ريدة : بلدة عمرها الأمير عائض بن علي بن وهاس عام ٨٦٠ هـ ، واتخذها مقراً له وملجأ ، وهي الآن تحت يد ورثته ، وقد دمرها الأتراك ١٢٩٠ هـ ، وسموها « صيدة » . وتقع إلى الغرب من مدينة أبها .

حرملة : بلدة عمرها الأمير يحيى بن عبد الرحمن بن علي عام ١١٢٢ هـ ، وهي الآن تحت يد ورثته من آل عايض ، وقد دمرها الجيش السعودي أثناء احتلاله عسير عام ١٣٤٠ هـ .

طبب : وهو واد حملت المدينة التي بنيت عليه اسمه ، وتقع في بلاد ربيعة رفيدة وقد اتخذها محمد بن عامر المعروف بأبي نقطة قاعدة له .

المسقى : وقد أصبحت مركز المنطقة عندما اتخذها الأمير سعيد بن مسلط قاعدة له عندما ثار على حكم محمد بن عبد المعين بن عوف عام ١٢٣٧ هـ .

السودة : قرية تقع إلى الغرب من أبها تتبع قبيلة علكم ، وقد بنيت على ارتفاع ٢٥٠٠ م على قمة جبل فهي من أعلى قرى عسير ، وهذا ما يجعل مناخها عذباً ، وتحيط بها المروج من كل جهة ، وقد أصبح اسم هذه القرية يتردد على الألسن في المملكة كلها لما فيها من جمال الطبيعة .



مصور المراكز البشرية في قبائل عسير

الفصل الثالث

رجال ألمع

وهم أكبر القبائل في تهامة ، وأكثرها عدداً إذ يبلغون مائة ألف أو يزيدون ، وهم في تهامة كعسير في السراة ، وتقع بلادهم في الجهة الغربية من منطقة عسير يحدها من الشمال منطقة محايل ومن الجنوب بلاد بني شعبة وهي بلاد جبلية غالباً ، ويقسمون الى قسمين :

ألمع الشام : أو ألمع الشمال ويقدرون بثلث العدد الكلي كما لا تزيد مساحة منازلهم عن هـذه النسبة ومركزهم بلـد « الشعبين » وفيها الدوائر الحكومية •

وألمع اليمن : أو ألمع الجنوب وهـم الثلثان وكـذا تشمل مساحة بلادهم ، وأهم قراهم بلدة « رُجال » وقد كانت هـذه في أيام خلت مركز المنطقة ، وهي أكبر من قرينتها « الشعبين » بخمسة أضعاف على الأقل ، وإن كان لانتقال مركز المنطقة إلى « الشعبين » أثر واضح في اتساعها ونموها •

ولطبيعة الأرض في هذا التقسيم شكل بارز يتمثل في عقبة « َرز » التي تقع بين المدينتين فمن ينظر من ذروتها باتجاه الشمال يجد أرض ألمع الشام تنحدر نحو الشمال مع سير وادي « حلي » وفروعه ، ومن يتجـه نحو الجنوب تظهر له أرض ألمـع اليمن

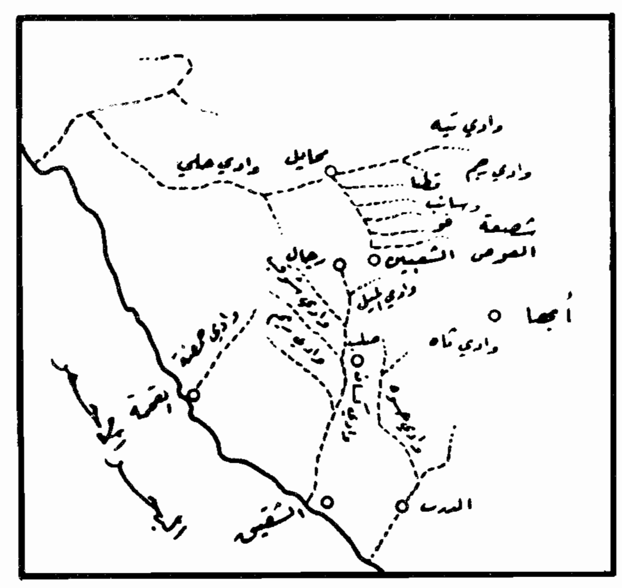
تسيل نحو الجنوب مع سير وادي « كسان » « ريم » و « عرمرم » •

ومن الأودية المشهورة : « حلي » و«سانب» و « الشصعة» و « العوص » وهي من روافد « حلـي » إضافة إلى « تيّه » و « رجم » و « قضا » و « فو » ثم هناك روافد وادي «ريـم» وهي « رجال » و « الميل » و « شوقب » و « ثاه » و «حسوه» ثم وادي عرمرم •

ولما كانت القرى قليلة السكان لا تتـوفر فيهـا الحاجيات الأساسية لذا فالأسواق تقام في المنطقة حيث تتجمع جموع كبيرة من الناس ، وتعرض فيها البضائع فيشتري السكان ما يحتاجون إليه ، واليوم المقرر للسكان معروف في القبائل كلها ، فالأحد في « الشعبين » ، والاثنين والخميس في « رُجال » ، والسبت عند « آل صلب » ، والثلاثاء في « ريم » (ثلوث ريم) ، والأربعاء في « البنا » (ربوع البنا) •

وتبنى القرى في قمم الجبال لتأخذ نصيبهـا من البرودة واعتدال الجو في ذلك المناخ الحار الرطب ، ولتكون في موقـع حصين في تلك البقعة التي عرفت بالقتال بين القبائل ، وقد تحف بها الجبال التي تكون فيها مراكز للمراقبة •

ومن الأشجار المنتشرة في المنطقة « الأثب »وهو يشبه شجر الكينا في شكله ، والنبق ، والثعب ، والشقب ، والتمر الهندي ويسمونه « حُمَر » وحمرار ويشبه التمر الهنـدي ، والجميز ويسمى البراء ، ويزرع السكان الذرة والدخنبكثرة وكثيراً من المحصولات الزراعية الأخرى •



الأودية في بلاد رجال المع

وتتكون رجال ألمع من عدة بطون هي :

١ — بنو قيس بن مسعود : وتقع منازلهم في سفوح جبل قيس ووادي حسوة ، ويبلغ عددهم خمسة عشر ألفاً ، ولهم حمل

اللواء في الحرب ، وهم من العدنانيين ، ومن أشهر عائلاتهم آل عبد المتعال •

٢ ــ بنو جونة : ومن أوديتهم « كسان » و « ريم » ويبلغ عددهم اثني عشر ألفاً أو يزيدون ، ويقال لهم ولبني قيس « بنو مسعود » •

٣ ــ بنو ظالم : وتقع منازلهم على وادي « حلي » ويزيد عددهم على خمسة عشر ألفاً ، وينحدر معظمهم من الأزد القحطانيين ، ومنهم آل الحفظي ، وحاضرتهم مدينة « رُجال » •

٤ ــ بنو قطبة : ومواطنهم في أعالي وادي « حلي » ، وتعتبر قرية « الشعبين » من مراكزهم ، ويقدر عددهم بعشرة آلاف ، وهم من الأزد ، ويقال لهم ولبني ظالم أمرفقة أي الرفقة•

٥ ــ بنو زيد : ومنازلهم في وادي « حسوة » وفي سفوح الجبل الذي يفصل بين واديي « حسوة » و « مربة » ، ويقدر عددهم بعشرة آلاف ، وهم من العدنانيين من تغلب •

٦ ــ آل صلب : ومراكزهم في وادي « كسان » ويقدر عددهم بعشرة آلاف ، ويطلق عليهم اسم قبيلة بني بكر ، وأحياناً يشمل هذا الاسم بني زيد أيضاً •

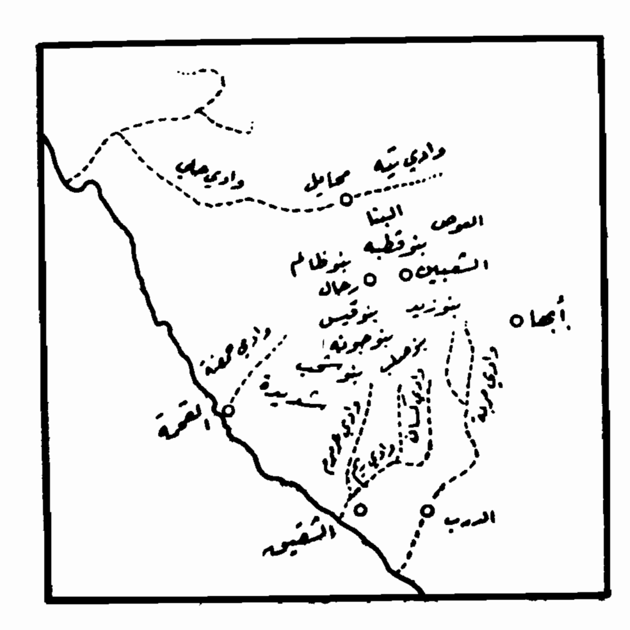
٧ ــ بنو شحب : ومنازلهم على عدوتي وادي « ريم » ، ويصل عددهم إلى خمسة عشر ألفاً ، ويرجعون بأصولهم إلى الأزد •

٨ ــ شديدة : ومن أودية هذه القبيلة « ريم » و « عرمرم » ويبلغ عددهم عشرة آلاف نسمة وهم من الأزد •

٩ ــ بنو العيص : كما يطلق عليهم آل العوص ، ويقيمون في وادي « العوص » ووادي « شصعة » وهما من روافد وادي « حلي » •

١٠ ــ البنا : وتقع منازلهم على ضفاف وادي « حلي » ولا يزيد عددهم على عشرة آلاف •

١١ ــ الصيق : وتنتسب إلى الصيق بن عمرو •



توزع قبائل رجال المع

العادات الاجتماعية عند رجال ألمع

تشتهر قبائل رجال ألمع بالكرم الذي يصل إلى حد الاسراف لكثرة الذبائح التي تقدم للضيف ، ومن أشهر الأطعمة المعروفة لديهم « العريكة » ، وتشتهر بها المنطقة كاملة ، وهي بر وسمن وعسل ، ويتفنن الأهالي بصناعة أشكال عدة منها ، ثم هناك « الثريف » وهو دخن ولبن وسمن ، وهناك « الحنيذ » .

وحالة السكان المادية دون الوسط بشكل عام .

ومن العادات الاجتماعية المعروفة والتي لها طابع مميز موضوع الزواج والختان .

فالزواج يتم بعد أن تحصل الموافقة على الفتاة ، فتذهب جماعة من أهل الرجل قد تتجاوز الثلاثين أحياناً إلى أهل الفتاة ، ويسمى هذا الجمع اسم « مُعَرِّسة » ، ويكون أهل الفتاة قد استعدوا لذلك ، وذبحوا الذبائح ، وخرجوا إلى ظاهر الدار يستقبلون أهل الرجل ، وقد يصطفون صفاً واحداً أو اثنين على جانبي الطريق ، وما أن يهلّ أهل الرجل حتى يرتفع صوت من المستقبلين « ارحبوا يا إخواننا وارحبوا » ويردد بقية المستقبلين بعده العبارة بصوت مرتفع ، ويجيب الضيوف « سلمتم والسلام عليكم » ثم يتصافحون ، ويسير الجمع إلى بيت ولي أمر الفتاة ، ويبيتون عنده ، ويتناولون في داره طعام العشاء ، ثم طعام الفطور

في الصباح ، ثم يتوزعون في بيوت القرية ضيوفاً لمدة يوم كامل ، ثم يعودون إلى قراهم أو إلى بيوتاتهم إن كانوا من القرية نفسها ، وبعد مدة يأتي أهل الفتاة إلى أهل الرجل ضيوفاً ويعاملون بالمعاملة نفسها . وعندما يتم الزفاف يذهب مع الفتاة عدد من النساء وأهل القرية ، وتعرف النساء المرافقات باسم «حوادي» ، ويسمى الرجال المرافقون لها « مُرَوِّحة » ، ويساعد الرجل بأن يدفع له أصدقاؤه وأقرباؤه وغيرهم معونة مادية ومساعدة مالية تعينه على إتمام حفلة الزفاف والولائم لأهل عروسه .

أما الختان فيجتمع له الناس قبل يوم من العملية ، وعادة ما يكون اجتماعهم بعد العصر ، وتقام العرضات ، وتحدث ألعاب شعبية في الليل وتسمى « السّمرة » ، وفي الصباح يعود الناس للاجتماع ، ويكون أمام الشاب الذي ستجري له عملية الختان ، فيختتن أمامهم ، والويل لأهله من العار إن هو تألم أو أبدى أية حركة ، ولهذا فإن الأهل يأبون أن يختن ولدهم قبل بلوغ سن الخامسة عشرة من عمره وقد يزيد ، وبعد الختان يرجع الناس إلى بيت الوالد مغنين فتكون الذبائح قد أعدت والطعام قد هيىء . ويقدم أخوال المختون بعض المال ويسمى « قَدّر » ويعمل لهم استقبال ، ويخطب أحدهم بعد الاستقبال ، ويسمون كلامه « رِدّة » . كما أن الفتاة تختن ولكن دون ولائم ، وفي يومها السابع وإن كانت تتم العملية بحفل نسائي مشهود .

ويعرف التعاون في رجال ألمع كما يعرف في المنطقة كلها ،

فيساعد بعضهم بعضاً في بناء البيت وسقفه والحائط على البستان الزراعي ، وقد يجتمع أهل القرية جميعاً لهذا العمل ، ويتم بيوم واحد ، وهذا بلا أجر ولا منة ، بل إنهم يأتون بطعامهم معهم حتى لا يكلفون صاحب البيت شيئاً .

وكذا عند المصائب ، فإذا ما فقد أحدهم عزيزاً ، اجتمعوا عنده أياماً يأتونه في الصباح وكل يحمل معه أرغفة من الخبز وطعاماً ليتمكن من إضافة الغرباء الذين يأتونه من خارج القرية . وبعد هذه الضيافة عند صاحب العزاء ينتقل الضيوف الغرباء إلى أهل القرية ليقوموا أيضاً بواجبهم بدورهم فكأن التعزية عامة لأهل القرية .

وأهل قرية « رجال » يسمون الجلوس للعزاء « فراشاً » فبعد أن ينتهوا من الدفن يذهب المشيعون إلى بيت المتوفى ويتلاحق بهم من لم تسعفه ظروفه بالمشاركة في التشييع وهناك توزع عليهم أقراص خبز الذرة والدخن يأتي بها أولياء المتوفى وجيرته مشفوعة بالقهوة .

ويستمر العزاء على هذه الحالة ثلاثة أيام في نهايتها يقرؤون ويهللون ، ويختتم الحفل بدعاء للميت وتوزع على من حضر أعواد الريحان الطرية [1] .

ومن العادات التي لها حرمة عندهم وعند قبائل عسير

---

(١) في ربوع عسير محمد عمر رفيع ص ٩٠ .

أيضاً رعاية السمي والالتزام نحوه بحقوق لا تجب للغير ، وذلك إذا ولد لأحدهم ولد وطمع أبوه في محالفته لشخص ذي مقام في القبيلة أو في غيرها من أحلافها سماه باسمه وكنيته ولقبه وبعث إليه يخبره بذلك وعندئذ يكون المسمى باسمه ملزماً بإكسائه وزيارته وإذا كبر عُدّ حليفاً ، له ما للحليف من حقوق وواجبات [1] .

اللباس : الملابس بسيطة وعادة ما تكون مئزراً إلى منتصف الساق ، وصدرية ذات أكمام ، والرؤوس حاسرة وإن بدأت تتغطى ، والشعر طويل ومرسل دون قص أو ضفر ، ومفروق من الوسط ، ومحاط بإكليل من النباتات ذات الرائحة ، أو بسير من الجلد محلى أحياناً بالفضة ، ويضعون الريحان في الوسط ويسمونها « غرارة » ، ولا بدّ من الجنبية (المُعَبَّرة) في الوسط .

أما النساء فقريب لباسهن من لباس الرجال ، فقميص أو فستان يلبس وإزار يأتزرن به وغالباً ما يكون من النوع الغالي ولهن تباهٍ كبير في ذلك . ويستعملن من الحلي « الخلخال » ويسمونه « حجل » و « الدملج» ويلبسونه في العضد ، ويخرقن أنوفهن لتحلى بخزام من الفضة ويسمونه (بالزمام) ويدثرن رؤوسهن بالخمر ويسمونها « مقالم » ، وغالباً ما تلبس نساء القرى القبعات « الطفشات » ، ويستعمل بعضها وهي النوع

---

(١) المصدر السابق ص ٩٥ .

الطويل كحقيبة تضع فيه المرأة المكحلة والمشط والمرآة وما إلى ذلك .

المرأة : ليس على المرأة سوى شؤون البيت إلا ما ندر أما الاحتطاب وجلب الماء فهو على غيرها ، وكثيراً ما يكون من حظ الفقيرات أو الموالي وهم كثير في قرية « رجال » أما في بقية القرى فتقوم المرأة ببعض هذه الواجبات خاصة وأنهن سافرات بينما في قرية « رُجال » وأهل الثراء فيضعن الخُمر .

والكرم معروف وصوت الهاون يدوي في الحفلات وبيوت الكبار باستمرار وأكواب القهوة تدار على الضيوف دائماً .

اللهجة : تشبه لهجة رجال ألمع لهجة عسير في قلب الكاف شيناً في مخاطبة الانثى ، وقلب النون راءً فيقولون فلان إبر فلان .

ويستعملون كلمة أهريت بمعنى أرسلت .

ميد بمعنى أريد .

سُعَيّل بمعنى صغير .

سُعَيِّلة بمعنى صغيرة .

ويستعملون ليس للنفي وقد لا يستعملون ما فيقولون لست ميد أي ما أريد .

العُمران والمراكز البشريَّة

تبنى البيوتات عادة بالأحجار حيث هي المادة الأولية التي تقدمها الأرض بسخاء ، أما السقوف فتبنى بالأخشاب والتراب وذلك لوفرة الأشجار وصلاحية أخشابها للبناء . وغالبا ما تكون النوافذ صغيرة رغم عدم وجود البرد ولكن ذلك أصبح فناً نبع عن كثرة الحروب في المنطقة ولكن الأبنية الحديثة بدأت تظهر في القرى الكبيرة ، وإن كانت قليلة والتطور بطيئاً ، وإن مما يعيق التطور السريع ويحول دونه عقبة « رَز » وعقبة « الصماء » حيث لا تجتازهما إلا الدواب وبشكل بطيء مع الحذر الشديد وبخاصة إذا ما انهمرت الأمطار وجرت السيول . أما الآن فقد أصبحت السيارات تجتاز عقبة رز .

والأبنية تتألف عادة من طابق أو اثنين سوى قرية « رجال » فتتعدد الطوابق وتصل إلى خمسة أو ستة . ولما كانت المرأة همها الأول البيت وواجبها تدبير شؤونه فإظهاره بمظهر الجمال إنما يدل على ذوق المرأة صاحبة البيت . لذا نرى البيوت ملونة من الداخل بمختلف الألوان ، ومزينة بالنقوش ، ومرتبة عليها الرفوف التي تحمل أدوات المطبخ بشكل أنيق ، حتى السقوف مزخرفة وملونة ، وأرض البيت عليها دوائر ومخططة بالطين ، ومن أشهر مراكز تجمع السكان هي :

١ — « رُجال » ، وهي حاضرة القرى وقبائل ألمع المختلفة،

وتقع في صدر وادي « كسان » وتبنى بيوتها على ضفتيه ويرتفع بعضها فوق بعض على السفوح ، وتصل في ارتفاعها إلى ستة أدوار ويمتلك كل دور إنسان ، ولطبيعة الارتفاع على السفح كثيراً ما يكون السطح مدخلاً لبيت آخر • ونوافذها ضيقة ، ولا يختلف فن بنائها عما ذكرناه آنفا في قبائل ألمع كلها •

وهي قرية حديثة لا يزيد عمرها على الألف عام ويقال : إن أول من بني فيها رجل من اليمن من مدينة « بيت الفقيه » ويسمى موسى بن خثعم وينتسب إليه آل الحفظي ، كما أن من أحفاده رجلاً يسمى الشيخ بكري ويعتبره آل الحفظي جدهم الأعلى لذا تسمى أحياناً بقرية الشيخ بكري • وهذه الأسرة أكثر الأسر شهرة ، وأبناؤها أهل علم ، ولهم موهبة بالشعر وللواحد منهم حق لقب « الفقيه » ولو كان جاهلاً •

يبلغ عدد سكان القرية اليوم ما يناهز ١٥٠٠ نسمة ، وهي مركز بني ظالم •

٢ ـ الشعبين : وتقوم عند ملتقى وادي « العوص » بوادي «حلي» وعلى السفوح الجبلية المشرفة عليها ، ويطلق هذا الاسم في الأصل على شعبين صغيرين من مآتي وادي حلي المشهور يسمى أولهما (الأحد) ويعرف الثاني باسم (صوله) • ولا يزيد سكانها على ١٥٠٠ نسمة ، ويقوم السوق فيها يوم الأحد ، وهي مركز بني قطبة وفيها الدوائر الحكومية التي تشرف على قبائل ألمع وهذا ما جعلها تنمو وتتسع •

وتبنى بيوتها من الحجارة ، ولكن أدوارها قليلة قلما تتجاوز الثلاثة ، ويرجع تأسيسها إلى عام ١٢٨٨ هـ يوم دخول محمد رديف باشا عسير •

ويفصل بين هاتين القريتين عقبة « رز » التي سبق أن تحدثنا عنها •

٣ ـ البتيلة : وهي حاضرة بني قيس بن مسعود ، وهي جنوب « رُجال » وعلى مقربة منها في مرتفع جنوبي وادي الميل •

٤ ـ كسان : وهي مركز قبيلة بني جونة •

٥ ـ قرية الجوز : مركز قبيلة البنا في المرتفع القائم بين واديي « شصعة » و « فو » من روافد وادي (حلي) •

٦ ـ ثاه : وهي مركز قبيلة بني زيد في مرتفع قرب وادي « ثاه » •

١ ـ غنمة : حاضرة قبيلة العوص ، على مرتفع قرب وادي العوص •

٨ ـ الكرى : حاضرة آل صلب ، وتقابل « ثلوث ريم » على الجهة اليسرى لوادي « كسان » •

٩ ـ غمرة : حاضرة قبيلة الشديدة في مرتفع غربي قرية « رجال » تقريبا •

١٠ ـ ثلوث ريم : حاضرة بنو شحب في المرتفع بين واديي « ريم » و « شوقب » •

المراكز البشرية في بلاد رجال المع

ومن القبائل الموجودة في تهامة أيضاً ٠

١ ــ قبائل بارق: وتقع منازلها حول بارق التي هي حاضرتهم ، وتنحدر هذه القبائل من أصل قحطاني من الازد ، عدا عدة بيوت منها تنتمي إلى الاشراف ويطلق عليهم (السادة) ويقدر أفراد هذه القبائل بخمسين ألفاً ٠

ومن أهم أوديتهم وادي بارق ومآتيه من جبال (إثرب) و (ريدان) ، وينحدر إلى الغرب حتى يصب في وادي (حلي بن يعقوب) ، وترفده عدة أودية منها : وادي (شرى) و « خبت آل حجري » ٠

وهم عدة بطون منها : آل سباعي ــ آل حجري ــ آل سالم ــ آل جبلي ــ آل موسى ــ آل عرام ــ آل صعبان ــ آل رايان ــ حميضة ــ المهاملة ٠

٢ ــ قبائل محايل : وهم عدة قبائل تتبع بلدة محايل ٠وهذه البلدة حديثة العهد تعود إلى أيام حكم الوالي العثماني محمد رديف باشا عام ١٢٨٨ هـ الذي أقام عدة قلاع لا تزال ماثلة إلى الآن ، وهي تقع على ضفاف وادي « تيه » الذي يرفد وادي « حلي » ومن هذه القبائل :

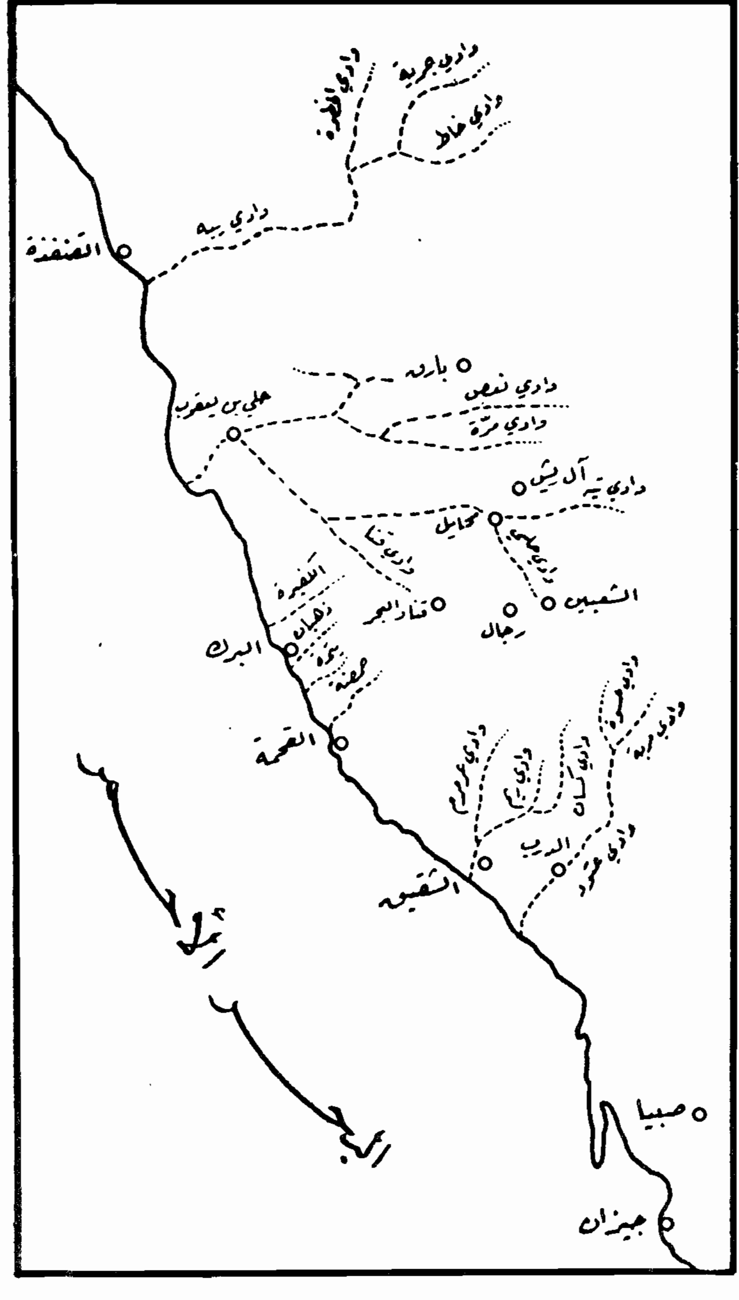
آل موسى : وتقع منازلهم على وادي « تيه » ، وحاضرتهم مدينة محايل ، ويقيم قسم منهم على الساحل الجنوبي من (حلي ابن يعقوب) ، ويقدر عدد أفراد هذه القبيلة بخمسين ألفاً ، ويلقب شيخها عادة باسم « امخالد » أي الخالد وأغلب أفرادها من العدنانيين ٠

آل مشول : وتقع منازلهم على وادي « مِرّة » ومآتية من قمم جبال بالأسمر وبالأحمر ، وينحدر نحو تهامة حتى يصب في وادي حلي بن يعقوب ٠

آل الدريب : ويتبعون محايل ٠

الريش : ويتبعون محايل أيضاً ، وتتبعهم القبيلتان السابقتان ٠

آل مسمر : ويقدر عددهم بعشرة الآلاف ٠



(وزارة المعارف – المكتبات المدرسية)

بنو ثوعة : وتقع منازلهم جنوبي محايل وحاضرتها القاعد .

قبائل المنجحة : ويقيم أفرادها على وادي عسلان ، وهم من البدو . ويتبع قسم منهم القحمة ، ويقدر عددهم بأربعين ألفاً.

٣ ــ قبائل قنا والبحر : ومساكنهم على ضفاف وادي قنا، وهم خليط من العرب ، ويقدر عددهم بخمسين ألفاً .

٤ ــ بنو شعبة : ويقيمون في جنوبي تهامة عسير وحاضرتهم الدرب وتعرف بدرب بني شعبة . هذا بالاضافة إلى قبائل ثانية تعيش بين هذه القبائل بعضها لا يزال يعيش بدوياً ، وبعضها الآخر مستقراً .



قبائل تهامة عسير

الفصل الرابع

رجال الحجر

الحجر هو ابن الهنو بن الأزد ويقصد برجال الحجر خمس قبائل هي: بالأحمر ، وبالأسمر ، وبنو شهر ، وبنو عمرو ، وبالقرن، وتقيم في السراة شمالي سراة عسير كما أن قبائل أخرى تتبعها وتقطن تهامة •

١ — بالأحمر : وتقع منازلها على ضفاف أودية عبل وصبح وبيحان والماوين ، وتتجه نحو الشرق لترفد وادي بيشة،وبطونها كثيرة تزيد على ستة وثلاثين بطناً ، ومركزها بلدة الماوين ، ويقدر عدد أفرادها بثلاثين ألف نسمة ، ومعظمهم يقيم في السراة•

٢ — بالأسمر : وهم إلى الشمال من بالأحمر وأهم أوديتهم وادي « يعا » ويأتي من أعلى السراة وتأتيه الروافد ،وتسير مياهه نحو الشرق لترفد وادي بيشة ، وحاضرتهم آل خريم أو (اثنين بالأسمر) لأن السوق يقام فيها يوم الاثنين لذا عرفت بهذا الاسم• وتبدأ بلادهم من وادي « عبالة » ، وثلثا هذه القبيلة يقيمون في تهامة ، ويقدر عدد القبيلة بأربعين ألفاً •

٣ — بنو شهر : وأشهر أوديتها وادي تنوّمة ويأتي من أعالي السراة باتجاه الشرق ليرفد وادي ترج المشهور والذي يقال : إن الأسود كانت تكثر فيه ، هذا ما أورده الهمداني في كتابه

« صفة الجزيرة العربية » وأهل المنطقة يقلبون الجيم ياء لـذا يلفظونه « تري » ، وأخيراً تؤول مياه وادي ترج إلى وادي بيشة.
أما وادي تنومــة فترفده عدة أوديــة منها « سدوان » و « نحيان » و « منعا » وغيرها من الروافد .

وينقسم بنو شهر إلى قسمين رئيسيين همــا « سلامان» و « بنو الاثلة » وكل من هذين القسمين يتألف من عدة بطون .
وحاضرة هذه القبيلة « النماص » واسمها القرية ، وسميت بالنماص لوجود شجر النمص فيها ، وهي بلدة يسكنها آل العسلي أمراء بني شهر ، ومنذ أيام الحاكم العثماني محمد رديف باشا عام ١٢٨٨ هـ أصبحت مركز بني شهر إذ بني فيها مركز للحكومة . وفي الجنوب الغربي من بلدة النماص توجد أعلى مرتفعات البلاد حيث يرتفع جبلان يعرفان باسم « تلتحصْن » ، ويوجد فوقهما أغلب الأحيان قطع من السحاب الأبيض . كما ترتفع في غربها في تهامة ثلاثة جبال منفصلة عن السراة ، وتعتبر من جبال تهامة ولا يقل ارتفاعها كثيراً عن جبال السراة التي تقابلها ، وهذه الجبال تعرف باسم « ثَرَبان » و « نَهوَ » و « ريَمان » . والارتفاع يصل إلى ألفي متر تقريباً، وبهذا الارتفاع نجد النماص تشبه مدينة أبها.
ومن أشهر قبائل بني شهر :

أ ــ شهر ثرامين ، شهر الشام ، بنو عبس .

ب ــ بنو القيم .

ج ــ العوامر .

د ــ بلحارث : ويطلق على هذه القبيلة اسم « الشعفين ». وبعض بطونهم يعيشون في تهامة في وادي « بقرة » .

هـ ــ ثربان : ويقيم أفراد هذه القبيلة في الجهات الغربية من بلاد بني شهر . ويقدر عدد بني شهر بمائة ألف نسمة .

أما تنومة فقد أصبحت مركز الإمارة عامة ، وهي مدينــة تاريخية وقريبة من بلدة النماص وإلى الجنوب منها بحيث يمكن أن ترى منها .

٤ ــ بنو عمرو ويقدر عددهم بسبعين ألفاً . وتقع منازلهم شمالي سراة الحجر ، وتختلط منازلهم مع مساكن أبناء عمهم بني شهر ، وتنحدر أوديتهم نحو « وادي تَرج » ثم تؤول في النهاية إلى وادي بيشة .

وهم جزءان كبيران بنو تميم وبنو كعب .

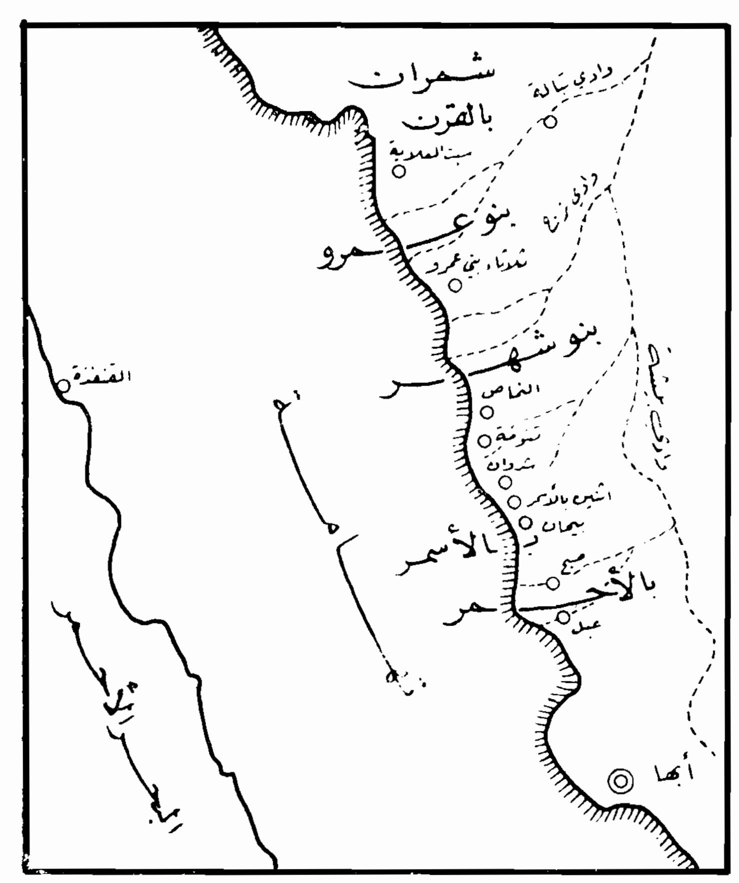
وأكثر بيوت هذه المناطق مبنية بالحجارة ، وترتفع إلى عدة طبقات تصل إلى أربعة أدوار باستثناء بيوت بالأحمر فإنها مبنية الجدران بالحجارة في قسمها الأسفل أما القسم الأعلى فمقام من اللبن . ونوافذها صغيرة ، وليس في الجدران من الداخل تلك الزخارف التي وجدناها في بلاد عسير ورجال المع وإنما مطليــة بالطين فقط .

أما العادات فهي قريبة من عادات جبال الحجاز في غامــد وزهران وإن كان منها مايشبه عادات قبائل عسير أو نستطيع

أن نقول : إن رجال الحجر لهم عادات تشبه عادات سكان جبال الحجاز وأخرى تشبه قبائل عسير أو هي مرحلة انتقالية بين المنطقتين • فالرجال يلبسون عادة الثياب البيضاء ، أما النساء فيلبسن السوداء أو الملونة ،هذا بالنسبة إلى السراة،أما في تهامة فالوزرة هي الشائعة ، وتلبس النساء القبعات « الطفشة » وهن عادة سافرات الوجه واليدين بسبب مساعدة الرجل في أعماله أو لكثرة الأعباء الملقاة على عاتقهن ، وإن كانت هذه الأعباء قد بدأت تقل . فلم تعد المرأة تنزل الى السوق لتأخذ حاجات بيتها إلا نادراً إذ أصبحت هذه من وظائف الرجل •

وبالنسبة إلى اللهجة فاستبدال أل التعريف بأم غير معروفة، بينما الجيم غير موجودة عندهم وإنما يستبدلونها بحرف الياء كما رأينا •

٥ ــ بالقرن : وتقع منازلهم في شمال بلاد بني عمرو ، وحاضرتهم العلاية وتعرف عادة باسم « سبت العلاية » حيث يقام السوق فيها يوم السبت •



بلاد رجال الحجر

الفصل الخامس

شهران

شهران قبيلة كبيرة ولهذا تسمى العـريضة ، وهي تسكن وادي بيشة وفروعه عدا بعض أعاليه حيث تقيم فيها قبيلة رفيدة من قحطان • كما توجد في مجراه الأسفل بعض فروع من قبائل خثعم وأكلب وبلحارث وبالقرن وشمران • وكذلك فإن هـــذه القبيلة تملك منطقة وادي المسيرق الذي يتألف من اجتماع أودية السليل وخيبر والشيق • ويسكن بعض شهران قسماً من منطقـة الشعف تسمى شعف شهران وفيها عدة قرى منها القرعاء،ومسقى، وتمنيه ، وبني جابرة ،وآل سرحان ، وآل القارية ، وآل ينفع وكذلك يقيم أفرادها في سيل القاع أحد روافد وادي تثليث •

ولكثرة هذه القبيلة فإن بعضهم يعيش في إمارة بيشة كما أن بعضهم يقيم في إمارة نجران ، ولكن القسم الكبير منها إنما يتبع إمارة أبها •

والقبيلة من أصل قحطاني عدا شعف إراشة فإنهم ينحدرون من عنز أي من القبائل العدنانية •

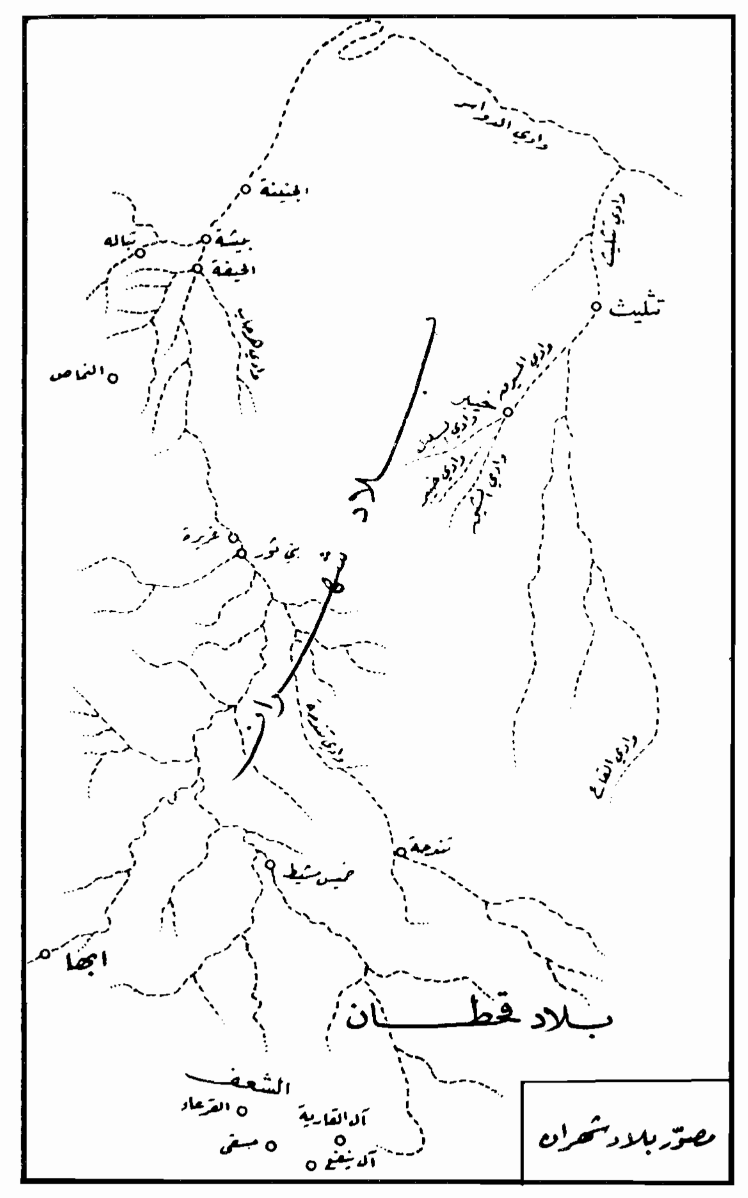
وشهران عدة بطون أشهرها : آل رشيد ، آل الغمر ، بنو بجاد ، ناهس ، بنو منبه ، بنو واهث •

ويصل تعداد أفرادها إلى ٢٥٠ ألف نسمة ، ومركزها خميس مشيط ، وتنسب إلى ابن مشيط شيخ القبيلة ، ويكون السوق فيها يوم الخميس • وتقع على واد يعرف باسمها ، وهو فرع من وادي بيشة • وفيها مطار يقع إلى الشرق منها على مسافة قريبة•• بينما لا يوجد مثله في مدينة أبها ولذا فهي ثغر عسير الجوي •• كما أن معسكر المنطقة يقع إلى الجنوب منها ، والمعسكر منـذ القديم يقام فيها • ولا تبعد عن مدينة أبها سوى ٢٧ كيلو متراً •

وكان الشائع قديماً في بلاد شهران سفور النساء واختلاطهن مع الرجال ، ورخص مهورهن ، وكثرة الأعمال التي يكلفن بهـا إضافة إلى أعمال المنزل مثل الاحتطاب ونقل الماء وسقي الماشية والبيع في الأسواق ، وقد زالت أكثر هذه الظواهر الآن •

ومن المراكز الهامة التي تتبع أبها تثليث ، وهي ملتقى عـدة أودية تجتمع كلها وتعرف باسم وادي تثليث حيث تؤول مياهه إلى وادي الدواسر في النهاية ، وتبعد هذه القرية عن مدينة أبها مسافة ٢٥٠ كم ، وعن بيشة مسافة ١٠٠ كم وعن الدواسـر ٢٠٠كم • وهذا المركز في منطقة صحراوية تقل فيه المياه وإن كانت الميـاه الجوفية قريبة من سطح الأرض يمكن الحصول عليها بالحفر العادي • والطريق الذي يصلها بأبها لا تقوم الآبار عليه ••• مما يضطر المسافر إلى أن يتزود بالماء قبل رحيله •

وتثليث مركز قديم وقـد جاء في « صفة جزيرة العرب » (تثليث كان لعمرو بن معد يكرب الزبيدي وفيه حصن ونخيل، وفيه القرار والريان وجاش) •



الفصل السادس

قحطـــان

قبيلة قحطان في عسير مجموعة قبائل تعـود إلى خولان وهمدان تسكن ما بـين ظهران الجنوب وقبيلة شهران ومن أهم أوديتهـا : ظهران ـ تثليث ـ الجوف ـ سنحان ـ بشـر ـ بعوض ـ الراحة •

وهي عدة قبائل منها :

١ ـ وادعة : وترجع إلى همدان وتقيم على ضفاف وادي ظهران شمال بني صحار وغرب قبائل حبونة وبدر وهي مجموعة بطون منها : آل حيـان ومشايخهم مسـفر بن سعيد ابن عريعر ومعيض بن علي ابن كعبان ، آل سيار ـ آل زاهر ـ آل رشيد ـ المخاضي ـ آل ثابت ـ آل جبير ـ آل مونس ـ سحامي ـ القضاه ـ آل علي بن محمد ، ولكل قبيلة شيخها الخاص •

وشيخها ابـن دليم ويقدر عدد أفرادها بستين ألفاً •

٢ ـ سنحان : ويقدر عددها بخمسين ألفاً ، وشيخها ابن راسي وهو الآن ناصر بن حسين • وهي عدة بطون منها :السلاطين ـ آل يعلى ـ آل زائد ـ آل ذربة ـ آل مرتفع ـ الخمجات ـ هباله وشيخها جابر بن علي بن مهمل ، والجبـاب الذين شيخهم جراب بن حسن بن ذيب الجمحي •

وتعود في أصولها إلى خولان •

٣ ــ بنو بشر وشريف : وتختلط منــازل هاتين القبيلتين •
أما بنو بشر من جنب بن سعد فشيخهم سعد بن عبد الهادي بــن ثقفان ، وأما شريف وما يتبعها فشيخها ابن دليم وهو سعيد بــن محمد بن دليم • ويقدر عدد أفراد هاتين القبيلتين بستين ألفاً •

٤ ــ عبيدة ورفيدة : أما عبيدة فهي من خولان أي قحطانية، ويقدر عدد أبنائها بخمسين ألفاً ،وأميرها ابن شفلوط وهي عــدة بطون منها :

١ ــ آل الصقر : ومنهم آل عابس وآل بسام وآل الجلــدة وآل حبيل والجرابيع ، وشيخهم هيف بن سعد بن سليم•

٢ ــ بنو طلق : وهم آل زهير والمنادية وشيخهم محمد بن جلاله المندي •

٣ ــ آل معمر : وشيخهم سعد بن حسين بن فردان •

٤ ــ بنو شداد : ومنهم آل الفهر وآل الجرو وآل مهــدي وآل زيدان والعرجان وشيخهم ذيب بن عشق بن زيد بن شفلوت الصيغمي ومقره في الصبيخة •

٥ ــ آل معمر في المضة وشيخهم عايض بن افردان بن مشفلت •

٦ ــ آل سليمان الحرقان وشيخهم بن فهد بن جافل، ويسكن بوادي العرين من طريب وهو الحد بين سنحان وعبيدة •

٧ ــ المساردة : وشيخهم حجل بن شري وغيرهم من بطون عبيــدة التي انتشرت في نجد وحائل •

ومنهم ١ ــ الحاف وشيخهم عبد العزيز بن محمد بن عامر •

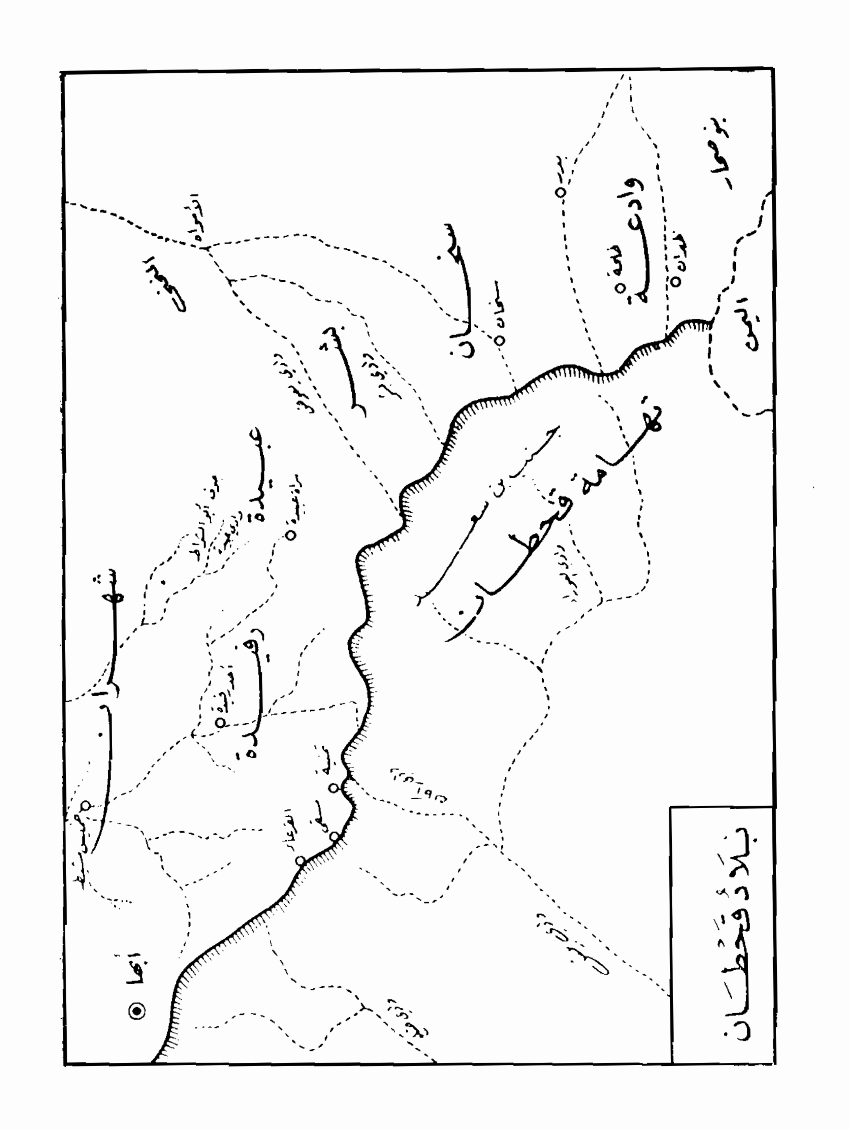
٢ ــ دعي وولدقيس وشيخهم حسين بن صـمّان بن سالم بن غتـّام •

٣ ــ جارمة وخطاب وشيخهم سعيد بن علي بن حسين بن هيف ، وهم من خولان •

أما رفيدة فهي عدنانية وتعود إلى عنز بــن وائل وتقــدر بخمسين ألفاً •

وهناك قبائل أخرى صغيرة هي: قشة وآل الشواط ويقــدر عدد القبائل جميعها بخمسة وعشرين الفاً •

ويقال لبدو تهامة قحطان جنب بن سعد •



عدد السكان

قبائل عسير : ١١٠ر٠٠٠

علكم	٢٥٠٠٠
بنو مغيد	٣٠٠٠٠
ربيعة ورفيدة	٢٥٠٠٠
بنو مالك	٢٥٠٠٠
قبائل تابعة	٥٠٠٠

رجال ألمع : ١١٥ر٠٠٠

بنو قيس	١٥٠٠٠
بنو جونة	١٢٠٠٠
بنو ظالم	١٥٠٠٠
بنو قطبة	١٠٠٠٠
بنو زيد	١٠٠٠٠
آل صلب	١٠٠٠٠
بنو شحب	١٥٠٠٠
شديدة	١٠٠٠٠
بنو العيص	٨٠٠٠
البنا	١٠٠٠٠

قبائل تهامة : ٢٤٠ر٠٠٠

بارق	٥٠٠٠٠

محايل	١٥٠٠٠٠	
بنو شعبة	٣٠٠٠٠	
قبائل آخرى	١٠٠٠٠	
رجال الحجر :		٢٤٠ر٠٠٠
بالأحمر	٣٠٠٠٠	
بالأسمر	٤٠٠٠٠	
بنو شمر	١٠٠٠٠٠	
بنو عمرو	٧٠٠٠٠	
قبائل شهران :		٢٥٠ر٠٠٠
قحطان :		٣٦٠ر٠٠٠
وادعة	٦٠٠٠٠	
سنحان	٥٠٠٠٠	
بشر وشريف	٦٠٠٠٠	
عبيدة	٥٠٠٠٠	
رفيدة	٥٠٠٠٠	
الجارمة وخطاب	٥٠٠٠٠	
قبائل آخرى	٢٥٠٠٠	
بدو تهامة	١٥٠٠٠	
		١٣١٥٠٠٠

وبهذا يكون عدد سكان منطقة عسير أكثر من مليون وربع المليون وأعتقد أن هذا الرقم مبالغ فيه لأن شيوخ القبائل كثيراً ما يعطون أرقاماً تزيد عن الحقيقة واعتقادي هذا يعود إلى الاحصاء الذي جرى في المملكة العربية السعودية عام ١٣٩٤ هـ والذي دل أن عدد سكان المملكة لا يزيد على أربعة ملايين ونصف المليون ، وما أعتقد أن سكان منطقة عسير يزيدون عن خمس سكان المملكة وبهذا أتوقع أن يكون العدد المقبول لسكان المنطقة هو ثلاثة أرباع المليون .

* * *

الباب الثالث

التـــاريخ

الفصل الاول

بلاد عسير في العصور الإسلامية

كان لقبائل عسير في الجاهلية مركز كبير بين القبائل العربية، وقوة يخشى بأسها وبخاصة في وقت كانت قيمة القبائل بقوتهـا ومركزها بعدد أفرادها ، وقد أضافت مناعة بلادها زيادة إلـى جانبها المرهوب ، فقد وضعت الأزد أتاوة على عير قريش المنطلقة نحو اليمن في رحلتها الموسمية في فصل الشتاء .

وعندما شع نور الإسلام في الجزيرة العربية وأصبحت المدينة المنورة مركز انطلاقه ومنطلق اشعاعه على حين بقيت مكة المكرمة تقف في وجهه وتحول دون اتساعه وكان سكانها من قريش قادة الصادّين عن دين الله ، وأبطال الواقفين أمامه ، ولهم ما لهم مـن مركز بين قبـائل العرب لمـا لهم من مهابة وما لمدينتهم من قداسة وكذا كانت الطائف وسكانهـا من ثقيف ، ولمـا كـانت المدينتان مكة والطائف تقعان بين المدينة وعسير ، فقد حالتا دون وصول

الاسلام إلى هذه البقعة وهذا ما يعلل سبب تأخير وصول الإشراقة المساوية إلى هذه المنطقة من أرض العرب •

ولما فتحت مكة المكرمة للمسلمين،ودانت لهم الطائف، وخضع لهم ما حولها من قبائل وأعراب ، وزالت الأصنام ودالت دولة الشرك ، وابتدأت القبائل تدخل في دين الله أفواجاً وصل شعاع الحق إلى عسير فوفد الصرد بن عبدالله الأزدي رضي الله عنه في السنة العاشرة للهجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس وفد من قومه •

أسلم الصرد بن عبدالله رضي الله عنه على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمّره على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بهم من كان يليه من أهل الشرك ، فخرج رضي الله عنه حتى أحاط بمدينة جُرش قاعدة منطقته التي كانت تعرف باسم مخلاف جرش ، وحاصرها حصاراً شديداً استمر ما يقرب من شهر عجز فيه عن فتحها ، فانشمر عنهم وكأنه يريد إيهامهم بأنه منهزم فخرجوا في طلبه حتى إذا كانوا بسفح جبل شكر ، عطف عليهم فقاتلهم قتالاً شديداً ، فانهزموا أمامه واعتصمت فلولهم بالمدينة جرش ، وأخيراً صالحوه على الفيء ، وكان منهم بعد عصر يوم الوقعة وفد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما رجلان فقط

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي بلد شكر ، فقال وفد جرش : يارسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر ، فقال صلى الله عليه وسلم إنه ليس بكشر ولكنه شكر ، قال الوفد : فما شأنه يارسول الله ؟ فقال : إن بدن الله لتنحر عنده الآن ، وجلس وفد جرش إلى أبي بكر وعثمان فقالا لهما : ويحكما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينعي لكما قومكما فقوما إليه فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما ، فقاما إليه فسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ، فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى قومهما ، فوجدا قومهما أصيبوا في اليوم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر •

تولى الصرد بن عبدالله رضي الله عنه أمر هذا الأقليم ،وكان أول من وليه بعد ظهور الإسلام وقد بقي عاملاً لرسول الله على جرش حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وجاء في كتاب البداية والنهاية لابن كثير ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل في قدوم الأزد على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر أبو نعيم في كتاب معرفة الصحابة والحافظ أبو موسى المديني من حديث أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت أبا سليمان الداراني، قال: حدثني علقمة بن مرثد بن سويد الأزدي، قال: حدثني أبي عن جدي عن سويد بن الحارث، قال: وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمّا دخلنا عليه وكلمناه فأعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال: ما أنتم؟ قلنا: مؤمنون، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم » قلنا خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا بها رسلك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا أن نعمل بها، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها حتى تكره منها شيئاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما الخمسة التي أمرتكم بها رسلي أن تؤمنوا بها؟ » قلنا: أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، قال: « وما الخمسة التي أمرتكم أن تعملوا بها؟ » قلنا: أمرتنا أن

(١) عن الحلبية فقط.

نقول لا إله إلا الله، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلاً. فقال: « وما الخمسة التي تخلقتم بها في الجاهلية » قالوا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والرضا بمر القضاء، والصدق في مواطن اللقاء، وترك الشماتة بالاعداء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء » ثم قال « وأنا أزيدكم خمساً فيتم لكم عشرون خصلة إن كنتم كما تقولون، فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غداً زائلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا فيما عليه تقدمون، وفيه تخلدون ». فانصرف القوم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظوا وصيته وعملوا بها [١].

وبقي الصرد بن عبدالله والياً على جرش حتى انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، وجرش مدينة بائدة ولا زالت أطلالها قائمة، وتقع على قاع منبسط بالقرب من سفح جبل شكر من جهته الغربية، وهذا الذي وقعت عنده الموقعة بين من آمن من أهلها ومن كفر، ويقع في بلاد رفيدة الآن شمالي بلدة (أحد رفيدة) ويبعد عن أبها مسافة ٤٠كيلو متراً إلى الجنوب الشرقي منها وقد جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي في مادة جرش:

(١) البداية والنهاية ٩٤/٥. طبعة مكتبة المعارف ببيروت ومكتبة النصر بالرياض.

جُرَش : بالضم ثم الفتح ، وشين معجمة ، من مخاليف اليمن من جهة مكة ، وهي في الاقليم الأول ، طولها خمس وستون درجة ، وعرضها سبع عشرة درجة ، وقيل : إن جرش مدينة عظيمة باليمن وولاية واسعة ، وذكر بعض أهل السير أن تبعاً «أسعد بن كليكرب» خرج من اليمن غازياً حتى إذا كان بجرش ،وهي إذ ذاك خربة ، ومعد حالّة حواليها ، فخلّف بها جمعاً ممن كان صحبه رأى فيهم ضعفاً ، وقال : اجرشوا هاهنا أي البثوا فسميت جرش بذلك ، ولم أجد في اللغويين من قال ان الجرش المقام ، ولكنهم قالوا إن الجرش الصوت ، ومنه الملح الجريش لأنه حك بعضه ببعض فصوّت حتى سُحق لأنه لا يكون ناعماً ؛ وقال أبو المنذر هشام : جرش أرض سكنها بنو منبه بن أسلم فغلبت على اسمهم وهو جرش واسمه منبه بن أسلم بن زيد بن الغوث ......

ثم قال : وقرأت بخط جخجخ النحوي في كتاب أنساب البلدان لابن الكلبي : أخبرنا أحمد بن سهل الحلواني عن أبي أحمد محمد بن موسى بن حماد البريدي عن أبي السري عن أبي المنذر قال : جرش قبائل من أفناء الناس تجرشوا ، وكان الذي جرشهم رجل من حمير يقال له زيد بن أسلم ،خرج بثور له عليه حمل شعير في يوم شديد الحر فشرد الثور ، فطلبه فاشتد تعبه ، فحلف لئن ظفر به ليذبحنه ثم ليجرشن الشعير وليدعون على لحمه . فأدركه بذات القصص عند قلعة جراش ،وكل من أجابه وأكل

معه يومئذ كان جرشياً ؛ وينسب إليها الأدم والنوق فيقال : أدم جرشي وناقة جرشية ؛ قال بشر بن أبي حازم :

تَحَدَّرَ ماءِ البئر عن جرشيةٍ
على جِرْبةٍ ، تعلو الديار غروبُها

يقول : دموعي تحدر كتحدر ماء البئر عن دلو تسقى بها ناقة جرشية ، لأن أهل جرش يسقون على الإبل ؛ وفتحت جرش في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ،في السنة العاشرة للهجرة صلحاً على الفيء وأن يتقاسموا العشر ونصف العشر ؛ وقد نسب المحدثون إليها بعض أهل الرواية ،منهم الوليد بن عبد الرحمن الجرشي مولى لآل أبي سفيان الأنصاري ، يروي عن جبير بن نفَير وغيره ؛ ويزيد بن الأسود الجرشي من التابعين ، أدرك المغيرة بن شعبة وجماعة من الصحابة ، كان زاهداً عابداً سكن الشام ، استسقى به الضحاك بن قيس وقتل معه بمرج راهط .

أما الهمداني المتوفى عام ٣٣٤هـ فيقول : جرش كورة نجد العليا وهي من ديار عنز ويسكنها ويترأس فيها العواسج من أشراف حمير وهو من ولد يريم ذي مقار القيل ولهم سؤدد عود وجابة اليمانية في أرض نجد إليهم وهم يقومون معهم بحرب عنز وفي شق قرية جرش فرق من النزارية يدعون الجزارين من موالي قريش والغازين نزار من الغرباء وهم رابطة لعنز على العواسج ويملي إليهم عنز بصرخها ونجدتها . وجرش في قاع ولها أشراف غربية بعيدة منها تنحدر مياهها في مسيل يمر في شرقها بينها وبين

حمومة ناصية تسمى الأكمة السوداء ـ حَمُومة وَحمَّة وكولة ـ ثم يلتقي بهذا المسيل أودية ديار عنز حتى تصب في بيشة بعْطان ، فجرش رأس وادي بيشة ويصالي قصبة جرش حَزيمة من عنز ثم يواطن حزيمة من شامها عسير قبائل من عنز وعسير يمانية تنزرت ، ودخلت في عَنز فأوطان عسير إلى رأس تيّه وهي عقبة من أشراف تهامة (1) .

وتولى أمر جرش في أيام الصديق رضي الله عنه عبدالله بن ثور وقد طلب منه الصديق أن يمده بالمؤمنين من منطقته ليقاتل المرتدين ، وقد فعل ، واستمر في إمرته أيام عمر وعثمان رضي الله عنه وبعد ذلك كانت عسير تتبع مكة المكرمة .

شاركت قبائل عسير مع الجيوش الاسلامية بالفتوحات والانطلاق خارج الجزيرة العربية ، فلما توقفت الفتوحات عاش سكان المنطقة في مرتفعاتهم حياة هادئة مطمئنة يخضعون للدولة ويدينون بالولاء للوالي الذي يتبعون إليه في مكة المكرمة .

ولما قامت الدولة العباسية وبدأت تلاحق بني أمية وتقاتلهم توزعوا في الأمصار واختفوا في الأقاليم وبخاصة الغربية منها والجنوبية ، وقد استطاع أحدهم وهو علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أن يصل إلى عسير

(1) صفة الجزيرة العربية تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ـ اشراف حمد الجاسر ـ منشورات دار اليمامة بالرياض .

وأن يؤسس أسرة تتسلم زعامة عسير وإمارتها ، ولم يمض على ذلك سوى عدة سنوات ، واستمرت الزعامة فيها حتى العصر الحديث غير فترات قصيرة كان يقع خلالها خلاف بين أبناء العمومة وفروع الأسرة على من يتسلم الزعامة وفي أيها تكون الإمارة ؟ وهو ما يقع دائماً في الأسر على مدار التاريخ ، وعندها يضعف أمرها وتتنطح إليه غيرها ثم لا يلبث أن يعود إليها . كما يمكن أن يضعف شأنها عندما يقوم عميدها بحركة على الدولة أو يحارب أميراً آخر مجاوراً له أو منافساً وتكون النتيجة هزيمة أهل عسير أو مقتل قائدهم ، وكذلك لا يلبث بعد مدة أن يرجع الأمر كما كان وأن يرجع الأولاد إلى رئاسة البلاد .

إن الأمير الذي يولد في حضن العز وينشأ في بيت كريم المنبت لا يستطيع أن يكون إلا كذلك وإن حطت به الأيام او أذلته الظروف إذ لا تلبث أن تحرّكه أرومته وتدفعه سمعته وأمجاد سلفه أن يعود إلى مكانه الطبيعي فيأتيه الناس مقدرين له حسبه ووضعه الذي هو فيه فإن النفس البشرية لترحم عزيز قوم ذل وتشفق على إنسان حط به القدر ، هذه الرحمة وهذه الشفقة تجعلان له من وضعه الضعيف مركزاً محترماً وموضعاً لائقاً . وإذا كان هذا العزيز قوي الحجة طلق اللسان استطاع أن يجعل من وضعه الذي هو فيه قوة ومن مطلبه حقاً ومن رغبته عدلاً ، وكثيراً ما كان ينشأ أولاد الأمراء على هذا ويربون على ذلك وعلى الكرم ليكونوا أهلاً لمناصبهم ، إذ لا يرتفع إنسان بخيل ،

ولا بدّ لمن يريد أن يتصدر المجالس ويجمع حوله الناس من أن يكون كريماً ، فالكرم عنوان الامكانات على القيادة ودليل القدرة على توجيه الناس حسب الوجهة التي يريدها وإعلاء رأيه وإن قلّ مؤيدوه في بداية الأمر وضؤل أنصاره .

وإذا كان للشجاعة دور كبير إلا أنها لا تنعدم في رجل قطع أكباد الإبل واجتاز الفيافي في سبيل رأيه وعزة نفسه فلو لم يكن شجاعاً لكان في الأصل ممن سكت على ضيم فنال مصيره المحتوم كما ناله الكثير من أسرته أو عاش حياة الذل بين الجموع التي يحيونها فى كل زمان فلا يطالهم أذى ولا ينالهم خير ، لا يرتفع لهم اسم ولا يعلو لهم شأن .

وإن في الأسرة الواحدة سواء كانت حاكمة أم محكومة أفراداً كثيرين، ولكن ليسوا جميعهم ، يرتقون إلى مصاف القادة وعداد العظماء .وإنما الذي يصل إلى ذلك المركز من يتجشم المخاطر ويتحمل المصاعب ويضحي في سبيل ذلك بنفسه وولده وما يملك .

ولعل في هذه الأسرة التي نتكلم عنها وهي الأسرة الأموية أكثر من انموذج واحد لهذه التضحية وهذا البذل وإن كان التاريخ لم يحفظ لنا إلا صورة واحدة وهي صورة عبد الرحمن الداخل الذي ذهب إلى الأندلس وبقي عدة سنوات في طريقه يختفي إذا انبلج الصبح ويسير إذا جنّ الليل ...... يتصور أمامهمرأى أخيهالصغير تقتله جنود بنيالعباس وهو يحاولاجتياز

نهر الفرات معه ، قتل وعينه تنظر وتدمى وقلبه يتفطر ولكن لابد له من قوة القلب ورباطة الجأش ومتانة الأعصاب حتى يستطيع أن ينجو بنفسه ..... يحلّ الرحال إذا وجد مكاناً أميناً ويشدّها إذا خاف بطش متملق غادر ، وأخيراً استطاع أن يصل إلى مأمنه وتمكّن بدهائه أن يؤسس دولة لها في التاريخ من المركز مالها ...

وإذا كان عبد الرحمن قد طغى على غيره من أبناء العمومة الفارين من وجه العباسيين فذلك لقوة الدولة التي أقامها في تلك المنطقة وقد ساعده حسن موقعها وبُعد مركزها عن أعدائه وصلاح منطقتها واتساع أرضها وكثرة خيراتها وتعداد جندها أما الأمكنة الأخرى التي اتجه إليها بقية الأمراء فلم تكن شروطها مواتية ولا جغرافيتها مناسبة ولا ظروفها ملائمة كما لم يكن غناها كافياً لإقامة دولة وهذا شأن بلاد عسير ذات الرقعة المحدودة والجند الضئيل والعدد القليل والمرتقى الصعب بحيث يجعل من كل بقعة منها أرضاً منفصلة فيها أسرة مستقلة وفيها زعامة قائمة بحد ذاتها ثم قربها من اليمن ذات المناعة والثورات الدائمة بحيث تمر الجيوش باستمرار من عسير أو على مقربة منها بحيث يمكن استخدامها للقضاء على كل حركة ، وإضافة إلى هذا فعبد الرحمن على نسب قريب من حكام بني أمية الأواخر ، فهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ،وجدههشام لم تمض على خلافته أكثر من سبع سنوات ، فالأنظار تتجه نحوه

وأفراد أسرته معروفون جميعاً لاتخفى منهم خافية ولا يغيب عن أعدائهم فرد ، ويمكن أن يكون الأمر إليه ، لذا يجب القضاء عليه ..... أما علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد فقد ذهب الحكم من فرع أسرته منذ أكثر من ٦٨ سنة لذا فقد نسي الناس هذا الفرع وطوى التاريخ البيت السفياني وإن كان هو المؤسس للدولة الأموية ، حتى انصهر أمراؤه بين أفراد الشعب وضاعوا بين عناصر المجتمع وبخاصة لضعف الذين ورثوا الأمر بعد يزيد والتفات أبنائه إلى أعمالهم وبعدهم عن أمور الحكم التي استقل بها أبناء عمومتهم من الفرع المرواني . وربما هذا ما جعل المؤرخين ومنهم ابن كثير يقولون بأن نسل يزيد قد انتهى إذ لم يعقب أبناؤه .

وصل علي بن محمد إلى عسير وتحالف مع قبائلها ، واستطاع بمدة وجيزة أن يكون صاحب الكلمة المسموعة وصاحب النفوذ ، وقد يكون قد أخفى نفسه في بداية الأمر حتى لايطلبه الوالي ويدفعه إلى بغداد لينال هناك جزاء العداوة وعقاب الفرار وهذا ما يضيف سبباً ثانياً إلى الاعتقاد بانقطاع نسل يزيد ابن معاوية . دفعت علياً نفسه وقد رأى من قوته ما رأى أن يثور على الدولة العباسية وقد صار الأمر فيها إلى المهدي ولكن دون أن يفصح عن شخصه ومن غير أن يعلن عن هويته حتى لا يزداد الاهتمام بأمره مادام من سلالة الأسرة التي زال منها الحكم ولا يزال لها من الأنصار العديد ، وبخاصة وأن وضع بني العباس لم

يرق للكثيرين الذين كانوا يؤيدونهم سواء من العرب عامة أم من الطالبيين خاصة ، أم من الذين كان يسوؤهم وضع بني أمية في أواخر عهدهم فكانوا يرجون الاصلاح بتغيير الأوضاع فلما تم ساءتهم عواقبه فقلبوا ظهر المجن إلا أن السيف قد أخرس الألسن فكفت عن الكلام ومحا أسطار البلاغة فاختفت الكتب التي تريد أن تظهر بعض الحقيقة ، إلا أن الجيش الذي أرسله المهدي إلى اليمن والذي رغب علي بن محمد أن ينازله وأن يوقعه في كمين ينصبه له ، ولكن قوته لم تكن قد اكتملت بعد وليست بحالة تؤهله للوقوف أمام هذا الجيش الكبير الذي كان بقيادة عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الغامدي فمات قتيلاً عام ١٦٩ هـ ورغم هذه النكبة التي أصابت الأسرة هناك وأضعفت كلمتها إلا أن نفوذها لم ينته ، واستطاع أبناء علي بن محمد وأحفاده أن يعيشوا في تلك الأرجاء ويحاولوا التماسك فيما بينهم والاحتفاظ بمركزهم بين قبائل عسير وبماضيهم الذي ورثوه واستمر ذلك حتى منتصف القرن السابع الهجري ، حيث وقع الخلاف على الزعامة بين أبناء العم فصقر بن حسان بن سليمان وهو الذي ينتسب إليه آل عائض وابن عمه علي بن ابراهيم بن سليمان الذي ينتمي إليه آل يزيد الشعف والذي كانت إمارته على قحطان وشهران ، حدث بينهما الخلاف فانتقل علي إلى قرية (السربة) وهي لبني مأجور أحد فروع قبيلة ربيعة وحلفاء بني مغيد فكان أن قتل عام ٦٥٢ هـ بقرية دلفان إحدى قرى بني الأزهر وهم أحد

فروع قبيلة ربيعة أيضاً وحلفاء شهران ، حيث كانت ربيعة قسمين أحدهما حليف بني مغيد والآخر حليف شهران الذين يتبعون إمارة علي وهم بنو الأزهر بينما يتبع بنو مأجور إمارة صقر وحلفاء لبني مغيد ... فعندما أراد علي أن يتوسع في إمارته لتشمل بني مأجور قتل . واستمرت الامارة في صقر بن حسان وأولاده من بعده ، بينما انزوى أبناء علي بن ابراهيم في منطقة الشعف وهم الذين يعرفون اليوم باسم آل يزيد الشعف .

ولما ضعفت الدولة العباسية في أواخر عهدها ، وبدأت الدويلات تستقل في المشرق ، وتنفصل في المغرب ، وتنعزل في الجنوب ، وكانت بعض هذه الإمارات على مقربة من عسير في الجنوب ، في بلاد اليمن ، لم يجد سكان عسير فائدة في هذا الاستقلال رغم صلاح أرضهم لمثل هذا فبعدها وصعوبة أرضها ومناعة حصونها وقوة شكيمة أهلها كل ذلك يخولها لتكون مركزاً للتمرد ، ومجالاً للاستقلال ، وحصناً لكل عصيان ، ولكن هذا ليس فيه سوى زيادة الفرقة ، وكثرة الاختلاف ، وتجزئة البلاد لهذا كله أعلنوا الطاعة لمن يلي أمر الحجاز جيرانهم في الشمال وبخاصة وأنهم في الأصل يتبعون مكة المكرمة ، كما توجد في الحجاز الأماكن المقدسة مهوى أفئدتهم وإليها تشد رحالهم .

لقد شملت سلطة الطولونيين عسير عام ٢٥٤ – ٢٩٣ هـ (٨٦٨ – ٩٠٥ م) ثم عاد الأمر للعباسيين قليلاً ٢٩٣ – ٣٣٠ هـ (٩٠٥ – ٩٤١ م) ثم صارت تتبع صاحب النفوذ الأقوى والذي

تفرض سيطرته على الحجاز ، فقد خضعت للاخشيديين مدة ثم للفاطميين بعد ذلك .

لقد كان سكان عسير يديرون شؤون بلادهم بأنفسهم ، ويعلنون الطاعة لصاحب النفوذ الكبير مفضلين عدم القتال وعدم الخوض في دماء المسلمين ، ولكن إذا داهمهم عدو أو حاول غزوهم خصم وقفوا في وجهه واستفادوا من مناعة بلادهم ووعورة ارضهم في حربه ورده خاسراً ، فعندما قامت فتنة القرامطة في الجزيرة العربية ، وغلبوا أكثر أهلها ، ودانت لهم أكثر أجزائها امتنعت عنهم عسير ، ووقفت في وجههم ، وردتهم على أعقابهم خاسرين ، وتوقفت مجازر القرامطة وسوء أعمالهم عند أقدام مرتفعات عسير .

واشتدت شوكة بني زياد في اليمن فتبعوا لهم ، وقوي أمر الهمدانيين بعد بني زياد فأعلنوا طاعتهم حتى جاء السلاجقة عام ٤٦٣ هـ (١٠٧٠م) فكان لهم بعض النفوذ على الأجزاء الشمالية من عسير .

وحكم الأيوبيون المنطقة كاملة فكانت عسير من جملة أملاكهم ، وورث بنو رسول في صنعاء الأيوبيين فامتدت سلطتهم إلى عسير ، ووقع الخلاف بين بني طاهر وبين بني رسول فكانت عسير تتبع الأقوى ، وتخضع تارة لهؤلاء وأخرى لأولئك حتى إذا استقر الوضع إلى بني طاهر وحكموا اليمن باسم المماليك كان نفوذهم يمتد إلى بلاد عسير .

الفصل الثاني

أيام الضعف

في هذا الوقت تغيرت القوى الدولية وظهرت الصليبية في المشرق فكانت نتيجة ذلك أن تغيرت الأوضاع في هذه المنطقة ولا بد لنا من أن نتحدث بعض الشيء عما حدث .

استطاعت أوربا كافة أن تدعم الاسبان والبرتغاليين في حروبهم ضد المسلمين في الأندلس حتى تمّ لهم النصر إذ كان المسلمون آنذاك متفرقين في كل جزء دولة وفي كل اقليم سلطان يتناحرون في أغلب الأحيان فاستطاع الاسبان والبرتغاليون أن يطردوا المسلمين من الأندلس ، وأن يدخلوا غرناطة آخر معقل للمسلمين ، وذلك عام ٨٩٨ هـ (١٤٩٢ م) ، وقاموا يذبحون المسلمين الذين بقوا في الأندلس ويرتكبون بحقهم جرائم تقشعر لها الأبدان – على الرغم من العهد الذي قطعوه لحاكم غرناطة الذي سلم لهم المدينة بموجبه – حتى لم يبق في شبه جزيرة ايبرية مسلم واحد ، ويمثل أعمالهم أبو البقاء الرندي في قصيدته المشهورة التي يرثي فيها الأندلس والتي مطلعها :

لكل شيء إذا ما تم نقصان ... فلا يغرّ بطيب العيش انسان

حتى يقول :

وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت ... كأنما هي ياقوت ومرجان

يقودها العلج للمكروه مكرهةً ... والعين باكية والقلب حيران

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ... إن كان في القلب إسلام وإيمان

ولم يكتف الاسبان والبرتغاليون بهذا بل أرادوا ملاحقة المسلمين الى المغرب واخراجهم منها وبالفعل فقد استولوا على بعض المراكز على شواطىء البحر الابيض المتوسط في شمالي المغرب مثل مليلة ووهران وغيرهما،ولاتزال سبتة ومليلة بأيديهم الى الآن، كما استولوا على مراكز على شواطىء المحيط الأطلسي غربي بلاد المغرب ، وبعد أن استقروا في هذه المراكز شعروا أنها لا تكفي لتحقيق بغيتهم ، لتمكن المسلمين في الداخل ، وبعد أن ذهبت نشوة النصر المؤقت ببعض حقدهم بدؤوا التخطيط لتحقيقها فرأوا أن عليهم :

١ – أن يعرفوا طرقاً تجارية جديدة غير الطرق التي يسيطر عليها المسلمون ، وتصلهم هذه الطرق مباشرة بالشرق دون المرور بأرض المسلمين ، وبهذه العملية يفقد المسلمون الأرباح التي يجنونها من التجارة ، وتصبح بلادهم في معزل عن العالم ، ولهذا نرى أن الدول الأوربية المختلفة أسرعت الخطو للمعرفة الجغرافية والتي كان

من نتائجها معرفة أوربا لطريق جديد هو طريق رأس الرجاء الصالح في جنوب إفريقية ، وأمكن وصول أوربا إلى الشرق مباشرة ، وإن طال الطريق فإن ذلك ليس له أية أهمية بالنسبة إلى الغاية الموضوعة نصب أعين العالم النصراني . كما كان من نتائج هذا العمل معرفة اميركا التي كانت عن طريق المصادفة في محاولة للوصول الى الشرق باتجاه الغرب ، وبالفعل فقد أضعفت معرفة أوربا لرأس الرجاء الصالح إمكانات البلاد الاسلامية بشكل واسع ، إذ تحولت التجارة العالمية عن المرور عبر أراضيها ، وفقدت الأرباح التي كانت تجنيها من التجارة ، وارتفعت أسعار الحاجيات التي كان ينتجها الشرق ، كما نتج عن ذلك تأخر اقتصادي خرب البلاد وأثر على رفاه السكان ، وأوقف الحركة العمرانية ، كما تأخرت الصناعة التي لم يعد لها أسواق خارجية .

٣ – عند الوصول إلى شرقي بلاد المسلمين يجب السيطرة على تلك المناطق والاستعداد التام لقتال المسلمين ، وفتح المعركة عليهم من جميع النواحي بعد إحاطتهم إحاطة تامة . كما يجب على الأوربيين الذين يصلون إلى البلاد المجاورة للمسلمين القيام بمحاولة نشر النصرانية بين السكان وحثهم على محاربة الإسلام حرباً لا هوادة فيها ، ومن الضروري هناك الاتصال بالنصارى كافة للغرض نفسه ، ويبدأ الاتصال بنصارى الحبشة ، وتقديم العون لهم على قتال المسلمين والاشتراك معهم لتلك الغاية ، وفي الواقع فقد تم هذا الاتصال ، وحثت الحبشة ملوك أوربا للقيام بحرب صليبية لإزالة الممالك الإسلامية التي كانت في حرب معها في شرقي إفريقية .

وتبنت البرتغال هذه الآراء ، وأرادت تنفيذها بالدراسة والإعداد لها ، وبعد التهيئة وجدت أن أقوى الدول الإسلامية في تلك الفترة غير الدولة العثمانية المتجهة نحو أوربا ، إنما هي دولة المماليك التي كان مركزها القاهرة والتي تسيطر على شرقي إفريقية ، وتساعد المسلمين في حروبهم مع الأحباش ، وأن هذه الدولة سيصطدمون معها أول ما يصطدمون بصفتها تسيطر على مراكز في شرقي إفريقية ، لذلك يجب إرسال الجواسيس إليها ليأتوا بالمعلومات العسكرية والبحرية بالدرجة الأولى واللازمة لتكفل لهم النصر عليها ، واستفادت من بعض اليهود الذين يجيدون العربية لوجودهم في الأندلس فأرسلتهم إلى مصر ، والتقت هنا أهداف اليهودية مع أهداف الصليبية ، وأظهر هؤلاء اليهود الإسلام ، وتقربوا من الحكام مستفيدين من أوضاعهم المادية الجيدة حيث وضعت الأموال تحت تصرفهم ، وبعد مدة استطاع هؤلاء اليهود أن يعرفوا أحوال الجيش المملوكي وأوضاع البلاد الداخلية كما حصلوا على خرائط ومصورات للبحار ومعلومات عن الملاحة وطريقة التخلص من منطقة الهدوء الإستوائي التي بقيت لغزاً يصعب حله لدى الأوربيين حتى تلك الساعة حيث تهدأ الرياح في المنطقة الاستوائية ولاتتحرك السفن التي تسير بالشراع وهي المعروفة فقط آنذاك ، ولايمكن التنقل إلا في الربيع شمالاً مع حركة الشمس الظاهرية وفي الخريف جنوباً مع الحركة نفسها . وعندما أخذ اليهود كل مايريدون انسلوا من مصر عائدين إلى البرتغال وقدموا ماحصلوا عليه من معلومات إلى الحكومة ، وبهذا

حصلت البرتغال على كـل ماتريـد ، فأرسلت ملاحهـا المشهور « فاسكودي غاما » الذي وصل إلى رأس الرجاء الصالح عام ٩٠٤هـ ـ ١٤٩٧ م ، ثم تحركت سفنه في المحيط الهندي بالاتجاه شمالاً فطلع على المدن الإسلامية في شرقي إفريقية ، وكان لا بد مـن الاصطدام مع المماليك [١] .

كان على المماليك أن يستعدوا لذلك وبخاصة أن المسلمين من مختلف المناطق قـد بدؤوا دعوتهـم لحمايتهم ونجدتهـم ومن هؤلاء طلب من اليمن ، من عامر بن عبد الوهاب سلطـان بني طـاهر ، وطلب من ملـك كوجـرات السلطان مظفر شـاد يطلب مساعدتهم وقـد كتب قطـب الـدين محمد بن أحمـد النهروالي المكي المتوفى عام ٩٩٠ هـ في كتابه غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيـرة والمسمى بالبرق اليمـاني في الفتح العثماني ما يلي « وقع في أول القرن العاشر ، من الحوادث الفوادح النوادر ، دخول « الفرتقال [٢] » اللعين، من طائفة الفرنج الملاعين، إلى ديار الهند ، وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق سبتة [٣] في البحر ويلجون في الظلمات ، ويمرون بموضع قريب من (جبـال القمر) [٤] بضم القاف وسكون الميم جمع أقمر ، أي أبيض ، وهي

(١) يرجع إلى كتاب : الكشوف الجغرافية ـ حقيقتها ـ دوافعها .
(٢) الفرتقال : يقصد البرتغال .
(٣) زقاق سبته : مضيق جبل طارق .
(٤) جبال القمر : في جزائر القمر ، وهي أربع جزر بين جزيرة مدغشقر وقارة إفريقية .

مادة أصل بحر النيل [١] ، ويصلون إلى المشرق ، ويمرون بموضع قريب من الساحل ، في مضيق أحد جانبيه جبل ، والجانب الثاني بحر الظلمات ، في مكان كثير الأمـواج لاتستقر بـه سفائنهم ، وتنكسر ، ولا ينجو منهم أحد ، واستمروا على ذلك مدة ، وهـم يهلكون في ذلك المكان ، ولايخلص من طائفتهم أحـد إلى بحـر الهند ، إلى أن خلص منهم (غراب) [٢] إلى الهند ، فـلا زالوا يتوصلون إلى معرفة هذا البحر ، إلى أن دلهم شخص ماهر ، يقال له (أحمد بن ماجد)[٣] صاحبه كبير الفرنج ، وكـان يقال له (إلى مالندي[٤]) وعاشره في السُكر [٥] ، فعلمه الطريق في حال (سكره) ، وقال لهم : لاتقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ثم عودوا ، فلا تنالوا الأمواج ، فلما فعلوا ذلك صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم ، فكثروا في بحر الهند ، وبنـوا في « كوّة[٦] » من بلاد (الدكن) قلعة يسمونها (كوتا) ثم أخذوا (هرموز[٧]) وتقووا هنالك ، وصارت الأمداد تترادف عليهم من

(١) أصل بحر النيل : خطأ في معرفة منابع النيل .
(٢) غراب : نوع من انواع السفن .
(٣) أحمد بن ماجد : الملاّح العربي المشهور .
(٤) مالندي : مدينة ساحلية تقع في تانزانيا اليوم .
(٥) قضية السكر لم تثبت وإنما دعاية ضـد المسلمين شاعت آنـذاك .
(٦) كوّة : مدينة غوا على ساحل الهند الغربي .
(٧) هرموز : جزيرة هرمز في مدخل الخليج العربي بينه وبين خليج عمـان .

الفرتقال ؛ فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسراً ونهباً ، ويأخذون كل سفينة غصباً ، إلى أن كثر ضررهم على المسلمين ، وعم أذاهم على المسافرين ، فأرسل السلطان مظفر شاه بن محمد ابن أحمد شاه ، سلطان كوجرات يومئذ ، إلى السلطان الأشرف قانصوه الغوري ، يستعين به على الفرنج ، ويطلب العدد والآلات والمدافع ، لدفع ضرر الفرنج عن المسلمين ، ولم يكن أهل الهند إذ ذاك يعرفون المدافع والمكاحل والبندقيات ، وممن أرسل إلى السلطان الغوري يطلب منه النجدة على الفرنج : السلطان عامر ابن عبد الوهاب ، لكثرة ضرر الفرنج بالمسلمين ، في بحر اليمن وبنادرها ، وتواتر أذاهم ، وضعف جنود المسلمين في بحر اليمن ، وتلك الديار عن مقاومتهم ، لعدم معرفتهم بحرب البحر ، واستعمال المدافع ، ونحو ذلك ؛ فجهز السلطان (قانصوه) من كبار مقدميه الأمير (حسين الكردي) [١] .

إلا أن حسين الكردي احتل اليمن وقضى على دولة الطاهريين، واشترك في حروب مع أهل المنطقة، ولم يكن الاسطول المملوكي بدرجة من القوة تؤهله للوصول إلى الهند ومقاومة البرتغاليين وبخاصة بعد تحطيم الاسطول المصري أمام الاسطول البرتغالي في معركة (ديو)[٢] البحرية التي وقعت عام ٩١٥ هـ — ١٥٠٩ م . وهكذا خضعت المنطقة إلى المماليك الجراكسة .

(١) البرق اليماني في الفتح العثماني ص ١٨ منشورات دار اليمامة بالرياض ١٣٨٧ هـ اشراف حمد الجاسر .

(٢) ديو : موقع هندي جنوبي شبه جزيرة كوجرات على بحر العرب .

ولكن دولة المماليك لم يطل عهدها بعد ذلك ، إذ نظر إليها العثمانيون فوجدوا أنها لم تقو على دفع البرتغاليين الذين إن تقدموا قليلا أثروا على الدولة العثمانية التي تحارب في أوربا بل وتقف أوربا كافة في وجهها وبهذا تصبح بين فكي كماشة أوربا من الغرب والبرتغاليين من الجنوب والروس من الشمال ، هذا إضافة إلى ما أعلنه القائد البرتغالي « البوكرك » الذي خلف « فاسكودي غاما » من أنه يريد انجاز مشروعين من مشروعاته قبل موته وهما :

١ — تحويل مياه نهر النيل إلى البحر الأحمر ليحرم مصر من ري أراضيها ، ويخرب شبكة الري التي كانت قائمة فيها آنذاك ، ومن المعلوم أن مصر كانت أهم دولة إسلامية وقتذاك من حيث موقعها وعدد سكانها وامتلاكها رقعة كبيرة من الأرض حيث كان يتبعها بلاد الشام وبلاد الحجاز .

٢ — تهديم المدينة المنورة في شبه جزيرة العرب ، ونبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخذ كنوزه حيث كان يتصور أن ضريحه مليء باللآلىء والمجوهرات شأن الفاتيكان ، وسرق رفات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجعلها رهينة حتى يتخلى المسلمون عن الأماكن المقدسة في فلسطين [١] .

(١) الكشوف الجغرافية ص ٢٨ منشورات المكتب الاسلامي بدمشق ١٣٩٣ هـ .

فكان على العثمانيين أن ينازلوا البرتغاليين قبل كـل شيء ويهزموهم وذلك ماتقتضيه الفكرة الإسلامية إذ أن حرب البرتغاليين صليبية واضحة إضافة إلى الناحية العسكرية حتى لايطوقوا من الجهات كلها ، وكان أول عمل من واجبهم القيام به هو توحيد ماأمكن من قوة المسلمين ، ولما لم يستجب المماليك ، كان لابد من القضاء عليهم واحتلال أراضيهم ، وهذا ماكان فقد تقدم السلطان العثماني سليم في بلاد الشام وانتصر على المماليك في مرج دابق ،وقتل قانصوه الغوري ثم دخل مصر عام ٩٢٣هـ ، وانتصر أيضاً في الريدانية على أبواب القاهرة ، ثم قتل (طومان باي) خليفة الغوري بعد أن قبض عليه ، وبذلك دالت دولة المماليك ، وأرسل شريف مكة «بركات» ولده « أبو نمي » إلى السلطان وهو في مصر ، فسلمه مفاتيح الحرمين الشريفين اعترافاً بالطاعة والولاء ، فأقره على إمرة مكة . وعهد إليه بقتل حسين الكردي حاكم جدة من قبل المماليك،وبالفعل فقد قتل الكردي غرقاً في البحر على الرغم من استسلامه . وفر عدد من المماليك الجراكسة إلى اليمن ، واجتمعوا حول الأمير برسباي في زبيد ، وكان قد قوي أمره هناك ، وأراد امتلاك اليمن ، فقتل عامر بن عبد الوهاب وأخاه عبد الملك وأكثر الأمراء الطاهريين في يوم الجمعة ٢٣ ربيع الآخرة ٩٢٣ هـ . إلا أن أمر برسباي قد انتهى إذ هاجمته جماعة من العربان وهو في طريقه من صنعاء إلى زبيد ، وقتلته ، وتولى أمر اليمن بعده الأمير اسكندر الذي أتاه أمر من السلطان العثماني سليم عن طريق نائبه في مصر « خير بك » بأن

يكون والياً على اليمن من قبل العثمانيين ،فامتثل ،وهكذا خضعت المنطقة إلى حكم بني عثمان ، إلا أن هذا الخضوع كان اسمياً ، إذ بقي الأمراء في تناحر وخلاف، يعتصم بعضهم في حصون منطقته ينازل الولاة ، أو يعلن العصيان ويقاتل الجوار .

وكان البرتغاليون قد استولوا على بلاد الهند ، وعجز أهلها عن مقاومتهم ودفع ضررهم ومنع إلحاق الأذى بالمسلمين ، حتى أنهم غدروا بالسلطان بهادرشاه صاحب كوجرات فقتلوه غدراً ، فاستنجد عند ذلك أهل الهند بالسلطان سليمان القانوني الذي طارت شهرته في الآفاق لما قام به من فتوحات في أوربا وانتصارات على أعدائه ، فتحركت فيه حمية الاسلام فأرسل لهم نجدة بحرية بقيادة سليمان باشا ، تحرك هذا القائد بأسطوله يريد الهند ، وفي طريقه عرّج على عدن ، وقتل غدراً أميرها عامر بن داود من بني طاهر ، فأغاظ تصرفه هذا الناس،ووصلت أخبار عمله هذا وأضرابه الى مختلف المناطق حيث كان سفاكاً للدماء محباً للتفرد بالسلطة في كل مكان يحل فيه .... فلما وصل إلى الهند خافه المسلمون فيها لما سمعوه عنه وأرادوا التخلص منه ، وأظهروا له اتفاقهم مع البرتغاليين بكتب مزورة وصلته ، فقرر مغادرة الهند على عجل ، وترك لسرعته أضخم مدافعه فيها وعاد إلى اليمن عام ٩٤٥ هـ ، فقد كان كثير الخوف ، جباناً ، خوّاراً رغم كل مافيه من غلظة وقسوة. ومن اليمن عاد إلى مصر فاستانبول .

تضايق أهل اليمن من ظلم الولاة العثمانيين ،وخلافهم ،وكثرة استبدالهم التي دعت إلى وجود الفتن ،فاستقل ولاة بما تحت يدهم، وانفصل حكام في مناطقهم ،وسطا بعض الطامعين على بعض البقاع، وهذا ماأشغل الدولة إضافة إلى شغلها الدائم فرغبت في إعادة فتح اليمن وتوطيد نفوذها فيها فأرسلت عام ٩٧٨هـ سنان باشا فأعاد فتح البلاد ونشر الاستقرار ولكن إلى مدة قصيرة من الزمن إذ عادت الأوضاع بعده إلى ماكانت عليه قبله بل ازدادت سوءاً مع زيادة ضعف الدولة العثمانية ، وكثرة حروبها في أوربا التي تكاتفت في وجهها ، وأعلنتها عليها حرباً صليبية ، ويجب ألا ننسى طبيعة البلاد اليمنية وبعدها عن مركز الدولة وكره السكان لها لما لمسوه من ظلم ولاتها وقسوة أمرائها ، ثم هناك الخلاف العقائدي الموجود بين سكان أهل مرتفعات اليمن الزيديين وبين العثمانيين الذين هم من أهل السنة ، يضاف إلى ذلك ضعف الولاة الذين تولوا أمر اليمن بعد سنان باشا ، كل هذا جعل قبضة العثمانيين تتراخى وتضعف في تلك الأرجاء فتنطح كل في منطقته يريد الاستقلال ، وعزم زعماء على الانفصال ، وحكم كل أمير قبيلته حسب رأيه وهواه ، فعمت الفوضى وكثرت المحن •

في هذا الوقت الذي عمت فيه الفوضى وكثر الخلاف لابدّ لنا من أن نذكر حالة المناطق المجاورة لبلاد عسير والزعماء الذين تولوا أمر تلك الجهات أو الذين كانت لهم صلات بالأحداث التي دارت فيها آنذاك والذين لعبوا فيها دورهم •

١ ـ اليمن

كانت صعدة عاصمة دولة بني رس الشيعية التي قامت عام ٢٨٠ هـ ، وقد استطاع حكامها الاستيلاء على صنعاء عدة مرات ، واستمر أمرهم في المنطقة عدة قرون ، وهم يعودون بنسبهم إلى الحسن بن علي بن أبي طالب • وزالت دولتهم بعد قيام بني رسول وبني طاهر •

وعندما استولى العثمانيون على اليمن كان بعض الأئمة الزيديين الذين ينتسبون إلى ريد بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب والذين يعيشون في مرتفعات اليمن على أحسن حال مع الولاة على حين لم يمتزج بعضهم الآخر معهم أبداً ، وظلوا معاكسين لهم حفاظاً على استقلالهم • وتفرّد الامام المطهّر من بين هؤلاء بأنه كان هو وأولاده من بعده من أشد من أبدى عداءً للولاة العثمانيين وأكثرهم ضراوة في مقاومتهم، وقد بدأت هذه المقاومة منذ عام ٩٦٤ هـ، وقد استطاع عام ٩٧٥هـ أن يستولي على صنعاء، وآلت البلاد كلها إلى اضطراب ،وهذا مادعا مجيء سنان باشا ـ كما ذكرنا آنفاً ـ • ولكن بعد زوال سنان باشا عن اليمن وحوالي العام ١٠٠٠ هـ ظهر القاسم المنصور بالله بن محمد ، وكان من أعاظم الأئمة الزيود ، إذ استطاع أن يجمع حوله رؤساء القبائل وشيوخها كلهم وأن يؤسس حكومة مستقلة في المناطق المرتفعة من اليمن حيث يقيم الزيديون بينما المناطق المجاورة لها من الجهات كلها يسكنها أهل

السنة وهم من الشوافعة ، وقد استطاع القاسم أن يمالىء العثمانيين وأن يعقد معهم اتفاقاً عام ١٠٢٨ هـ يحكم بموجبه المرتفعات ، وقد جدد هذا الاتفاق من بعده ابنه محمد المؤيد • وسيطر الأئمة الزيديون من أسرة القاسم على أكثر أراضي اليمن عام ١٠٤٢ هـ بسبب الخلاف الذي وقع بين الجند العثمانيين حتى إن الوالي العثماني قانصوه باشا الذي تولى أمر اليمن عام ١٠٣٩ هـ اضطر أن يلتجىء إلى الإمام الحسين بن القاسم عام ١٠٤٥ هـ بعد أن حوصر في قلعته ، ثم ترك اليمن ، وفرّ إلى مصر ، وهكذا انتهى الحكم العثماني في اليمن واستمرت أسرة القاسم الزيدية تدير شؤون المنطقة • ويعتبر كثير من المؤرخين أن دولة صنعاء الزيدية ليست إلا امتداداً لدولة بني رس في صعدة إذ أن القاسم يعود في نسبه إلى أحد حكام دولة بني رس •

كان الأئمة الزيود يحاولون دائما مد نفوذهم إلى تهامة وكثيراً ماخضعت لهم وحكمها بعض الأمراء باسمهم ، وفي الوقت نفسه كان أهل عسير يحاولون أحياناً مد نفوذهم إلى تهامة ويجدون عوناً لهم من أهلها الذين يلتقون معهم في المذهب حيث يتبعون مذهب أهل السنة وكلاهما أيضاً من الشوافعة ولذلك كانت تقع الحروب بين الأطراف المتنافرة وتكثر الغارات بينهم •

٢ ــ الحجاز

حكم بنو الأخضر مكة و نجد منذ عام ٢٥١ هـ واستمر حكمهم حتى عام ٣٥٠ هـ ــ وقد دالت دولتهم بفتنة القرامطة ، وهم من أحفاد الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب •

وجاء إلى حكم الحجاز بعد فتنة القرامطة آل موسى حيث استمروا في مكة والمدينة حتى عام ٤٥٣ هـ ، إذ خلفهم بنو هاشم « بنو فليتة » وهم من أحفاد الإمام علي أيضا ، ودام حكمهم ٤٦٠ ــ ٥٩٨ هـ ، إذ جاء أمير ينبع أبو عزيز قتادة ، وحكم مكة ، وهو من نسل الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب أيضا ، ودان له القسم الغربي من بلاد اليمن ، ومن بعده حكمت أسرته الحجاز واستمر أمرها حتى عام ١٣٤٢ هـ ، وكان آخر أفرادها الشريف الحسين بن علي وابنه علي ، وكان هؤلاء يعرفون باسم الأشراف ، لانتمائهم الذي ذكرناه •

كان أمراء الحجاز جميعاً يتبعون السلطة القوية سواء أكانت في بغداد أيام قوة الدولة العباسية أم في مصر أثناء حكم الدويلات وعندما وصل السلطان العثماني سليم إلى مصر فاتحاً أرسل شريف مكة من أسرة قتادة وهو الشريف « بركات » ابنه « أبو نمي » إليه ، فأقره السلطان على الشرافة ، وأصبح الشرفاء يرتبطون بالدولة العثمانية عن طريق ولاتها في مصر •

كانت سلطة أشراف مكة تمتد إلى عسير ، أو يستعلي أمراؤها عليهم ، أو يختلفون عليها مع أئمة صنعاء ، أو على مناطق تهامة في

أوقات أخرى ، أو عندما يريد كل مدّ نفوذه على ما جاوره من أرض ، وأحياناً كثيرة يختلف أبناء الأسرة الواحدة على الشرافة ويقع بينهم القتال ، كما أن الأشراف كانوا يلجؤون إلى عسير لطلب النجدة ، أو اللجوء إليها •

ولموقع عسير استراتيجية جغرافية هامة سواء بالنسبة لليمن أم بالنسبة إلى الحجاز فهو بمثابة جسر قوي تتحطم دونه مطامع ولاة اليمن في الحجاز ، وولاة الحجاز في اليمن، لأن اجتيازه إلى إحدى المنطقتين ليس بالأمر السهل بسبب كثافة سكانه، ووعورة مسالكه، وشدة بأس أهله ، وشجاعتهم وتفانيهم في الذود عن حياض بلادهم ووقوفهم في وجه الغزاة متماسكين ببسالة وصمود وأنفة وحمية نادرة• لذلك نجد غزاة الحجاز لليمن يبتعدون عن سلوك طريق عسير متخذين طريق الساحل ممراً آمناً لسهولته ولأن مسالكه واضحة لا عناء فيها ولا مشقة وهذا كان طريق الجراكسة والعثمانيين ولهذا أصبحت عسير في مأمن من الطامعين لوقوعها بين أطراف اليمن وأطراف الحجاز طيلة مدة ليست بالقصيرة من الزمن بالنسبة إلى تاريخ عسير السياسي ، ونجد الحروب تشتد بين معظم تلك القبائل التي يحتضنها الحجاز شمالاً ونجد شرقاً واليمن جنوباً بين وقت وآخر وتلجأ إلى الاستعانة بأحلافها وحلفائها على بعضها بعضاً في أغلب الأدوار التي مرت بها هذه المنطقة فهي أشبه ماتكون منزوية على نفسها لاتطمع في التوسع ولاتسمح لأحد بالتدخل في شؤونها •

٣ ــ تهامــة

تهامة: هي المناطق الساحلية والسفوح الغربية لجبال السروات يقطنها ــ كما ذكرنا ــ أهل السنة وكلهم من الشوافعة تقريباً • وقد خضعت هذه المنطقة لحكم أسر محلية كانت تدير شؤون إمارتها باسم الحكومات القوية التي كانت تسيطر على المنطقة سواء التي كانت في مصر أم التي تقوم في بلاد اليمن وأحياناً قليلة كان نفوذ أشراف مكة يصل إلى أرضهم أو يستنجدون بهم على غيرهم أو بالعكس يستعينون بغيرهم عليهم ، ومن هذه الأسر :

أسرة الحكمي : التي أسسها سليمان بن طرف الحكمي والتي دامت حتى عام ٣٩٣ هـ •

الأسرة السليمانية : التي أسسها سليمان بن داود الذي استولى على المنطقة بمساعدة يحيى بن الحسن الهادي • وكانت تحكم باسم آل زياد في زبيد • ثم كان نفوذ بني نجاح والصليحيين والمهديين وغيرهم من دول اليمن •

ومن الأسر الأخرى آل القطبي والذروات والخواجيون •

وأخيراً جاء آل الخيرات إلى زعامة المنطقة، وقد أسس امارتهم محمد بن أحمد الخيراتي وتولى الإمارة من بعده أبناؤه ، فوقعوا في خلاف كبير مع بعضهم بعضاً منذ وفاته ، فكانوا ضد بعضهم بعضاً يستعينون بجنود مرتزقة من قبائل اليام في نجران ، أو يستنجدون بإمام صنعاء، وقد عمت الفوضى المنطقة وساد الاضطراب

حتى انتشرت دعوة محمد بن عبدالوهاب بين أهل تهامة، ووصل إلى الإمارة آنذاك حمود بن محمد وهو الذي عرف بأبي مسمار •

آل الخيرات : وهم فرع من أشراف مكة انتقلوا إلى المنطقة لما حصل خلاف بين الأسرة من أجل الحكم •

أحمد الخيراتي

الحسن — محمد مؤسس الإمارة

أحمد — ناصر — حيدر — يحيى — علي — حمود «أبو مسمار»

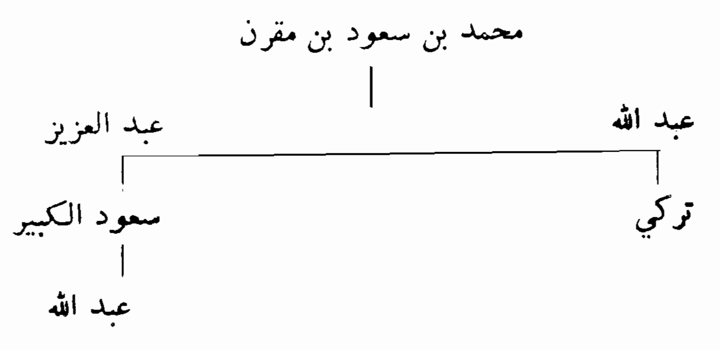
منصور — علي — أحمد

محمود

٤ — نجد

كانت نجد تحكم بواسطة أمراء محليين في كل بلدة أمير وعلى رأس كل قبيلة شيخ ، ويخضع الجميع إسمياً لسلطة العثمانيين • وقد عمت المنطقة الفوضى وسادها النزاع بين الجميع فالحروب دائمة والخلافات قائمة واستمر ذلك الوضع حتى كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي وجدت العناء الكثير من قبل السكان إلى أن تقبلها حاكم بلدة الدرعية محمد بن سعود ، وعمل على نشرها فعمت وذاع صيتها وكانت

لها دولة قوية هي الدولة السعودية الأولى التي أسسها محمد بن سعود وتولى أمرها أبناؤه من بعده ، وقد امتد نفوذها إلى أرجاء الجزيرة العربية كافة باستثناء مناطق قليلة في مرتفعات اليمن وحضرموت وعمان •



٥ — عسير

وكانت الكلمة الأولى في مرتفعات عسير تعود إلى أمراء من آل يزيد إلى أن نشب بينهم خلاف على الزعامة فانزوى قسم منهم في الشعف وبقي الفرع الآخر في منطقة أبها يدير شؤون قبيلته باسم أشراف الحجاز ، وأحياناً ينتفض بعض الأمراء على الأشراف ، ويمد سطوته إلى بعض جهات تهامة ، وربما وصلت سيطرة أهل اليمن إلى مرتفعاتهم ، ومن هذا الفرع تنشأ أسرة آل عايض وتحكم المنطقة كاملة • واستمر وضع عسير على هذه الحالة حتى كانت دعوة محمد بن عبد الوهاب في نجد ، وكانت الدولة السعودية في الدرعية •

الفصل الثالث

العصور الحديثة

في هذا الوقت الذي عمت فيه الفوضى في أرجاء الجزيرة العربية ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاصلاحية في نجد وبدأ نفوذها يمتد ويتسع حتى وصل إلى الحجاز ، وكان شريف مكة آنذاك أحمد بن سعيد ، وكان يكره العثمانيين بسبب واليهم «محمد أبو الذهب» الذي كان قد عزله عن شرافة مكة وولى مكانة حسين بركات ، إلا أن أحمد هذا قد قام على حسين وقتله ، وتمسك لنفسه بالشرافة فالتقى مع السعوديين على كره العثمانيين فسمح لأهل نجد بالحج عام ١١٨٣ هـ ، وكانوا قبل ذلك قد منعوا بسبب الفكرة السلفية التي يحملونها والدعوة التي يتبنونها وبعد أعوام ثلاثة ثار الأشراف في مكة على أحمد بن سعيد وعزلوه وولوا مكانه الشريف سرور بن مساعد الذي استمر شريفاً على مكة ١١٨٦ — ١٢٠٢ هـ لم يخاصم أثناء هذه المدة كلها السعوديين مما جعل دعوتهم تنتشر بين رجالات بعض القبائل ، أو يقبل عليها كثير ممن يطمع أن يكون له دور في المستقبل فإن هناك إشارات تدل على نجاح الدعوة أو أن يكون لها دور بارز مع الأيام .

وتوفي سرور بن مساعد عام ١٢٠٢ هـ فخلفه في الشرافة أخوه

عبد المعين بن مساعد ، ولكنه لم يلبث سوى يوم واحد حتى اعتزل الأمر وتنازل لأخيه غالب بن مساعد .

جاء غالب بن مساعد شريفاً على مكة فاختلف مع السعوديين إذ خاف على أملاكه بعد أن رأى انتصار السعوديين على بني خالد في الإحساء ، فكاتب الذين لم يستسلموا منهم بعد ، ووعدهم بالنصر ، واستنجد بالعثمانيين على السعوديين ، ودارت معارك بين الطرفين استمرت مدة شرافته على مكة ١٢٠٢ — ١٢٢٠ هـ .

إن وجود الفوضى في المنطقة ، ورغبة الناس في التخلص منها ، وقناعتهم بأن الإسلام هو العامل الوحيد لانتشار الرخاء والقضاء على الظلم والاستبداد ، واستعدادهم الفطري لقبوله ، وانتشار الدعوة التي تحمل هذا الشعار في نجد ، وتوسعها والدعاية لها في المناطق كلها ، ومهادنة شرفاء مكة لها ، ثم هناك الطمع والرغبة الشخصية في ارتفاع المركز وعلو الشأن جعل الكثيرين يقبلون هذه الدعوة ، وحسب دوافعهم يتخذون الوسيلة اللازمة ويسلكون الطريق المؤدية لأغراضهم .

كان من الأشخاص الذين أقبلوا على الدعوة وكان لهم أثر في المنطقة محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب في السراة ، وعرار ابن شار في بني شعبة ، وحسين بن أحمد الفلقي الذي استقر في وادي بيش عند قبائل الجعافرة إضافة إلى قبائل شهران وقحطان التي انتشرت بينهم الدعوة بشكل أوسع نتيجة اتصالهم بنجد أكثر من سكان السراة وتهامة .

في بداية عام ١٢١٥ هـ وفد إلى الدرعية محمد بن عامر

وأخوه عبد الوهاب من آل المتحمي من قبيلة ربيعة ورفيدة إحدى قبائل سراة عسير ولفيف من عسير وكما يقول صاحب تاريخ المخلاف السليماني محمد بن عيسى العقيلي « طلباً للعلم ورغبة في الدعوة وفوزاً بالزلفى في أخذ مبادئها ــ التي لها الهداية والمثوبة ــ وتتيح لمريدها السيادة والمجد[1] » .

وعاد الأخوان من الدرعية ، وقد حصلا على ما يبغيان ، فقد أسند إليهما عبد العزيز بن محمد بن سعود أمير الدرعية مهمة نشر الدعوة في عسير وحمايتها . وعندما وصلا بدآ يتصرفان كأمراء مما حدا بالأمير من آل يزيد أن يقف في وجههما ، وهو محمد بن أحمد بن محمد ، فاستنجدا بالدرعية، فأرسلت لهما جيشاً استطاعا به أن يقتلا محمد بن أحمد بن محمد أمير عسير من آل يزيد ، وأصبح محمد بن عامر أميراً على المنطقة منذ ذلك الوقت ١٢١٦هـ، وبعد أن أصبح صاحب الكلمة الأولى فيها ، أخذ يحارب خصوم الدعوة السعودية سواء أكانوا في تهامة أم في الحجاز ، واتخذ إحدى قرى قبيلته ربيعة ورفيدة وهي طبب مركزاً لحكمه ، وقد عرف باسم « أبو نقطة » حيث كان جده يكنى بذلك لنقطة كانت على عينه فاشتهر بها هو وذريته ، وقد عمل على إخضاع قبائل رجال ألمع ، ثم رحل إلى الدرعية وفي أثناء عودته توفي في الطريق

(١) تاريخ المخلاف السليماني ص٥٧١ القسم الثاني من الجزء الاول/طبعة الرياض ١٣٧٨ ــ ١٩٥٨ .

وقد أصابه الجدري وذلك عام ١٢١٨ هـ ودفن في بيشة ، فتولى أمر عسير مكانه أخوه عبد الوهاب أبو نقطة .

وقد جاء في مذكرات جعفر الحفظي أثناء كلامه عن أحداث هذه المنطقة ما مفاده أنه في عام ١١٧٧ هـ وفد إلى الدرعية بعض أعيان عسير ومن جملتهم محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب وطامي بن شعيب من آل المتحمي ومن آل الحفظي علي بن الحسن وعبد القادر بن أحمد وعبد الله بن عبد الرحمن وزين العابدين وسواهم لطلب العلم على يد علامة زمانه محمد بن عبد الوهاب .

وفي عام ١١٧٩ هـ وجه أمير الدرعية محمد بن سعود مع محمد بن عامر وأخيه عبد الوهاب كتاباً إلى أعيان وعلماء عسير يدعوهم فيه إلى الدين ونبذ الشرك ،ودعوة من يليهم إلى التمسك بما كان عليه السلف الصالح ، وقد وجد الأخوان خصومة لأن الناس ظنوا أنها دعوة تملك وتغلب ، فردهما الأمير محمد بن أحمد بن محمد ، فعادا إلى الدرعية لطلب النجدة وبيان الواقع .

وكان الأمير محمد بن أحمد واسع السلطة تدين له شهران وقحطان ورجال الحجر وبنو شعبة وغامد وزهران .

وفي عام ١١٨١ هـ قامت شهران بقيادة أميرها محمد بن سعد أبو سرح على آل الغمر (قبيلة بين عسير وشهران) وأجلوهم عن قراهم ، فقصدوا الأمير محمد بن أحمد في السقا ، فأرسل لهم الجبلي أبو زوعة ويحيى بن محمد وسليمان بن عايض الهراوي

وقبائل علكم وبعض بني مالك بإمرة سالم أبو حامد ، فأبعدوا شهران من قرى آل العمر وأعادوا أصحابها إليها ، وقتلوا محمد ابن سعد أبو سرح ودمروا قريته بأعلى وادي عتود وعين الأمير محمد بن أحمد أميراً على شهران وناهس ، سالم بن حسين الرشيدي إلا أن سعد بن عبد الله بن تحمدان هجم على الأمير سالم وقتله ..... فهرب ابنه مشيط إلى الأمير محمد بن أحمد وأخبره بما حدث فأعاده مع كتاب إلى غشّام بن عامر أمير قحطان ورفيدة وأمره فيه أن يتوجه إلى شهران لقتل ابن حمدان وإعادة مشيط إلى مشيخة شهران وذلك في عام ١١٨٣ هـ ، وبقي مشيط أميراً على شهران وناهس ، وألزمه بحماية سوق شهران من الفتن والقتل ...

وفي عام ١١٨٧ هـ غزا الأمير محمد بن أحمد رجال الحجر وأدخلها في طاعته .

وفي عام ١١٩٠ هـ غزا بني شهر فدانت له .

وفي عام ١١٩٣هـ سار مع رجال الحجر إلى غامد وزهران فخضعت له . وفي العام نفسه توجه إلى بني‌شعبه في تهامة فأقرت له بالسيطرة والحكم .

وفي عام ١١٩٧ هـ غزت قحطان تثليث (بلاد بيشة) وقطعوا معظم نخلها ، فتوجه الأمير محمد بن ساعد المهدي إلى الأمير محمد بن أحمد يستصرخه ، فأمر بني مالك وبني منبه وشهران

بطرد قحطان وقتالهم ، وأمر ابن عامر بالتوجه إلى تثليث لضمها إلى طاعته ...

وفي عام ١١٩٩ هـ غزت قبائل يام مع المكرمي نجداً وعسيراً وكان كبير غزوها لعسير ظافر بن نصيب وأصله من رفيدة قحطان ......ودخلت يام بلاد قحطان وشهران وأفسدت فيها وتوجهت إلى عسير فواجهتقوة محمد بن أحمد فانهزمت بعد ملحمة عظيمة في بلاد شهران قتل فيها أكثر اليامية وكفى الله شرهم وكانت دعوتهم تمت إلى الاسماعيلية بصلة .

وفي عام ١٢٠٥ هـ غزا الأمير محمد بن أحمد بلاد سنحان ووادعة ، وكان يقود شهران يومذاك مشيط ، وقحطان يتزعمها غشّام .

وفي عام ١٢٠٧ هـ خرجت بلاد غامد وزهران مع شريف مكة على عسير فالتقوا بمكان يسمى الجرف من بلاد غامد مع الجيش العسيري بقيادة غرم بن سعيد العسبلي ، ومحي بن الأصلع ، وابن مارد ، وابن جليّ أمير بالقرن وشمران ، ومبارك بن سعد أمير بني عمرو . وضامن أمير خثعم .

وأمام هذه القوة التي أضحت للأمير محمد بن أحمد من آل يزيد كان لابد من حدوث الصدام بينه وبين ابن سعود أمير الدرعية الذي رُدت دعوته أيضاً في بلاد عسير .

وفي عام ١٢٠٩ هـ غزا ابن سعود بيشه وتربة وتبالة ورنية وعاد بعد أن نهبت بواديه أهل هذه الجهات .....

وفي عام ١٢١٠ هـ دخلت قحطان وشهران في طاعة ابن سعود. وامتنعت على الأمير محمد بن أحمد الذي توجه لإعادتها إلى طاعته وحدثت معارك طاحنة في سبيل ذلك ، وتوجه مشيط وغشام إلى الدرعية لطلب النجدة . وكان محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب هناك . وفي العام نفسه عاد من الدرعية علي بن الحسن الحفظي وعبد القادر بن أحمد .

وفي عام ١٢١١ هـ وجه أمير عسير لمحاربة شهران جيشاً بقيادة مفرح بن احمد بن عبدالله المضيبي الدوقي إلا ان هذا الجيش قد لقي الهزيمة .

وفي نهاية عام ١٢١٣ هـ داهمت قوات نجد منطقة بيشة التي ترابط فيها قوات محمد بن أحمد آل يزيد بقيادة مرعي (أبي عائض) الذي قتل في المعركة ، واندحرت قوات آل يزيد بعد أن انحازت بعض قبائل بيشة إلى جيش نجد برئاسة سالم بن محمد بن شكبان .

وفي عام ١٢١٤ هـ رجع محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب ومشيط وغشام إلى بلدانهم واجتمعوا لمحاربة الأمير محمد بن أحمد في عسير إلا أنهم لم يتمكنوا منه ... فرجع محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب إلى الدرعية لطلب النجدة منها .

وفي عام ١٢١٥ هـ جاءت جيوش ابن سعود مع شهران وقحطان وبيشة إلى عسير وقتلت الأمير محمد بن أحمد ودخلت المنطقة في طاعة الدرعية ، وأصبح محمد بن عامر أميراً على عسير

من قبل آل سعود . وقد رأينا كيف انتقلت الإمارة بعد ذلك إلى أخيه عبد الوهاب[1] .

دخل عبد الوهاب في حروب مع غالب بن مساعد شريف مكة ، ومع أمير أبي عريش [2] من آل الخيرات ، أما حروبه في الحجاز فقد اشترك في ثلاثة عشر هجوماً على قوات غالب بن مساعد وحالفه النصر فيها جميعها، أما حروبه في تهامة فقد طالت وتباينت. إذ كان أمير أبي عريش في البداية علي بن حيدر من آل الخيرات. وعامله على صبيا [3] عمه ناصر بن محمد .. ثم تنازل ناصر لابنه

(١) ص ١٤٨ — ١٤٩ .

(٢) ابو عريش : مدينة تقع في منطقة جيزان ، ومن اشهر مدنها ، الى الشرق منها على مسافة ٣٢ كم ، وعلى ارتفاع ٧٧ م عن سطح البحر ، يقدر عدد سكانها اليوم بخمسة عشر الفاً ، وهي مدينة قديمة جددها في القرن السابع آل الحاكمي ، وكان رجلاً صالحاً فابتنى في المدينة عريشاً فقصده الناس لطلب العلم فعرفت باسم « ابو عريش » وبعد ذلك بقرون اصبحت مركز منطقة جيزان كلها.

(٣) صبيا : مدينة في منطقة جيزان ، إلى الشمال الشرقي منها وعلى مسافة ٣٢ كم ، وهي الآن بلدتان : القديمة ، وتقع على طرف الوادي المعروف باسمها ، ولقربها منه فان خطر الفيضان يتهددها الأمر الذي جعل المسؤولين يقيمون سداً من الحجر يحميها في القسم الشرقي منها ، اما القسم الجنوبي فلا يفصله عن السيل سوى سد ترابي لا اثر كبير له ، اما الثانية وهي الجديدة فقد بناها الادريسي عام ١٣٣٨ هـ شرقي الأولى بخمسة كيلو مترات ، واطلق عليها اسم الادريسية ، ولا تزال آثار قصره قائمة . وبعد ذهابه عادت للاولى اهميتها وترك الناس الجديدة .

منصور ••

وعندما بدأت الدعوة الوهابية تنتشر في المنطقة على يد أحمد بن حسين الفلقي خشي أمير صبيا على نفسه فاستنجد بأمير أبي عريش الذي سار على رأس قوة إلى منطقة الجعافرة حيث يقيم أحمد بن حسين الفلقي فانتصر عليهم ، وهذا ما دعا الدرعية الى أن ترسل سرية بقيادة حزام بن عامر العجماني إلى المنطقة وعندما وصلت انضم إليها كل من عرار بن شار في بني شعبة والفلقي إلا أن الصلح قد تم بين الفريقين على أن يقوم آل الخيرات بالدعوة في منطقتهم،فعاد حزام من حيث أتى، ثم تنازل علي ابن حيدر عن الامارة لعمه حمود الذي عرف باسم « أبو مسمار». ووافق امام صنعاء الذي يرتبطون به على هذا التنازل رغم أنهم وعدوا بالدعوة إلى السلفية في منطقتهم أمام سرية حزام ، ومعنى ذلك ارتباطهم بالدرعية إلا أن الواقع يشير إلى أنهم لا يزالون مرتبطين بإمام صنعاء • وحدث خلاف بين الفلقي وأهل المنطقة الذين استنجدوا بأمير أبي عريش حمود أبي مسمار فأمدهم بسرية رفض أمير صبيا الاشتراك فيها فهزم الفلقي ، وجاء عرار ابن شار لمساعدة الفلقي إلا أنه لم يحدث قتال لتوسط أمير صبيا منصور بن ناصر ، وعادت سرية أبي مسمار إلى أبي عريش أما عرار فقد تقدم إلى صبيا واتفق مع أميرها منصور الذي كان على خلاف مع عمه حمود أبي مسمار ، وتعاهدا على العمل للدعوة السلفية •

غضب حمود أبو مسمار على ابن أخيه منصور ، وسار بقوة انتصرت على عرار والفلقي ، وسار من طرف آخر حزام بن عامر وزبران القحطاني واتصلوا بعرار والفلقي ومنصور وكونوا جبهة واحدة ضد حمود أبي مسمار إلا أنه انتصر عليهم •••• فاستنجدوا بالدرعية •••• وخاف أبو مسمار فاتصل بصنعاء إلا أن اتصاله قد باء بالفشل •

وجاءت أوامر الدرعية إلى عبد الوهاب بن عامر أبي نقطة أمير عسير بالتقدم إلى أبي عريش على رأس حملة ينضم إليها كل من حزام وعرار والفلقي •••••• وسارت الحملة واستسلم آل الخيرات وتعهد حمود أبو مسمار بالعمل بالدعوة ، وبدأ بغزو اليمن على حين رجع عبد الوهاب إلى عسير ، وأصبح له حق الاشراف على المنطقة كاملة •

بدأ حمود أبو مسمار يطالب بانفصاله عن عسير لما في نفسه من أطماع ، وبعث وفداً مؤلفاً من وزيره حسن بن خالد وابن أخيه أحمد بن حيدر ، كما ذهب عن صبيا الأمير منصور بن ناصر ابن أخي أبي مسمار •

وفي هذه الاثناء توفي أمير الدرعية عبدالعزيز بن محمد بن سعود وتولى الأمر مكانه ابنه سعود بن عبد العزيز ، فتقرر أن يذهب الوفد السابق لتقديم التعازي ، والتهنئة والمبايعة ، والتعهد بدفع الخراج والجهاد في اليمن ، والارتباط بالدرعية مباشرة مع

بقاء أمور الجهاد مرتبطة بعبد الوهاب ، وحتى لا تساور الشكوك عبد الوهاب أخبره بمسيرة الوفد للتعزية والمبايعة •••• وتم لحمود ما أراد وحصلت الموافقة على الارتباط المباشر بالدرعية •

وسار حمود أبو مسمار لغزو اليمن ••••

وفي عام ١٢٢٠ هـ صدرت الأوامر من الدرعية إلى أمير صبيا منصور بن ناصر وأمير بني شعبة عرار بن شار بالنفير مع عبد الوهاب إلى الحجاز لقتال شريف مكة •••• وانطلق المقاتلون وتأخر عرار ، فوقع شيء في نفس عبد الوهاب ، فوبخ قائد حملة عرار أخاه عيسى بن شار وعاقب بني شعبة •••• فوقع الخلاف بين عرار وعبد الوهاب •••••

استنجد عرار بحمود أبي مسمار واستمال بعض رجالات ألمع وتقدم نحو بلادهم واحتلها ، وطلب وفداً من الدرعية لفصل النزاع ••••

تقدم عبد الوهاب بحملة وصلت إلى درب بني شعبة واحتلته •••• وعاد إلى عسير ••• ووصل وفد الدرعية إلى المنطقة وطلب مسير حمود ومعه عرار ، وأمير صبيا منصور ، وعبد الوهاب إلى الدرعية •••• ولبى الجميع الأمر إلا حمود فقد تململ ووافق على ارسال ابنه ووزيره حسن بن خالد بدلاً منه لانشغاله •••

بدأت المحاكمة في الدرعية واستطاع عبد الوهاب أن يثبت

ما لديه من وثائق أن عراراً يثير الفتنة وأن منصوراً وحموداً يساعدانه ••

فأبقى أمير الدرعية عراراً لديه وعفى عن الآخرين ، وتم الاتفاق على أن يكون عمال الخراج في منطقة أبي عريش من قبل الدرعية ، كما أبقي منصور أمير صبيا مرتبطاً بالجهاد مع عبد الوهاب وطلب منه أن يهادن حموداً •

انتصر حمود على إمام اليمن في تهامة ، ولكن بدأت تظهر بعض نواياه تجاه السعوديين ، فوصل وفد برئاسة طامي بن شعيب إلى تهامة فلم يجد عند حمود ما يثير الشكوك لما أظهره لهم ، إلا أن الأمر لا يمكن أن يطول اخفاؤه إذ أبدى لعمال الدرعية الذين يجمعون الخراج في منطقته بعض نواياه ، فوصل ذلك إلى سعود أمير الدرعية الذي طلب من عبد الوهاب غزوه ، وتأهب الطرفان والتقت القوتان في وادي بيش ، وكانت معركة حامية انتصر فيها جيش عبد الوهاب إلا أنه خسر قائده عبد الوهاب عام ١٢٢٤ هـ • وتحصن الشريف حمود في أبي عريش •

تولى أمر عسير بعد عبد الوهاب ابن عمه طامي بن شعيب بأمر من الدرعية فعين ابن عمه الثاني محمد بن أحمد المتحمي أميراً على صبيا ومنطقة بيش ، وعندما وصل هذا الأمير إلى صبيا جاءه جيش حمود أبي مسمار محاصراً له ، وفي مطلع عام ١٢٢٥ هـ جاء طامي بن شعيب بقوة فكت الحصار عن صبيا ونظم أمر الحامية وعاد إلى مقره في عسير ، بينما كان حمود قد انسحب إلى أبي عريش واعتصم فيها •

جاءت نجدة من اليمن إلى أبي عريش قوامها ألف مقاتل من الإمام أحمد بن المنصور الذي كان على صلة طيبة بالشريف حمود الذي ساعده على اقصاء أبيه المنصور عن الحكم وتسلم الأمر دونه ، وصار حمود يتصرف ببعض الأمور من خلف الإمام الجديد أحمد ، ولعل مساعدة الابن جاءت لأن السعوديين كاتبوا المنصور يحرضونه على قتال أبي مسمار ، وربما كا نيحب ذلك، ولكنه يخشى إن وقعت الحرب بينه وبين أبي مسمار الذي يحكم أجزاء واسعة من اليمن ــ حسب رأيه ــ بينما حسب رأيه أيضاً أن للاشراف تهامة الحجاز فقط ــ يخشى أن يستغل إمام الدرعية الفرصة ويهاجم اليمن • فلما أعطاه سعود بن عبد العزيز العهد بألا يتعرض لليمن بسوء وحرضه على حرب أبي مسمار فعل وانتصر عليه ••• ولذا حرض ابنه عليه ، فلما ذهب من الحكم ، وجاء أحمد أصبح أبو مسمار يعتمد عليه في حربه ضد السعوديين •

وصدر أمر من الدرعية بنزول عثمان المضايفي من الحجاز وطامي بن شعيب من عسير إلى أبي عريش والتقى القائدان في ميناء الشقيق عام ١٢٢٥ هـ ، وانتهى الأمر باندحار الشريف حمود في بربر ، واستولى المهاجمون على ميناء اللحية وجيزان • وعاد كل إلى مقره وعاد طامي بن شعيب بعد ثلاثة أشهر إلى المنطقة ودخل اللحية مرة ثانية •

ولما ضعف مركز الشريف حمود أرسل أربعة رجال من بني عمه ببعض الهدايا إلى سعود بن عبد العزيز بن محمد أمير الدرعية

وكان يومذاك حاجاً في مكة فأظهروا له الطاعة فعفا عنهم وأيدهم• وربما كان الذي توسط بالصلح يومذاك محمد بن علي الحسني أمير صعدة ، وكان الاتفاق الذي تم نتيجة هذه المصالحة تنازل الشريف حمود عن صبيا والدرب وبيش للإمام سعود ، ودفع خراج سنوي عن الموانىء اليمنية ، وأن يكف السعوديون عن حربه وذلك عام ١٢٢٦ هـ •

وبذلك هدأت الأحوال في المنطقة وأصبح الوضع السياسي في تهامة كما يلي :

١ً ــ من صبيا وشمالاً يتبع الإمام سعود وينوب عنه أمير عسير طامي بن شعيب •

٢ً ــ من ضمد وجنوباً بما في ذلك جيزان تتبع الشريف حمود أبو مسمار •

وقعت الحرب بين إمام نجد سعود وإمام صنعاء أحمد بن المنصور ، فاستغل الشريف حمود الفرصة ودخل الحديدة وبيت الفقيه وزبيد وضمها إلى ملكه ، بعد أن انتزعها من أملاك إمام صنعاء ، ولما كان حمود يرسل الخراج وأخماس الغنائم إلى الدرعية طلب الإمام سعود أن يرسل من قبله عمالاً لتحصيلها مع ما يأتي من الموانىء فساورت الشكوك نفس حمود واعتقد أن سعوداً يريد التدخل في شؤونه ، فلما وصل المصريون إلى الحجاز بدأ يكاتبهم ، ويحرضهم على حرب الدرعية ويعدهم بالطاعة والنصر ، فعلمت الدرعية بذلك فأرسلت إليه تهدده ، فضرب حمود

رؤوس الرسل الذين جاؤوا إليه وعزل العلماء السعوديين في بلاده، وصرح لهم بالعداوة ، ولا زال محارباً لهم حتى مات عام ١٢٣٣ هـ ، ولعل جرأته هذه جاءت لاعتقاده أن السعوديين لن تقوم لهم قائمة بعد وصول المصريين إلى المنطقة ٠

وفي أثناء هذه الأحداث شن محمد علي باشا والي مصر من قبل الدولة العثمانية هجوماً كاسحاً على الدولة السعودية عام ١٢٢٦ هـ ، إذ أرسل قوة نزلت في ميناء ينبع بقيادة ابنه الشاب طوسون ، وتقدمت هذه الحملة نحو الداخل ، فهزمت أمام القوات السعودية بإمرة عبد الله بن سعود ٠٠٠ وتراجع طوسون إلى ينبع يطلب من أبيه النجدة فأمده بحملة كبيرة استطاع بعدها أن يتقدم نحو الداخل وأن يحتل المدينة المنورة بعد حصار دام شهرين وعشرة أيام ، وبعد هذا الانتصار ، مال شريف مكة غالب بن مساعد إلى طوسون فدخل جدة ومكة المكرمة عام ١٢٢٨ هـ ، ثم اتجه إلى الطائف واحتلها ، وخرج منها أميرها عثمان المضايفي ملتحقاً بالقوات السعودية ، وعند دخول القوات المصرية الطائف بإمرة الشريف غالب انضم إليها معظم القبائل حتى غامد وزهران ٠

هاجمت القوات السعودية القوات المصرية وانتصرت عليها وتقدمت نحو الطائف بقيادة عثمان المضايفي الذي استطاع أن يحتل بعض أجزاء الطائف إلا أنه أسر فقبض عليه غالب بن مساعد، وأرسله إلى تركيا حيث لقي مصرعه ٠

أمام هذا التقدم الذي أحرزته جيوش محمد علي ، جاء هو

بنفسه فوصل جدة، ومنها انتقل إلى مكة وكان في استقباله الشريف غالب بن مساعد ، ولكن حدث ما لم يتوقع فرغم كل المساعدات التي قدمها الشريف غالب إلى المصريين وقيادته لجيوشهم واستقباله لمحمد علي، فقد قبض عليه محمد علي وأرسله مع أولاده أسارى إلى مصر ، ونصب مكانه شريفاً على مكة ابن أخيه يحيى بن سرور ٠ ومن مصر أرسل غالب إلى تركيا حيث بقي محتجزاً هناك حتى وافاه أجله عام ١٢٣١ هـ متأثراً بمرض الطاعون ،وجلس محمد علي باشا في مكة يصدر الأوامر إلى جيوشه المتعددة ٠

طلب من الجيش الأول في المدينة الزحف نحو نجد ، وأمر جيشه الثاني في جنوبي الطائف بالتحرك نحو تربة ،وأعطى التعليمات لجيشه الثالث في تهامة أن يسير نحو القنفذة ليحتلها بمساعدة الأسطول في البحر الأحمر ، ليؤدب قبائل عسير وزعيمها طامي ابن شعيب لمناصرتهم السعودية هذا من جهة ومن جهة ثانية ليشاغلهم عن مساعدة القوات السعودية جنوبي الطائف ٠

وفي عام ١٢٢٩ هـ توفي أمير الدرعية سعود بن عبد العزيز مما زاد النشاط لدى القوات المصرية ، ففي تهامة احتل الجيش المصري القنفذة عام ١٢٣٠ هـ ولكن بعد شهرين أغار عليهم طامي ابن شعيب بأهل عسير ، فهزموهم هزيمة منكرة ، ولاذ من سلم منهم بالسفن ، واندحر الجيش إلى جدة ، وغنم طامي بن شعيب المدافع والذخيرة كلها إضافة إلى الخيل ووسائل النقل آنذاك والخيام ٠ وكرر محمد علي المحاولة واحتلت جنوده القنفذة

وعاد إليها طامي ، وتكررت هزيمتها على صورة أكبر من الأولى ، وعند ذلك عـدّل محمد علي في خطته ، ورأى أن الطريق إلـى عسير إنما هو طريق السراة لاطريق تهامة •

أسرع طامي بن شعيب لملاقاة جنود محمد علي المتقدمة من الطائف وتقابل الطرفان في وادي تربة ، وجرت معركـة حامية ، وانتصر اهل عسير،وارتد المصريون إلى الطائف،وجاءت إمدادات من الإمام في الدرعيـة عبد الله بن سعود لمؤازرة أهـل عسير ، واصطدمت قوات نجد بإمرة تركي بن سعود مع القوات المصرية في جنوبي الطائف ، وهزمت القوات السعودية عام ١٢٣١ هـ •

تقدم محمد علي على رأس حملة ، فاحتل تربة ورانية ثـم بيشة ، واستقر في خميس مشيط بعـد أن لقـي مالقي من التعب والإعياء والهزائم في بعض المواقع ولكنه كان يتحمل ويكابد ، ومن خميس مشيط من بلاد شهران تقدم إلى عسير عبر بلاد بني مالك . وسقطت بلدة طبب مركز حكم طامي بن شعيب ١٢٣١ هـ ونجـا طامي من المعركة وتحصن في جبل تهلل ولكنـه هزم أيضاً فسار منحدراً نحو تهامة ، وفي وادي بيش اتصل بصديقه الشيخ يحيى ابن محسن النعمي ، واستشاره في القدوم على الشريف حمود ، فأشار عليه ألا يفعل لما بينهما من عداء سابق ،وإنما يعتصم بالجبال، ولكنه أصر على اتصاله بحمود •••• وسار نحو بلاده •

وعندما وصل خبر هزيمة عسير أمام جند محمد علي أسرع حسن بن خالد وزير الشريف حمود واحتل صبيا وطرد الحاميـة العسيرية منها ، وأرسل سرية تفتش عن طامي بن شعيب،فالتقت بـه

في طريقه إلى صبيا مع صديقه النعمي،فأسرته وقادته إلى صبيا،وسلمه حسن بن خالد إلى محمد علي تقرباً وزلفى ، فأرسل مقيداً إلـى مصر مع محمد علي ، ومن هناك بعث إلـى استانبول فشهر به في الأسواق ثم ضربت عنقه عام ١٢٣٢ هـ •

غادر محمد علي عسير بعـد أن ترك فيها حاميـة كبيرة ، وخضعت له اسمياً ، وسار إلى مكة ، ومنها اتجه إلى المدينة ، ولم يطل المكوث فيها حيث وصل إليه خبر مفاده اندلاع ثورة في القاهرة ضده ، ونبأ فرار نابليون بونابرت من منفاه في جزيرة إلبا ، فأراد العوده إلى مصر ، ولكنه كان يخشى إثر عودته انقضاض أهـل البلاد على جنده ، ولكن لابد من السفر ، فعمل على تمكين الوضع ودعمه ، وعاد إلى مكة المكرمة ، ومنها رجع إلى عسير ، فبلـدة محايل عن طريق عقبة شعار ، فالقنفذة ومنها إلى مصر ، وفي كـل هذا كان يرافقه أمير عسير طامي بن شعيب مكبلاً بالحديد •

أما جبهة المدينة المنورة فقد استطاع طوسون بن محمد علي أن يصل إلى بلدة الرس في نجد ، وأن يعقـد هناك اتفاقاً مـع السعوديين ••••• ويعود إلى المدينة ولما أخبر والـده بالصلح وكان قد وصل إلى مصر طلب منه العودة إلى القاهرة ،فنفذ الأمر، ولكنه لم يلبث أن مات هناك بعد أشهر قليلة •

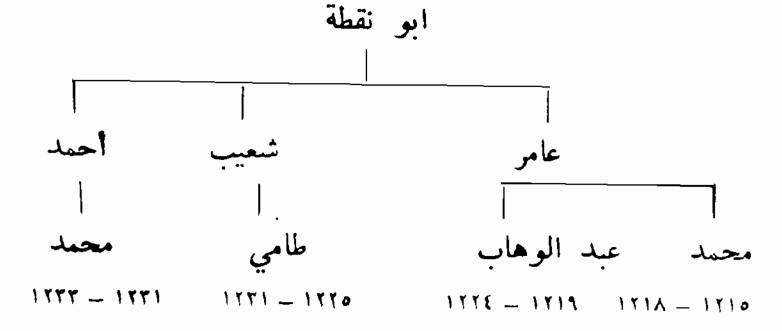
نقض محمد علي عهد ابنه طوسون فأرسل حملة جـديـدة بقيادة ابنه الآخر ابراهيم عام ١٢٣١ هـ واستطاع بعـد عامين أن يدخل الدرعية ويهدمها ويقضي على الدولة السعودية الأولى •

ولما تمّ لمحمد علي باشا والي مصر احتلال عسير ــ كما رأينا ــ بعد معارك دامية ومقاومة شديدة ، تمركزت قوته في طبب ، وعاد بعدها إلى الحجاز ، وكان قد لجأ بعض زعماء عسير إلى أطوارها الغربية ، واعتصموا فيها ، ومنهم محمد بن أحمد المتحمي وسعيد بن مسلط وعلي بن مجثل مع من انضم إليهم من بني مغيد ، وعلكم وبعض ربيعة ورفيدة ، وبني زيد ، وبني قبس من رجال ألمع بعد هزيمتهم في الباحة .

علم هؤلاء المعتصمون بعودة محمد علي باشا إلى الحجاز فخرجوا من مأمنهم ، وانقضوا على الحامية المصرية في طبب فقتلوا من قدروا عليه ومن نجا منهم فر إلى الحجاز .... وسيطر زعماء عسير على أمور بلادهم ....

سار محمد بن أحمد المتحمي إلى أبي عريش لينتقم لابن عمه طامي ،وتقدم نحو درب بني شعبة فالتقى هناك بقوات الشريف حمود بقيادة وزيره حسن بن خالد ، فهزم أهل عسير في ١٧ رجب عام ١٢٣١ هـ .

آل المتحمي



لم يكد محمد علي باشا ينتهي من أمر عسير حتى وصلت فلول حاميته التي تركها في طبب إلى الحجاز ، فأثار ذلك غضبه .. وأمر بإرسال قوة كبيرة إلى عسير تؤدب قبائلها وتنتقم من زعمائها وذلك في أواخر عام ١٢٣٢ هـ .

سارت قوة محمد علي من الحجاز وقد ضمت في صفوفها تركاً ومصريين وحجازيين ، تحرك حسني باشا عن طريق بلاد غامد وزهران وانطلق نحو عسير وسار الشريف محمد بن عوف عن طريق بيشة وبلاد شهران باتجاه عسير وتوجه جمعة باشا من الساحل صوب عسير عن طريق محايل ، ووصلت أصداء هذه الحملات إلى عسير فاستعد رجال القبائل وتصدوا لها على حدود بلاد رجال الحجر وبلاد ألمع،وكانت بين الفريقين معارك طاحنة هزمت على أثرها عسير ، وتراجعت بعد أن أثخنت في جيش حسني باشا قتلاً في موقعتي « مسفرة » و « الحضن » وقد استبسل فيها الطرفان .

دخل محمد بن عون أبها وتمركز فيها بعد أن احتل بلاد شهران وبني مالك ، وزحف جمعة باشا إلى بلاد ربيعة ورفيدة ، وكان جيش حسني باشا قد لاحق أهل عسير حتى « السقا » حيث اعتصموا فيها ، ومنها لجؤوا إلى الأطوار الغربية بعد معركة كادت تأتي على الطرفين في موقعتين جرتا شمالي السقا في السوق والصعيد .

تداول زعماء عسير الرأي في الوسيلة التي يتمكنون فيها من طرد الاتراك وإخراجهم من مواطنهم فقرروا المقاومة ،واستنفار القبائل جميعها من سراتها وتهامتها ، كما رأووا الاستعانة بالشريف حمود أبي مسمار خوفا من أن ينضم إلى الاتراك ويكون حربا على عسير مستغلاً الظروف وراكباً طريق مصلحته ، خائفاً من أن يصل إليه هجوم الترك بعد أن أصبحوا يسيطرون على السراة ، وأصبحوا على حدود منطقة نفوذه ، فقبل أن يسير إليه الترك ينضم إليهم ويبعدهم من الهجوم عليه ٠٠٠٠٠ ورأى زعماء عسير أن الاستعانة بالشريف حمود إضعاف لقوته وانهاك للترك في وقت واحد إذا في اشتباك الطرفين مع بعضهما بعضاً مصلحة لأهل عسير الذين يحاربون الترك ، ويواجهون الشريف حمود فالوقائع بينهما لاتكاد تتوقف عندما ينفردان في الميدان ٠ إذ أنه رجل طموح لايقف به الأمل عند حد ، وكانوا على علم أنه ليس من السهولة إقناعه بالنجدة لعسير وليس من اليسر تلبيته طلب المدد بسرعة فهو من الذكاء لدرجة لاتخفى عليه سياسة ولاتنطلي عليه حيلة ،ولاتصلح معه مراوغة ،ومع ذلك أرسلوا إليه حامد بن أحمد ابن علي بن مبارك بن سليمان وأحمد بن يحيى أبو زوعة شيخي قبيلة علكم لمحادثته وطلب النجدة منه ٠

قلّب الشريف حمود الأمر فرأى أن يرسل وزيره حسن بن خالد الحازمي على رأس قوة من تهامة خوفاً من مغبة الأمر وتفاقمه إذ وجد أن ترك الفرصة صعب وقد وافته الظروف وجاءه وجهاء

عسير يطلبونه وهو الذي يحلم في حكم عسير ، كما أن السرعة أمر فيه من الخبل الشيء الكثير ٠٠٠٠ أو نستطيع أن نقول : إن لعابه قد سال لحكم عسير وهو الذي يطمح به منذ زمن وهذا ماجعله إيجابياً إلى حد ٠٠٠٠٠ أرسل وزيره وطلب منه أن يكون يقظاً وأن يوافيه بمجريات الأمور تباعاً حدثاً وراء حدث ٠

اطمأن حسني باشا على الأمور في عسير إذ رأى الهدوء مخيماً أو هكذا بدا له إذا كان أولو الأمر في مرحلة التهيئة ٠٠٠٠ أو أنه طمأن نفسه ليبتعد عن هذا الجو ، فعاد إلى الحجاز ومعه جمعة باشا ، وقد تركا حامية في طبب ٠٠٠٠٠ ولكنهما ما ان غادر عسير وعلم بمسيرهما سعيد بن مسلط ومحمد بن أحمد المتحمي حتى انقضا ومن معهما على حامية طبب ففتكوا بها وتمركزوا مكانها ، وشاع الخبر ووصل النبأ إلى محمد علي باشا فأمر بتسيير حملة على رأسها جمعة باشا فلبى الأمر وسار ومعه الأميران منصور بن ناصر آل الخيرات وابن عمه علي بن حيدر المنافسين لعمهما الشريف حمود والمنازعين له السلطة ، إلا أن هذه الحملة لم تكد تصل إلى مشارف بلاد رجال ألمع حتى تصدت لها قبائل تهامة ورجال ألمع بقيادة حسن بن خالد فهزمتها وعادت فلولها إلى الحجاز ، فارتفعت بذلك معنويات جيش الحازمي ، وعزّ ذلك على والي الحجاز فأرسل جيشين أحدهما عن طريق الساحل ويقوده جمعة باشا والآخر عن طريق السراة بقيادة سنان آغا ٠

شعر العسيريون في هـذا الوقت بقدرتهم على الصمود وآنسوا في أنفسهم إمكانية المقاومة كما أنهم خافوا من قوةجيش أبي عريش فرغبوا الوقيعة به ، وأحس قائده حسن بن خالد بتلك الرغبة ولاحظ بوادر الشر فكتب إلى أميره الشريف حمود يستحثه بسرعة القدوم إليه بقوة تمكنه من انقاذ الموقف وتعزيز قوته في السراة لإمكانية السيطرة ، ولم يجد الشريف حمود بداً من تلبية طلب وزيره فسار على رأس قوة كبيرة وارتقى السراة عن طريق عقبة ضلع ولم ينتبه أهل عسير إلا وقد تمركز في أبها .. وكان هذا الخروج متفقاً مع وصول القوة التركية .

رأى العسيريون أن تصطدم القوتان قوة الترك وقوة الشريف حمود وأيهما انتصرت أصابها الضعف من القتال وانهكت قواها المعارك وبقيت أدنى من قوة عسير ..... وفضلوا القتال بجانب الشريف حمود لدعوتهم إياه وشدة الترك وحملاتهم المتكررة ... فأظهروا للشريف حمود خلاف ما يضمرون وأخفوا عنه ما يبيتون إذ أن من المصلحة تأخير الصدام معه مادام هناك عدو مشترك .

سار الأمير سعيد بن مسلط وحامد بن سليمان ببني مغيد وعلكم إلى الشرف لصد هجوم جمعة باشا وتوجه محمد بن أحمد المتحمي بقبائل ربيعة ورفيدة وبني مالك إلى الطلحة وشعار والملاحة لصد هجوم سنان آغا ورابطت بقية القبائل في طبب ...

تقدم جمعة باشا إلى محايل ومن هناك أرسل حملة بقيادة علي بن حيدر الخيراتي لاحتلال أبي عريش ليضطر أميرها إلى الانسحاب من وجه جمعة باشا ، ويوقعه في مأزق حرج ..... أرسل الأمير علي بن حيدر عيناً أمامه لاستطلاع الأمور ومعرفة الأخبار وأوضاع القوات ولم يلبث أن عاد إليه يحمل خبر ارتقاء عمه الشريف حمود السراة وعدم بقاء سوى قوة قليلة في أبي عريش فأسرع واحتل المدينة ... في حين توجه جمعة باشا إلى السراة ..

ومن جهة ثانية واصل سنان آغا زحفه إلى أن احتل بلدة طبب بالرغم من المقاومة الشديدة التي لاقتها قواته إلا أن هذا الاحتلال قد جعل ردّ فعل قوي عند قبائل عسير فتحمست للقتال والتفت حول الشريف حمود وحول زعمائها المتحمي وابن مسلط وهجمت على طبب ، وكتب لها النصر ، وهزمت قوات سنان آغا وحاول النجاة بنفسه فسار ومعه الشريف منصور بن ناصر وعدد قليل من الجند فلاحقتهم حملة من بالأسمر في وادي نيّه وألقت القبض عليهم جميعاً وقتلتهم ، وهكذا خرج من الساحة سنان آغا والشريف منصور .

بعد هذا النصر وذهاب نشوته في عسير بدأ الحليفان بالأمس والمختلفان بالتخطيط والعمل ليقضي كل منهما على خصمه ، فقد أراد الشريف حمود أن يتخلص من الأمراء محمد بن أحمد المتحمي وسعيد بن مسلط وعلي بن مجثل ، وقد أدرك هؤلاء الثلاثة نواياه فأرادوا أن يتخلصوا منه قبل أن يفتك بهم ، فأرسل إليه سعيد بن

مسلط بعض رجاله فقتلوه سراً يوم الاثنين ١٤ ربيع الأول ١٢٣٣ هـ في قرية الملاحة من قرى بني مالك إحدى قبائل عسير ودفن هناك .

أحس الوزير حسن بن خالد بالخطر يحدق به وبجنده بعد موت أميره وأدرك صعوبة الموقف ، وعلم أن زعماء عسير لم يطلبوا النجدة من الشريف حمود إلا لإيقاعه في الشرك وقطع صلته بالترك خوفاً من أية صلة تقوم بينهما ثم الوقيعة به وبقوته .... وقد استطاعوا قتاله ....

لجأ حسن بن خالد إلى الحيلة فأبدى أنه على خلاف مع أميره الجديد الشريف أحمد بن الشريف حمود الذي تولى الإمارة مكان أبيه . وذلك بعد الاتفاق معه . وطلب منه أن يبدي ما أبدى هو ... وهذا ماهيأ الفرصة للشريف أحمد أن ينسحب برجال تهامة الذي كانوا مع أبيه نحو مدينة أبي عريش مقر حكمه ومركز نفوذه .... إلا أنه وهو على مشارف المنطقة فوجيء بكمين نصبه له ابن عمه الأمير علي بن حيدر ،فالقي القبض عليه . وتفرقت قوته ، وعاد أكثرها إلى عسير ، أما هو فقد اقتيد إلى أبي عريش حيث شهّر به ، ثم نفي إلى مصر حيث كان مثواه الأخير ...

أثرت هذه الصدمة على نفس الوزير حسن بن خالد وزادت موقفه حرجاً فوق حرج فالعسيريون يريدون الوقيعة به . وأبو عريش منطقة نفوذه تعاديه وقد ألقت القبض على أميره ونفته ، وهي في يد خصمه ، والترك في حرب معه ، ويحاولون القضاء عليه فضاقت عليه الأرض بما رحبت ولم تعد تجدي معه سوى السياسة

فرأى من الخير له كل الخير أن يداهن أمراء عسير ، ويتودد إليهم ويلين لهم ولو كان في ذلك شيء من الذلة ويبقى معهم في حرب خصومهم ....

في هذا الوقت كان ابراهيم باشا ولد محمد علي باشا والي مصر قد استطاع دخول الدرعية وتدميرها وذلك في ٨ ذي العقدة ١٢٣٣ هـ (٩ ايلول ١٨١٨) وقضى على الدولة السعودية وتفرغ بعدها الترك والمصريون ومن والاهم من قبائل الحجاز إلى عسير .... فسارت قوة كبيرة على رأسها خليل باشا والشريف محمد بن عون وسليمان سنجق .....

سار خليل باشا عن طريق السراة وتبعته قبائل غامد وزهران ومعظم قبائل رجال الحجر وقد استطاع الوصول إلى شعار . واتجه الشريف محمد بن عون عن طريق بيشة وبلاد شهران حيث انضمت إليه قبائل بيشة وشهران وقحطان . وخرج سليمان سنجق من القنفذة إلى بلاد رجال ألمع فدرب بني شعبة وقد انضمت إليه قبائل تهامة ، وقد أرغمهم على هذا الانضمام ، خروج الأمير علي بن حيدر من جهته أيضاً ، فلم يكن للقبائل إلا إظهار الخضوع وابداء الرغبة في المشاركة بالحملة على عسير .

أخافت هذه الجموع أهل عسير إلا أنه لابدّ من المقاومة ومن سلك الطريق الصعب لابد من اتمام السير فيها .... فكوّنوا ثلاث جبهات دفاعية ....

أولاها بقيادة سعيد بن مسلط ومعه حسن بن خالد لمواجهة الشريف محمد بن عون في بلاد شهران .

وثانيتهما بإمرة محمد بن أحمد المتحمي وقد تمركزت في الملاحة لمجابهة خليل باشا .

أما الثالثة فقد رابطت في أبها تحت إشراف علي بن مجثل .

واقتربت بعض القوات من بعض ، واشتبكت في حرب ضروس بقيت سجالاً مدة عشرة أيام ، ثم تمكن خليل باشا من دحر الأمير محمد بن أحمد المتحمي وإلقاء القبض عليه وعلى بعض أفراد أسرته ..... ثم والى خليل باشا زحفه حيث تمركز في طبب ومنها انتقل إلى السقا حيث كانت المعارك هناك حامية الوطيس بين علي بن مجثل وسليمان سنجق فعزز خليل باشا قوة الاتراك بعد أن كادت الهزيمة تلحق بهم فاضطر علي بن مجثل إلى الانسحاب إلى أبها حيث اعتصم فيها ..... وتابع الترك زحفهم نحو أبها فألقوا الحصار عليها ... وبدأ الوهن يدخل إلى نفوس القوات داخل أبها وأصبح كل منهم يريد أن يجد لنفسه طريقاً للخلاص . أو ملجأ للنجاة ، ليلوذ بالفرار ، وهذا ما اضطر علي بن مجثل للاستسلام .

أما على الجبهة الثالثة فقد كتب النصر في بداية الأمر للأمير سعيد بن مسلط على الشريف محمد بن عون في معركة جرت بين الطرفين قرب أطلال جرش إلا أن وصول الأنباء إلى الجند العسيري بما حل في بقية الجبهات جعل النفوس تضعف والمعنويات تنهار وكل يفكر بما حل بالأهل والأوطان ، وبخاصة بعد مقتل القائد

حسن بن خالد في كمين نصب له في بلاد شهران يوم الخميس ٢٣ شعبان ١٢٣٤ هـ فانقلب النصر هزيمة وغدا الفرار غنيمة ورجع الأمير سعيد ومن بقي معه إلى الأطوار وأشيع أنه مات مع حسن ابن خالد .

دخلت قبائل عسير في طاعة خليل باشا على مضض في النفوس وكره في القلوب ، ونفي الأمير محمد بن أحمد المتحمي مع ولده مداوي إلى مصر وبعض أقربائه ، وتفرقت القوات التركية بعد ذلك وظنت أن الأمر قد انتهى ، فبعضها عاد إلى الحجاز مع خليل باشا الذي أخذ العهود والمواثيق من أهل عسير وقبائلها بالموالاة للدولة العثمانية ، وبعضها سار إلى اليمن ، واتجه قسم ثالث إلى أبي عريش ، وبقيت حامية في طبب ، وذلك في مطلع عام ١٢٣٥ هـ .

أما المخلاف السليماني فقد تولى أمره علي بن حيدر الموالي لقوات محمد علي والذي قاتل معها وذلك بعد القاء القبض على ابن عمه أحمد بن حمود ونفيه إلى مصر .

لم يمض شهر على مغادرة خليل باشا لعسير حتى خرج الأمير سعيد بن مسلط من ملجئه بالأطوار مع من انضم إليه من بني مغيد وعلكم وبعض قبائل عسير الأخرى وانقض على حامية طبب التركية فاعتصمت داخل البلدة فألقى عليها الحصار فاستسلمت لحكمه فسلبها وأطلق سراحها ، وشعر بعد هذا بارتفاع

المعنويات ،وزيادة الامكانات،وقد جاءته وفود القبائل معلنة الطاعة ومبدية الاذعان وذلك في مطلع عام ١٢٣٦ هـ .

أمام هذا الذي حدث في عسير أسرع جيش من الحجاز بإمرة الوالي أحمد باشا والشريف محمد بن عون ومعهما دوسري ابن عبد الوهاب المتحمي ، إلا أن هذا الجيش لم يكد يصل إلى مشارف عسير حتى جابهه الأمير سعيد بن مسلط بقوة تكافئه فانتصرت عليه وأجبرته على العودة إلى الحجاز يجرّ وراءه ذيول الخيبة والذل وكان من نتيجة ذلك أن ضم الأمير سعيد إليه بلاد رجال الحجر .

أعاد أحمد باشا الكرة فأرسل حملة كبيرة وأوكل إمرتها إلى الشريف محمد بن عون ومعه أخواه راجح وهزاع ، فسارت الحملة عن طريق بلاد غامد وزهران حتى وصلت الى حدود بلاد رجال الحجر فإذا بالأمير سعيد على رأس قوته يقف لهم بالمرصاد إلا أن كثافة جيش ابن عون قد تغلبت على شجاعة ابن مسلط فدحرته ووالت زحفها إلى طبب بقيادة هزاع وراجح ومعهما دوسري بن عبد الوهاب .... فهزموا علي بن مجثل قائد حامية طبب التي كانت مقراً لإمدادات أخيه ابن مسلط .

دخل الشريف محمد بن عون عسير واعتصم سعيد بن مسلط وأخوه لأمه علي بن مجثل بالأطوار ، وبايعت قبائل عسير ابن عون على مضض . وتوسط الأمير ابراهيم بن عبد الله بن عبد المتعالي أمير بني قيس من رجال ألمع بين محمد بن عون وسعيد بن مسلط

وتم الصلح بينهما وعفا ابن عون عن ابن مسلط ومن معه ....
ترك ابن عون حامية في طبب بإمرة أخيه هزاع ومعه دوسري ابن عبد الوهاب المتحمي وتوجه هو إلى بلاد شهران في طريقه إلى بلاد وادي الدواسر ... واستنفر قبائل عسير للقتال معه في وادي الدواسر ، ومكث في بلاد ناهس ينتظر قدوم قبائل عسير . إلا أن سعيد بن مسلط قد تأخر عليه بمن معه من جند بني مغيد وعلكم ، فانتهره الشريف وقسا عليه في التأنيب أمام الجميع فثارت ثائرة سعيد بن مسلط ومن معه فانتظر حتى تحرك الشريف محمد ابن عون بجنده فتراجع هو بقوته من عسير مسرعاً ، والتقى في طريقه بالأمير ابراهيم بن عبد الله بن عبد المتعالي في المجمعة وأخبره بما فعله الشريف محمد بن عون معه فتأثر ومن معه جداً وساءهم ما فعله في حق أميرهم فبايعوه على قتال محمد بن عون والترك .

توجه الأمير سعيد بمن معه مباشرة إلى طبب وهجم على حاميتها وأحرق مركز الحكم فيها . وقتل هزاع بن عون وأباد الحامية ، وكلف من يقوم بتدمير القصور التي يعتصم فيها الترك، وسار مسرعاً للقاء ابن عون .

ولما وصل الخبر إلى الشريف محمد بن عون قفل راجعاً إلى عسير وقبل وصوله إليها التقى بالأمير سعيد في وادي عتود فجرت بين الطرفين معركة طاحنة لم تشهد عسير مثلها ....وانهزم

الشريف محمد بن عون ومعه أخوه راجح ودوسري بن عبد الوهاب المتحمي فتتبعتهم قوة الأمير سعيد فأدركت الشريف راجح ابن عون بالقرب من وادي (الجنفور) فقتلته ونجا كل من محمد بن عون ودوسري بن عبد الوهاب المتحمي ، وسار الأول إلى الحجاز على حين اتجه الثاني نحو نجد •

وبرز سعيد بن مسلط بين وجهاء عسير وعرف بشجاعته واستبساله في القتال ، وتيامنوا به •

الفصل الرابع

الاستقلال

التفت قبائل عسير — سراة وتهامة — حول الأمير سعيد بن مسلط وكذا قبائل رجال الحجر وقحطان وشهران وبايعته بالإمارة لما لأسلافه من السلطة والنفوذ على هذه المنطقة في الماضي والحاضر ، فهو من أسرة آل يزيد الأموية التي كانت تتولى إمرة المنطقة على مدار تاريخها تقريباً سوى فترات قصيرة يعصف بها روح الخلاف بين أفرادها على الإمارة والزعامة ، أو تصل قوة كبيرة من خارج المنطقة فتبعد الأسرة عن مركزها ولكن لا يلبث أن يعود الأمر إليها ، وتتسلم المقاليد بزوال السبب ، ولما يتمتع به شخصياً من منزلة رفيعة بين رجالات القبائل وسراة القوم •

وعندما انتشرت دعوة محمد بن عبد الوهاب في المنطقة وعمل لها محمد بن عامر أبو نقطة وأخوه عبد الوهاب كانت الإمارة — كما ذكرنا — بيد محمد بن أحمد من آل يزيد فوقف في وجه الدعوة فكان أن قتل ، بينما وقف أبناء عمومته سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل مع الدعوة وأيداها وعملا لها ، وكانا موضع ثقة ودين •

ولما كانت الإمارة في عسير تعتمد وتقوم على الدين،لأن أهلها أهل صلاح وتقوى بشكل عام ، فإن الأمير يجب أن يتحلى بهـذا وتتصف بالاستقامة ، وسعيد من هؤلاء الرجال ، إضافة إلى أنه من الأبطال الافذاذ عرف بالشجاعة واشتهر بالبسالة وامتاز بالدين واتصف بالاستقامة فجدير به أن يتسلم الإمارة وحري بأهل عسير أن يقدموه على أنفسهم وينصبوه أميراً ويلتفوا حوله .

أرسل الأمير سعيد بن مسلط أخاه علي بن مجثل على رأس قوة إلى بلاد سنحان ووادعة ، فأدخلها في طاعة الأمير سعيد .

ووجه ابن خاله الأمير يحيى بن مرعي بقوة إلى بيشة،فأدخلها في طاعة عسير .

وسار بنفسه على رأس قوة فدخل بلاد غامد وزهران .

وأصبح الأمير سعيد بن مسلط سيد هـذه البلاد كلها .

وهكذا انتقل الحكم في عسير من آل المتحمي إلى آل يزيد .

وانتقل المركز من طبب إلى السقا ، وكانت عسير مرتبطة بالدرعية فأصبحت مستقلة ينتقل الحكم بين أبنائها حسب وصية الأمير القائم بالأمر ، ورأي أهل الحل والعقد في البلاد،حيث كانت الدولة السعودية في غياب عن مسرح التاريخ لما أصابها بعد دخول ابراهيم باشا الدرعية . ولكن هناك صلات نسب بين آل المتحمي وآل يزيد .... فأم عائض بن مرعي هي عائشة بنت عامر بن أحمد المتحمي . وكذلك أم أولاده عبدالله ويحيى وأحمد هي غامية بنت محمد بن أحمد المتحمي ، ولا غرابة في ذلك فالأسر

المرموقة تتزاوج فيما بينها ، بل ويحرص الآباء على زواج أبنائهم من بنات يعتقدون أنهن كفء لهم .

وتوالت الأخبار بانتصار الأمير سعيد بن مسلط على الشريف محمد بن عون ثم استقلال عسير وانضمام المناطق إليه منطقة بعد أخرى وزيادة نفوذ الأمير العسيري وتقلص النفوذ المصري والتركي فكان لهذا كله أثر سيء في نفس والي الحجاز أحمد باشا الذي خشي أن تطرق جحافل العسيريين أبواب الحرمين الشريفين مما دفع أحمد باشا أن يعرض الأمر على الباب العالي . ويبين له أهداف عسير ، فجاء الرد بأن يتوجه بحملات قوية إلى عسير ويحيط بها من كل جهة ، ولعل الشريف محمد بن عون كان له اليد الطولى في شن هذه الحملات إذ كان يحرض والي الحجاز من قبل محمد علي وهو أحمد باشا وذلك لتبرير هزيمته ، ولينتقم من الأمير سعيد ، وحتى لا يتحمل مسؤولية الهزيمة وحده .

تقدمت قوات أحمد باشا ومعه الشريف محمد بن عون عن طريق تهامة ، ووالت زحفها على الرغم من مقاومة العسيريين واستبسالهم لدفعها عن بلادهم وردها من حيث أتت حتى التقت بقوات الأمير سعيد عند عقبة شعار ، فدحرتها واحتلت عسير ، واعتصم الأمير سعيد بالأطوار ، وبقي أحمد باشا في عسير حتى نهاية جمادى الأولى ١٢٣٩ هـ ثم عاد إلى الحجاز ، وقد ترك حامية في مدينة أبها إلا أن سعيد بن مسلط خرج من معقله بمن معه وهاجم الحامية في أبها ، واشتبك معها في معركة تراجعت بعدها إلى

مقرها في المدينة واعتصمت فيها ، فضرب عليها الحصار ، ورغم ما أبدته من مقاومة إلا أنها استسلمت في النهايــة ، فأخلى سبيلها وسمح لها بالعودة إلى الحجاز ••••• وأثناء عودتها التقت بقوة يقودها محمد بن عون فانضمت إليها وتابعت زحفهـــا نحو عسير حيث التقت مع الأمير سعيد عند عقبة شعار،فلحقت الهزيمةبالأمير والتجأ إلى الأطوار ، ودخل جيش محمد بن عون طبب وأبها إلا أن جيشه انسحب نتيجة الصلح الذي تم بين الطرفين في٢٦شعبان ١٢٣٩ هـ ، واستمر هذا الصلح لنهاية العام ثم نقضه محمـــد بـــن عون ، إذ جاءت قواته عن طريق بلاد شهران ، فالتقت بقوات الأمير سعيد وانتهت المعركة بهزيمة الشريف وانتصار العسيريين •••• ثم سادت فترة من الهدوء بين الطرفين ، وفي مطلع عام ١٢٤٢ هـ توفي الأمير سعيد بن مسلط (يوم الثلاثاء ١١ ربيع الأول) وخلفه الأمير علي بن مجثل •

وقد أقام داراً للضيافة في بلدة (السقى) •

معاوية بن أبي سفيان
يزيد
محمد
عبدالرحمن
محمد
علي (١)
عبدالله
خالد
عبدالله
علي
محمد
علي
هشام
سعيد
عبدالله
محمد
موسى
سليمان

- حسان
  - صقر
  - غانم
  - عبدالوهاب
  - عبدالرحمن
  - مراب
  - وهاس
  - علي
  - عايض
    - ابراهيم
      - عبدالله
    - حسن
      - عبدالوهاب
- ابراهيم
  - علي
    - ومن ذريته آل يزيد الشعف

(١) وهو الذي خرج من الشام الى عسير بعد سقوط دولة بني أمية في الشام ، فارا من وجه العباسيين ، وثار ضد الخليفة المهدي ثالث خلفاء بني العباس ، توفي مقتولا عام ١٦٩ هـ على يد الجيش العباسي الذي كان في طريقه الى اليمن لاخماد الثورات هناك بقيادة عبدالله بن عبد الرحمن الغامدي ، في مكان يعرف باسم « وهلة » بعد انهزام جيشه في موقع يسمى «الريعان» في بلاد غامد .

(١) يقول جعفر الحفظي : ان الامير سالم بن عبدالله استقدم جدنا موسى بن خثعم بن عجيل بن عيسى بن محمد بن أسعد بن عبد الله بن أحمد بن موسى بن عجيل بن عبدالله العمري ، وولديه محمد وأحمد اللذان انحدر منهم البيت الحفظي في عسير ، وذلك بعد قتل الامير سالم بن عبد الله هذا الامير علي بن ابراهيم بن عيسى الذويبي عام ٦٩٨ هـ .

علي بن مجثّل

١٢٤٢ ـ ١٢٤٩ هـ

تولّى علي بن مجثل أمر عسير بعد وفاة ابن عمه سعيد بن مسلط ، وهو أخوه لأمه عائشة أخت مرعي بن محمد ، وكان على منزلة رفيعة من الدين والورع ،فكان يقدّر العلماء الذين ساعدوه في فصل الخلافات بين الناس ، وكانت مدة إمارته غرة في تاريخ عسير ، إذ استطاع أن يحررها من السطرة التركية ، وساعده على ذلك الخلافات التي نشأت بين أشراف مكة ، وانشغال محمد علي في حروبه التي شنها ضد الدولة العثمانية ، وحنكته السياسية ، وتجاربه الكثيرة إذ لعب دوراً بارزاً في تاريخ عسير السياسي والعسكري قبل تسلمه الأمر أيام أخيه سعيد وأيام إمارة آل المتحمي ، وكانت تلك الأيام مليئة بالحروب والمعارك التي ما تكاد تنتهي حتى تبدأ ، وعلي بن مجثل ينتقل من قيادة جيش إلى آخر ، ومن المرابطة في مكان إلى منازلة في آخر .

بعد أن سيطر محمد علي باشا والي مصر على الجزيرة العربية قامت الحركات في وجهه ، فقد ثار عليه شريف مكة يحيى بن سرور عام ١٢٤٤ هـ ، فاستصدر محمد علي مرسوماً بعزل الشريف يحيى وتعيين محمد بن عون مكانه شريفاً على مكة .

دخل محمد علي حرباً ضد الدولة العثمانية عام ١٢٤٧ هـ ،

وتقدمت جيوشه في بلاد الشام ، وانتهز سكان الحجاز الفرصة وأعلنوا الثورة عليه ، وقد أرسل محمد علي حملة إلى الحجاز انتصرت على الوالي العثماني الجديد « تركشه بيلمز » أي: الذي لا يعرف التركية .

وقام علي بن مجثل بأعمال حربية نجملها بما يلي :

غزا عام ١٢٤٢ هـ وادي بيش والقبائل المقيمة فيه من بني عبس لأنها تمردت على حكمه ، فوطد الأمن في تلك الديار وعاد إلى مقره .

غزا عام ١٢٤٣ هـ أمير أبي عريش الذي دخل صبيا وطرد الحامية العسيرية منها ، فأعاد صبيا إلى منطقة نفوذه ، وحاصر مدينة أبي عريش ، ثم وقع صلحاً مع أميرها ، وعادت الأمور إلى ما كانت عليه .

وفي العام نفسه دخلت قبائل يام في الطاعة إذ أقبل مانع أبو ساق أحد مشايخ تلك القبائل ومعه ابن منيف وابن نصيب من مشايخ تلك القبائل أيضاً وأعلنوا الطاعة والبيعة لعلي بن مجثل، فأمر عليهم محمد بن زابن . كما أنه في العام نفسه تمردت قبائل بني مرة وعاثت في الأرض فساداً فأرسل إليها محمد بن زابن ومانع أبو ساق ، فانتصرا عليها وخسرت الكثير من أموالها بعد معركة حامية جرت بين الطرفين .

أغار عام ١٢٤٥ هـ على قبيلة وادعة ، وأعادها إلى الطاعة .

وتقدم إلى جهات مور عام ١٢٤٧ هـ فضرب على أيدي العابثين وأقر السلام .

وهاجم عام ١٢٤٨ هـ أمير أبي عريش علي بن حيدر الذي قاتل حامية عسير في وادي مور ، وقد جاءت مساعدات تركية إلى أمير أبي عريش فحاصر علي بن مجثل المدينة وإن لم يستطع أن يدخلها حرباً فقد دخلها صلحاً ، وتم الاتفاق بين الطرفين بحيث أصبح علي بن حيدر يحكم منطقة أبي عريش بالنيابة عن أمير عسير ، ورحلت الحامية التركية في أبي عريش إلى الحجاز .

واستطاع « تركشه بيلمز » أن يفتح الحديدة ومخا وزبيد من أرض تهامة باسم أمير عسير ، وكان نتيجة ذلك أن طلب سكان الجزر في البحر الأحمر الخضوع لأمير عسير ، والأخذ بالدعوة السلفية ، ومن هذه الجزر جزر دهلك القريبة من ساحل ارتيرية.

وأرسل محمد علي باشا والي مصر حملة عام ١٢٤٩ هـ للسيطرة على عسير وتهامتها وإعادة نفوذه إليهما إلا أن أهل هاتين المنطقتين قد وقفوا في وجهه ودحروا حملته .

استأثر « تركشه بيلمز » بالمناطق التي فتحها وقام بأعمال غريبة ، فحاربه علي بن مجثل ، ودخل تلك المناطق عام ١٢٤٩ هـ، وعندما عاد إلى السقا وافته المنية .

وقام بإصلاحات كثيرة كان منها حفر الآبار في الأماكن الضرورية ، ومنها بئر في وادي رملان بتهامة ولم تزل مورداً عذباً لمن يرتاد تلك الأماكن من البادية .

وقد قال فيه أحد مؤرخيه « كان هذا الأمير من المخضرمين الذين أدركوا عصر اتصال آل سعود بالبلاد ، وكان متشبعاً بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، شديد الحرص عليها والتمسك بها وحمل الناس عليها ، وكان مع ذلك على شيء من الدهاء وحصافة الرأي ، جمع حوله العلماء وأرباب النفوذ في عسير ،وأغدق عليهم العطاء والصلات ، ولأسلاف الحفاظية القدح المعلى في إمارته ، فقد كان منهم الدعاة والوعاظ ومنهم القضاة ، فأشبهوا في ذلك آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجانب آل سعود ..... وعندما اشتد به المرض لم تحمله العاطفة على أن يجعل الحكم وراثياً . ولكنه جمع أهل الحل والعقد من عسير وأوصى بالامارة إلى عائض بن مرعي لما توسم فيه من الخصال التي تتوفر فيمن يصلح لتولي أمور المسلمين فبايعه الناس واجتمعوا على طاعته وكان ذلك في أواخر عام ١٢٤٩ هـ [1] » .

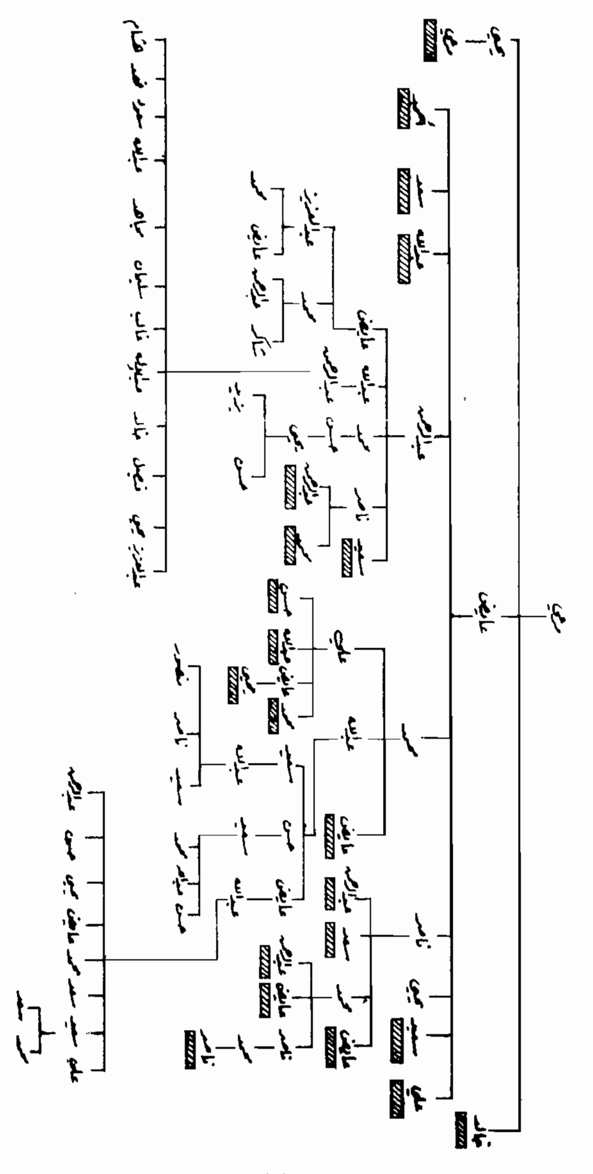
وقد أقام داراً للضيافة في مدينة أبها ، وكانت في حي (المفتاحة) ، وبقيت آثارها حتى عهد قريب .

(١) مجلة العرب التي تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ج ١١ و ١٢ السنة التاسعة .

عائض بن مرعي

١٢٤٩ — ١٢٧٣ هـ

يلتقي عائض بن مرعي مع سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل في الجد الخامس إضافة إلى كونهما أبناء عمته عائشة بنت محمد وقد ولد يتيماً في ذي القعدة عام ١٢١٣ هـ وتربى يتيماً مع اخويه خالد ويحيى في بيت ابن عمه محمد بن أحمد بن محمد الذي قتله جيش الإمام محمد بن سعود عام ١٢١٦ هـ عند دخوله جهات عسير لعدم دخوله في الطاعة لأنه ومن انضم إليه وقف في وجه محمد بن عامر أبو نقطة المتحمي ، وكان الإمام محمد بن سعود قد جعله أميراً على عسير ، وكان الأمير محمد بن أحمد قد بيّت الإيقاع بالأمير محمد بن عامر وحشد له من والاه من قبائل عسير إلا أن الأمير محمد بن عامر قد أدرك نواياه فتوجه إلى الدرعية وطلب من الإمام محمد بن سعود قوة تعزز القبائل الموالية له للقضاء على الأمير محمد بن أحمد ، واستولى الجيش على عسير ، وقتل الأمير محمد بن أحمد ، وانتقل الأمير عائض وأخويه إلى كفالة الأمير سعيد بن مسلط بن مسفر بن عبد الرحمن وهو أخ الأمير علي بن مجثل لأمه وابن عمه ، ويجتمعون مع عائض بن



مرعي في جده الخامس ، وقد تولى الإمارة بالوصاية من علي بن مجثل [1]] •

أما ما يقوله الريحاني وحافظ وهبه من أن عائض بن مرعي كان راعياً ، فهذا لا يتفق مع الواقع في شيء فهو أولاً سليل الأمراء، وتربى في كنف الامارة ، وإضافة إلى هذا كان قائد جند مشهور فقد سار على رأس جيش لنجدة علي بن مجثل وهو في المخلاف السليماني يقاتل أمير أبي عريش ، ثم نرى أن أهل الحل والعقد يبايعون عائضاً قبيل وفاة ابن مجثل وهل يبايع علية القوم راعياً ؟

يقول الزركلي : « كان عائض في مبدأ أمره من أصحاب الإبل واشتهر بالشجاعة ، ولما وصلت الحملة المصرية إلى عسير عام ١٢٤٩ هـ استبسل في صدها ، وكانت الإمارة فيها لابن عمه علي بن مجثل فجعل له الإمارة من بعده وتوفي ابن مجثل في شوال من السنة نفسها » •

وقال النعمي « كان عائض من أنبل رجال عسير ذكاء وشجاعة ، وبايعه العسيريون بالإمارة في شهر شوال ١٢٤٩ هـ على أثر وفاة ابن مجثل وبقي فيها حتى عام ١٢٧٣ هـ حيث توفي يخلفه ابنه محمد » •

وكان أول أمر واجه الأمير الجديد عائض به مرعي انتقاض أمير أبي عريش علي بن حيدر عليه فأرسل له وفداً لأخذ البيعة

---

(١) المصدر السابق .

فنفشل الوفد ، إذ أجاب علي بن حيدر أن العلاقة مع عسير قد انتهت بوفاة علي بن مجثل . فسار إليه عائض بن مرعي على رأس جيش قوي إلا أنه لم يستطع دخول أبي عريش على الرغم من وجود حامية عسيرية في إحدى قلاعها ، فاضطر إلى العودة إلى مقره بعد حصار طويل ، ثم انسحبت الحامية العسيرية من أبي عريش .

وفي شهر سفر عام ١٢٥٠ هـ توجه الترك إلى بلاد عسير بقوة كبيرة على رأسها شريف مكة محمد بن عون وكان مجيئهم عن طريق بيشة ، فخرج إليهم الأمير عائض بن مرعي ، والتقى الطرفان بمعركة حامية في وادي عتود من بلاد شهران ، فهزم أهل عسير ودخل الترك أبها وعسكر بعضهم في طبب ، إلا أن بقاءهم لم يطل إذ أعاد الأمير عائض عليهم الكرة وأخرجهم من بلاده .

وعقد محمد علي باشا حاكم مصر اتفاقا بين إمام اليمن وشريف أبي عريش لقتال قبائل عسير المتمردةعلى نفوذهالمستعصية على حكمه ، والممتنعة عليه حصونها ، والتيتؤيدالدولة السعودية في نجد وذلك في منتصف عام ١٢٥٠ هـ .

وفي أواخر عام ١٢٥٠ هـ شن الجميع هجوماً على عسير ، فقد جاؤوا من كل جهة ، جاؤوا عن طريق بلاد شهران وعن طريق الحجاز وعن طريق تهامة ومن الجنوب ، ومالأتهم بعض القبائل وخاف بعضها الآخر واستطاع الأحلاف أن يدخلوا عسير ، إلا أن الأمير عائض بقي رابطالجأش ثابت الجنانيغير على العدو الغارةإثر الغارة حتى استطاع إخراجهم

من عسير ..... ويظهر أن فشل هذه الحملة إنما كان بسبب الخلاف الذي وقع بين شريف مكة محمد بن عون الذي يريدبسط نفوذه على عسير وبين أحمد باشا سر عسكر الحجاز من قبل محمد علي .... دعا محمد علي الخصمين إلى مصر بحجة التنسيق ودراسة أمر المنطقة ، وهناك عزل محمد بن عون ، وأثبت أحمد باشا في مكانه ، أما قبائل عسير فقد أرسلت البشرى إلى فيصل بن تركي إمام الدولة السعودية تعلمه بالنصر كما بعثت إليه بخمس الغنيمة مع بعض الهدايا تأكيداً للصلة بين عسير ونجد ...

فترت الحملات على عسير بعد هذا الذي حدث عام ١٢٥١ هـ فتفرغ الأمير عائض للقيام ببعض الإصلاحات وحفر الآبار ، وفرّغ بعض الطلبة للتفقه في الدين في المدرسة الحفظية في بلدة رجال وخصص لهم المرتبات .

وغزا بيشة عام ١٢٥٢ هـ ، وأرسل سرية إلى درب بني شعبة لحمايتها من أوباش القبائل الذين عاثوا هناك الفساد .

وسار عام ١٢٥٣ هـ إلى بلاد غامد وزهران وأدخلهما في طاعته ، إلا أن أحمد باشا مندوب محمد علي في الحجاز استرجعهما بعد مدة ، وعندما أراد الأمير عائض العودة إليهما هزم جيشه هزيمة قاسية إذ كانت هناك قوات تركية وحجازية كبيرة مرابطة ترقب حركة الامير .

انسحب المصريون من الجزيرة العربية عام ١٢٥٥ هـ بعد هزيمتهم في بلاد الشام وخروجهم منها وبناء على اتفاق لندن ، وعاد الأمراء في الجزيرة العربية يوسعون دائرة نفوذهم .

وفي عام ١٢٥٦ هـ غزا الأمير محمد بن مفرح نائباً عن الأمير عائض تهامة اليمن بالاتفاق مع الأمير حسين بن علي بن حيدر أمير أبي عريش وذلك بغية اخراج الترك منها •

وفي العام نفسه غزا الأمير حسين بن علي بن حيدر مخا بالاتفاق مع الأمير عائض ، كذلك قاتل الأمير محمد بن مفرح بلاد بني عمرو في السراة • وخرج من الحجاز أحمد باشا سرعسكر الحجاز من قبل محمد علي وعاد محمد بن عون إلى مكة وعقد معاهدة هدنة بينه وبين الأمير عائض ، عاد بموجبها أسرى عسير الذين كانوا في الحجاز ، وبانسحاب المصريين من الجزيرة ،والهدنة مع الحجاز،وانشغال الدولة العثمانية، كل هذا فسح المجال للأمير عائض لأن يوطد شؤون إمارته ويتفرغ لإرساء قواعدها •

قام ببعض الغزوات لبعض القبائل التي أرادت معاداته فأعادها للطاعة •

وفي عام ١٢٦٠ هـ استغل ضعف شريف مكة محمد بن عون فأغار على بيشة ، وبلاد شمران وبالقرن ، وبلاد غامد ، وأدخلهم في طاعته •

وفي عام ١٢٦٢هـ توجه سحمان بن مصلح الخثعمي أمير حامية (تبالة) من قبل الأمير إلى الطائف فدخلها بعد معارك دامية ، مما أساء الأمير عائض لتسرع قائده دون علمه ، فأفقد الرجال حياتهم وهو ما يحرص عليه ، ولو أنه مد نفوذه إلى منطقة أوسع وبلد مشهور مثل الطائف فان توسعة النفوذ لاتعوض بالرجال ، فعزله،

واستدعاه إلى أبها حيث أبقاه للتعليم وجعله أميناً على بيت المال وولى مكانه أخاه مسفر بن مصلح •

وقاتل عام ١٢٦٣ هـ بني جماعة الذين يقيمون في باقم ، وهي غربي ظهران الجنوب ، وتقع الآن ضمن حدود اليمن •

وقد ضم الأمير عائض اليمن إلى إمارته عام ١٢٦٤هـ ، عندما اختلف أئمة صنعاء على حكمها ، إذ استنجد به محمد بن يحيى الذي كان مغاضباً لابن عمه المنصور ، فأمده بقوة من تهامة استطاعت أن تدخل صنعاء وتخرج منها المنصور وتضمها إلى إمارة عسير ••• ولكن محمد بن يحيى الذي حكم صنعاء باسم الأمير عائض وجد وعورة الجبال ومناعة الحصون ، فعمل لنفسه ، ونقض العهد ، ولاحق قوات عسير وهي في طريقها إلى تهامة فجرت معارك بينه وبين الشريف حسين بن علي بن حيدر آل الخيرات أسر إثرها الشريف حسين على أبواب زبيد ، فجاءت نجدة إلى قوات عسير فلاحقت محمد بن يحيى وأطلقت سراح الشريف حسين وأجلت قوات صنعاء عن مواقعها وهذا ماجعل محمد بن يحيى يكاتب الأتراك الذين كانوا قد وصلوا إلى تهامة وانضم إليها وساروا معاً نحو صنعاء إلا أن الاتراك قد قبضوا عليه وقتلوه حيث عرفوا أنه رجل مخاتل، ثم تابعوا سيرهم نحو صنعاء فاحتلوها وأجلوا عنها الإمام المنصور ، وهكذا تم للاتراك دخول اليمن بقيادة توفيق باشا •

أما قوات عسير فقد بقيت مرابطة في اللحية بقيادة علي حميدة

ومحمد بن مفرح وفي العام نفسه جهز الأمير عائض حملة إلى وادي الدواسر بقيادة زيد بن شفلوت وسلمان بن ذيب وعلاس بن عادي بقبائلهم من قحطان وقد استطاع ضمها إلى حكمه وعين عليها أميراً هو عبد الرحمن بن سليمان بن جعيلان ثم أبدله بابن مقرّب الذي بقي فيمركزه حتى عام ١٢٦٦ هـ حيث هاجمته قوة تركية قدمت من نجد فأجلته عن مواضعه ، وتابعت سيرها نحو عسير إلاأن قبائل يام تصدت لها بقيادة هادي بن ماطرة الرشيدي وسالم بن شفلوت بقبائل قحطان المرابطة في قلعة (جاش) وهزمتها •

اتفق مع شريف مكة على تعيين الحدود بين الامارتين وقد أناب عنه الأمير محمد بن مفرح ، ومثل شريف مكة محمد بن عون ابنه عبد الله وذلك عام ١٢٦٥ هـ •

وغزا عام ١٢٦٦ هـ آل حدرة الذين يقيمون غربي درب بني شعبة قريباً من ساحل البحر الأحمر •

وفي عام ١٢٦٧ هـ ترك الاتفاق السابق بينه وبين شريف مكة بشأن الحدود وأغار على بيشةوبلاد بالقرن، كما غزا فيالعام نفسه وادي تثليث •

وفي عام ١٢٦٨ هـ بعث سرية إلى بلاد غامد وزهران بقيادة ابنه محمد فانتصرت عليهم ثم عاد فأرسل حملة أخرى في العام التالي بإمرة أخيه يحيى بن مرعي •

وفي عام ١٢٦٨ هـ سير عباس الأول والي مصر عشرة آلاف

جندي نظامي إلى جبال عسير فهزمت هزيمة منكرة أمام الأمير عائض بن مرعي •

في عام ١٢٦٩ هـ حصلت عدة وقائع بين عائض بن مرعي والجيوش المصرية انتصر فيها كلها أهل عسير بقيادة أميرهم ، الذي استأصل خصومه قتلاً وأسراً ، فأرسل الأمير عائض بشارة إلى إمام نجد فيصل بن تركي مع هدية وقصيدة لقاضيهم علي بن الحسين الحفظي التي يقول فيها :

قفي فانظري يا أم عبد معاركاً
يشيب لها الولدان من كل أمرد

وإن كنت عنها في البعاد فسائلي
ففيها أسودمن مغيد[1] بمرصد

وفيها ليوث الأزد[2]من كل شيعة
يصالون نار الحرب حرباً لمعتد

وفيها رئيس عايض[3] حول وجهه
حياض المنايا أصدرت كل مورد

خليفة عصرٍ للحنيف مثقف
لما اعوج منه في حجاز وأنجد

---

(١) بنو مغيد : احدى قبائل عسير وابرزها وحلفة آل يزيد
(٢) الأزد : قبائل عربية معروفة ينتمي إليها اهل عسير .
(٣) عايض : هو عائض بن مرعي أمير عسير آنذاك .

وفي ربوة الشعبين[1] داهية أتت
عليهم فما أغنى دفاع بعسجد

ويوم المقضى[2] قد تقضت أمورهم
بفاقرة الظهر التي لم تضمد

ومن قبل ذا يوم العزيزة[3] عزهم
ذليل بضرب المشرفي المجرد

كتائب منها صرعوا ثم غودروا
بأشلائهم قاني الدماء المكند

بأيدي رجال من شنوءة[4] جدهم
رقى بهم مجداً حذو فرقد

ولما وصل الوفد إلى الدرعية ومعه الهدية والقصيدة تبادر شعراء نجد للرد على القصيدة ، وقد اختيرت قصيدة ابن مشرف[5]

(١) الشعين : مركز رجال المع وقد جرت فيها معركة يشير إليها الشاعر .
(٢) المقضى : اسم معركة جرت بين الطرفين المتقاتلين .
(٣) العزيزة : بلدة غربي ابها ، وهي بلدة آل لاحق ابو سراح الزيدانين وقد كانوا وزراء آل عائض .
(٤) شنوءة : لقب الازد الذين يقيمون في سراة عسير .
(٥) ابن مشرف : احمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهيبي التميمي ، ولد بالاحساء في أوائل القرن الثاني عشر الهجري ، وتوفي

لإرسالها مع هدية الأمير فيصل بن تركي الى الأمير عائض بن مرعي .... وفيها يقول :

ولا تنس ذا الحي اليماني إنه
لشيعة أهل الحق بالحق مقتدي

قبائل من همدان أو من شنوءة
من الأزد أتباع الرئيس المسوّد

هموا قد حموا للدين إذ فلّ عضبه
وبدّد منه الشمل كل مبدد

فهم فئة للمسلمين ومعقل
وكهف منيع للشريد المطرد

سما للعلا حقاً علي ولم يزل
يروح بأسباب الجهاد ويغتدي

وكم عسكر للمسرفين أباده
بحد الظبى والسمهري المسدد

وصيّرهم صنفين ما بين هالك
وبين أسير في الحديد مصفد

ومازال يغزوهم ويرمي ديارهم
بفرسان حرب في الدلاص المسرد

في بلدته الاحساء عام ١٢٨٥ هـ ، وكان عالماً واديباً . له ديوان شعر يذكر فيه التوحيد وذم الدنيا وقد مدح المذهب السلفي وحماته وأكثر مديحه بالأمير فيصل بن تركي .

وفتح المخا بالسيف للدين آية
وزجر وإنذار لأهل التمرد

فلما تولى عاضنا منه (عائض)
إمام همام كالحسام المجرد

فمازال يحمي بالسيوف حمى الهدى
ويردي العدا في كل جمع ومحشد

ويهزم منهم عسكراً بعد عسكر
ويضرب من هاماتهم كل قمحد

فلما أتى الأحزاب منهم وألبوا
شفى النفس من أعداء دين محمد

فلازال تأييد الإله يمده
بنصر واسعاف على كل مفسد

وفي عام ١٢٧١ هـ غزا مانع بن نصيب وسعد بن منيف بقبائلهم من بني يام بني مرة لنقضهم العهد وتعديهم على البلاد • وقد قتل إثر هذه المعركة من بني يام موسى بن حسن المكرمي وعلي بن نصيب وراشد بن مطر البدري •

وفي عام ١٢٧٢ هـ جهزت الأتراك حملة إلى عسير وأرسلتها عن طريق القنفذة حيث كان للأمير عائض قوة مرابطة هناك بقيادة علي بن طامي بن شعيب فتصدت لها وأعادتها مهزومة ودخل قائد عسير بمن معه من الجند مكة المكرمة فأدوا العمرة وعادوا إلى رباطهم بالقنفذة لم يصبهم أذى •

ومنذ عام ١٢٦٩ هـ بدأت الأوبئة تصل إلى عسير بعد أن انتشرت

كثيراً في الحجاز ، ومنها الطاعون الذي فتك بالكثير من الناس ، وقد امتد أثر هذا المرض حتى عام ١٢٧٣ هـ وأصاب الأمير عائض بن مرعي وكانت منيته به وذلك يوم الأربعاء ٨ رجب ١٢٧٣ هـ • وبهذا امتد حكمه ما يقرب من ٢٤ سنة ترك بعده إمارة واسعة تمتد من بلاد زهران في الشمال حتى ظهران الجنوب قرب نجران في الجنوب ومن وادي تثليث في الشرق حتى البحر الأحمر في الغرب ، وقد امتدت إلى تهامة اليمن حتى مخا •

صفاته : « إن الأمير عائض بن مرعي كان على قسط وافر من رجاحة العقل وسجاحة الخلق وكان محسناً محباً للعلماء ومقدراً لهم ، فقد ذكر في حوادث عام ١٢٥٩ أن العلامة الشيخ زين العابدين الحفظي كتب إلى الأمير المشار اليه ان ينزل إلى تهامة لمواجهته ، فامتثل ذلك ونزل إلى أول وادي ثاه من بلاد بني زيد ، واجتمع بالشيخ المشار إليه فبذل له وصايا ونصائح ومسائل هي لثبات الدين والملك من أعظم الوسائل فتلقاها بالرضى والقبول (١) » • وهذه صفات لا تتوفر إلا لدى قليل من الأمراء ، وهي علامة التواضع والتقوى « نعم الأمراء على ابواب العلماء (٢) » •

قال صاحب « الدر الثمين » : « وكان فيما أوصى به فيما بلغني بالإمارة للأمير عائض بن مرعي لما يعلم فيه من الحزم والبسالة ،

---

(١) في ربوع عسير محمد عمر رفيع ص٢٣٦ طبعة ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م دار العهد الجديد للطباعة بالقاهرة .

(٢) المرجع السابق .

وحسن السياسة والنبالة • فالتفت إلى ضبط المملكة بجأش ثابت، وقدم أرسخ من الجبال الثوابت ، يخضع لسطوته كل معاند ، وتزهو باسمه الصكوك في جميع المقاصد ، وهذا كله بعد ما وقع بينه وبين الأتراك من الملاحم الكبار التي تسك المسامع وتعمي الأبصار ، فحمى حمى بلاده ، وأعانه الله تعالى على القيام بمراده ، وأذاق أولئك في حروبهم معه السم الزعاف ، ورقم السيف على صفحات المملكة بالدم المهراق •

وما تقر سيوف في ممالكها   حتى تقلقل دهراً منه في القلل

والمعروف أنه سار على نهج سلفه الأمير علي بن مجثل في الذود عن حياض الدعوة ، والولاء لآل سعود الذين تقلص ظل نفوذهم في كثير من أنحاء الجزيرة العربية بدليل أنه تولى الحكم في أواخر عام ١٢٤٩ هـ في الوقت الذي قتل فيه الإمام تركي بن عبد الله آل سعود رحمه الله تعالى وفي الفترة التي انقطعت فيها الصلة بين نجد وعسير وكثرت الاضطرابات التي واكبت تقلد الإمام فيصل بن تركي زمام الحكم في نجد ، ومع ذلك فإن الأمير عائض بن مرعي يعتبر حكمه امتداداً لحكم آل سعود في اقليم عسير وإن كان مادون من تاريخ حكمه لايمدنا إلا بذكر بعض الحوادث المفككة الحلقات ، فهناك الكثير من الحوادث والوقائع التي سمعتها ممن عاصروا أواخر حكمه لم أجد لها ذكراً فيما دون من كتب عن تاريخ عسير وحكامهم ، من ذلك ما سمعته من بعض

كبار السن الذين أدركوا حكمه وكان هذا منذ ستين عاماً أن الأمير عائض بن مرعي كان يعزل شيئاً من خمس الغنائم التي يحصل عليها في غزواته ، وشيئاً من الزكاة خصوصا الابل ويجعل لها رعاة يتنقلون بها في مواقع الغيث في انتظار من تستتب له الأمور من آل سعود ليدفعها إليه ، وظلت مدة طويلة بأيدي رعاتها ، وعندما انتصر على الأتراك والمصريين في حملاتهم المتكررة على عسير ، وحصل عنده كثيراً من الأسلحة والذخيرة والخيل والذهب،أرسل جزءاً كبيراً من الأسلحة والذخيرة والذهب وبعض الجياد مع الإبل إلى الامام فيصل بن تركي بعد ما استعاد الكثير من مملكة آبائه وأجداده ، وعهد إلى زيد بن شفلوت شيخ بادية عبيدة بايصالها إليه في الرياض ، وبعث معه بشخص من آل الحفظي يحمل رسالة منه إلى الإمام فيصل يزف إليه بشرى الانتصارات التي أحرزها ومعها قصيدة لعلي بن الحسين الحفظي يعدد فيها المواقع التي دارت فيها المعارك والتي كان النصر فيها حليف الأمير عائض ابن مرعي وجنوده [1] » ومعنى هذا أنه لم يكن حريصاً على الدنيا ، ويحرص على البيعة •••

أسرته : أمه عائشة بنت عامر بن أحمد المتحمي أخت محمد ابن عامر ابو نقطة فهي من أسرة الوجاهة في قبيلة ربيعة ورفيدة •

(١) مجلة العرب التي تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض ج ١١ و١٢ السنة التاسعة جماديان ١٣٩٥ هـ

ضافة إلى أبيه الذي تحدثنا عن أصالته إذ أنه سليل الدولة الأموية قد خلف من الأولاد :

١ ـ علياً ولد عام ١٢٤٥ هـ .

٢ ـ محمداً ولد عام ١٢٥١ هـ .

٣ ـ سعيداً ولد عام ١٢٥٦ هـ .

٤ ـ عبد الرحمن ولد عام ١٢٦٥ هـ .

٥ ـ عائشة وقد تزوجها فائز بن غرم العسبلي وأنجبت له ابنة أسماها صالحة تزوجها الشريف عبد الله بن محمد بن عون وهي أم أولاده .

٦ ـ صالحة .

٧ ـ حليمة : وتزوجها ابراهيم بن حسين بن مشيط وأولدت له صالحة التي تزوجها سعيد ابن عبد العزيز بن حسين بن مشيط وولدت له علياً شيخ شمل قبائل ناهس وشهران حالياً .

وأم هؤلاء جميعا سرّا بنت مشيط بن سالم أحد وجهاء بني شهران القبيلة العربية المعروفة .

٨ ـ كما ولد له سعد عام ١٢٥٣ هـ .

٩ ـ وولد له ناصر عام ١٢٥٨ هـ .

وأمهما زهرا بنت مغشبر بن عرار .

١ ـ كما رزق عبد الله عام ١٢٥٨ هـ .

١١ ـ ويحيى عام ١٢٦٣ هـ .

١٢ ـ وأحمد عام ١٢٦٨ هـ .

وأمهم غامية بنت محمد بن أحمد المتحمي آخر امراء آل المتحمي .

وبهذا يكون قد تزوج ثلاثة نساء أنجبن كلهن ، وكان له تسعة أولاد ذكوراً وثلاث بنات .

اصلاحاته :

١ ـ اختط عدة حصون منها : حصن شدا بمدينة **أبها** ، وحصون السقا ، وريدة ، وحرملة وكان يطلق على الحصون أسماء قبائل لأغراض سياسية واقتصادية تدل على ذكاء متقد .

٢ ـ أقام عدة مساجد منها : في السقا ، وريدة ، وأبها .

٣ ـ أصلح عدة مناطق زراعية ، وأنشأ البساتين في وادي أبها ، ومن المزارع ماهو في وادي بيش .

٤ ـ أنشأ مدرسة علمية تدرس مبادىء الفقه والتوحيد والتفسير والحديث .

٥ ـ حفر الآبار في وادي أبها ، والفتيحة ، والسقا ، وريدة ، وحرملة ، ومسلية .

٦ ـ اختط في بيشة في موقع يسمى القاع قلعة وجعلها رباطاً لمقاتلة بيشة . كما اختط أخرى في جاش من وادي تثليث لمقاتلة قبائل قحطان وتثليث . وثالثة في البرك ، ورابعة في بلاد شريف

لرباط قحطان تستنفر أيام الحرب ، وخامسة في تبالة احدى أودية بيشة • ولاتزال آثارها باقية •

كما اختط ما يماثلها في مدن اليمن كزبيد والحديدة والمخا وحيس واللحية ومور وميدي ، وكذلك في جيزان التي أقام الادريسي على انقاضها قلعته ، وإضافة إلى هذه القلاع آقام أخرى في الخرمة ومسلية وأبي عريش وأطلق عليها دار النصر • وفي التسقيق والبرك والليث ولا تزال أطلال معظمها باقية •

كما اختط مثلها في الظفير وبدر (الجنوب) وجزر فرسان •

وأقام داراً للضيافة في (ريدة) وأخرى في (حرملة) ، وكانتا مع ما أقيم قبله من مضافات مكاناً لنزول الضيوف على اختلاف مستوياتهم ، ويقدم لهم الطعام ثلاث مرات في اليوم ، إضافة إلى ما يعطى علفاً لدوابهم •

الربع الخالي

إمارة آل عائض
١٢٧٣هـ

الأمير محمد بن عائض

١٢٧٣ – ١٢٨٩ هـ

رغم ان علياً كان أكبر أولاد الأمير عائض إلا أنه كان ينوي أن يبايع سعداً ثالث أبنائه إلا أن محمداً كان أقواهم وبيده شيء من السلطة حيث قاد الحملات ... ولم تكن الرغبة هي وحدها الكافية للبيعة وأخذ الطاعة وإنما لابدّ من موافقة أهل الحل والعقد ..... وقد دعا الأمير عائض في أواخر حياته كبار القوم وشيوخ القبائل وأهل الراي لاختيار الأمير من بعده ..... ويظهر أنهم خافوا محمداً ، أو خشوا سطوته إذ عرف بالقوة حتى يقال : إنه رفض قتل الأسد وهو مكبل فنازله وصرعه[1] ، كما حذروا أن يطلب الأمر وتنقسم البلاد في وقت هم بأشد الحاجة إلى الاتفاق ووحدة الكلمة لذلك فقد رشحوا للأمير ابنه محمداً ، وما كان له إلا أن يستجيب وبخاصةٍ أنه يشعر بدنو أجله واقتراب منيته ، وكان محمد آنذاك يرابط بجيش على حدود الطائف ، وعندما عاد بلغه ما كان من أمر البيعة .

توفي الأمير عائض يوم الأربعاء ٨ رجب ١٢٧٣ هـ وأصبح

(١) مذكرات الحفظي .

ابنه محمد أميراً على عسير منذ اليوم التالي وقد أخذ البيعة من إخوته وأقربائه الأدنيين وشيوخ القبائل وعلية القوم وكان يكنّى بأبي سعد وكانت مدة حكم أبيه قد وطدت له دعائم الملك ووسعت له رقعته ، فنعمت في عهده عسير بالخير وعمها الرخاء والأمن والاستقرار .

كانت الدولة العثمانية أيام الأمير محمد مشغولة بمشكلاتها الخاصة وماجرته حروب محمد علي وما فسدته الحركات الداخلية ، وقد وجهت همها للقضاء عليه فجردت الحملة تلو الأخرى إلا أنها كلها باءت بالفشل وتحطمت أمام قوة عسير .

وقد استعانت الخديوية والدولة العثمانية بالأمير فيصل بن تركي ضد ثورة عسير عام ١٨٦٣ م (١٢٨٠ هـ) ، وأرسل الخديوي إلى فيصل كتاباً ذكر فيه « أنه لايخفى على حضرتكم ماحل بجهة اليمن من تمرد بعض الأشقياء ..... وأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وتلك الجهة وإن لم تكن تحت حكومة هذا الطرف (يعني الخديوية) لكن بالنظر لوصلة الارتباط بالدولة العليا يجب الاجتهاد من كل طرف بقدر مايمكن في تأديب من تعدى .. والمهم الضروري سيرسل من هذا الطرف مأمور مخصوص وعساكر تقمع هذه الفتنة .... ومن القديم مؤكد ومثبوت انتساب حضرتكم لمحبة الجهة المصرية والقيام بقضاء مايلزم لها من الاشغال .... وغاية المأمول أن مايلزم إلى العساكر المرسلة من هذا الطرف من المساعدات من جهة جنابكم سواء كان في تسهيل

أمورهم أو قضاء لوازمهم يشير اجراؤه بوقته ومايبرر من هممكم في هذا المقصد المستحسن[١] ٠٠٠٠ » ويبدو أن فيصل لم يقدم أي مساعدات تذكر لأنه كان على علاقة طيبة مع قبائل عسير ومع زعماء المنطقة من آل عائض ، حتى أنه في أحيان كثيرة كان حكام عسير يرسلون إلى حكام نجد بعض غنائمهم دليلاً على الولاء والطاعة الممتدة عليهم منذ زمن الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ٠

وقد جاءت الحملة المتجهة إلى عسير بالفعل إلا أن الحاميات العسيرية المرابطة في القاع ببلاد بيشة قد تصدت لها وأبادتها ٠

وفي عام ١٢٨٠ هـ تقدم الأمير محمد بجيش نحو مدينة أبي عريش بناء على طلب أهلها الذين ضاقوا ذرعاً بالفتن والخلافات القائمة بين أفراد الأسرة الحاكمة ، كما ضاق الأمير محمد ذرعاً بكثرة مراوغة الشريف الحسن بن محمد وبعدم التزامه بعهوده ومواثيقه ولرفضه الشخوص إليه عندما أبلغه نبأ اغتيال ابن عمه الشريف الحسن بن الحسين بن علي بن حيدر وكذلك فقد رفض الأمير محمد بن عائض طلب تمديد إمارة الشريف وقرر ابعاده نهائياً ، وما وصل الأمير محمد إلى مشارف المدينة حتى استقبله أهلها ودخل المدينة دون قتال أما أميرها الحسن بن محمد فقد لاذ

(١) الدولة السعودية الثانية ـ عبد الفتاح أبو علية ص ١٥٣ ٠

بقصره معتصماً فيه مع من معه ثم انسحب في الليل هارباً ، وهكذا ضم المخلاف السليماني إلى عسير ٠٠٠٠

وفي عام ١٢٨١ هـ جرد العثمانيون في تهامة حملة ضد الحاميات العسيرية في المخلاف السليماني إلا أنها دحرت أمام الحامية العسيرية بإمرة محمد بن مفرح ٠ كما جاءت حملة أخرى من الشمال بقيادة شريف مكة عبد الله بن محمد بن عون لاحتلال بلاد غامد وزهران وبيشة إلا أنها فشلت أيضاً أمام مقاومة الأمير سعيد بن عائض وكانت معركة فاصلة تراجع فيها الأتراك ، وساند الأمير سعيد القوة في بيشة المرابطة في القاع بإمرة أحمد بن صبعان الزيداني ٠

وبعد أن توفي الإمام فيصل بن تركي اختلف أبناؤه من بعده وقام بعضهم على بعضهم الآخر ٠٠٠٠ وفي عام ١٢٨٣ هـ خرج سعود بن فيصل مغاضباً لأخيه عبد الله وتوجه الى الأمير محمد ابن عائض الذي بلغ من القوة مبلغاً كبيراً حتى عرف باسم « محمد الفاتح » فقدم عليه ، وأقام عنده مدة طالباً منه النصر ضد أخيه ، ولما علم عبد الله بن فيصل باستقرار أخيه سعود عند ابن عائض أرسل إليه بهدية مع الشيخ حسين بن حمد بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ سعد بن ربيعة وكتب إليه بأن خروج أخيه من الرياض من غير سبب يوجب ذلك ، وأن مراده قطيعة الرحم والشقاق ، وكتب إلى أخيه سعود يأمره بالقدوم عليه ، وأنه يعطيه ما طلب ٠٠٠٠ فأبى سعود أن يرجع ٠٠٠٠ وقد

زوّد الأمير محمد الشيخين بهدية قيمة إلى الأمير عبدالله بن فيصل ورسالة يخبره فيها أن سعود قد طلب المساعدة إلا أننا لم نوافقه ، وأشرنا عليه بالرجوع فلم يوافق • وهذا يدل على مقدار قوة ابن عائض ، وذكائه في عدم دخوله في الخلافات التي نشأت بين أبناء فيصل •

ولما تحقق للأمير سعود بن فيصل أنه لن يحصل على مساعدة من ابن عائض خرج من عنده وتوجه إلى نجران حيث حصل هناك على مايريد من مساعدة •

كان محمد رجل حرب أكثر منه رجل علم وسياسة ، ورجل الحرب تشتد بطشته إن وجد فتنة أو لاحظ فساداً أو فوضى ••• أما العلماء الذين رأوا فرقاً بين أبيه الذي يقرب العلماء ويأخذ برأيهم ونصائحهم ، وبينه هو الذي يريد أن يعتمد على قوة السلاح وسواعد الأبطال ، فصرخوا في وجهه أن انفراج الزاوية بين الخير والشر يتسع إن استمر في خطته وسيره ، وأن المعروف يذوي تدريجياً ، وثار رجال ألمع عام ١٢٨٥ هـ إلا أنه انتصر عليهم بعد أن أرسل إليهم وفدا برئاسة لاحق بن أحمد الزيداني للتوسط الا أن الوفد قد فشل في مهمته •

وفي عام ١٢٨٨ هـ كانت قوة الأمير محمد بن عائض قد بلغت أوجها،وأطاعه أهل المنطقة جميعاً،والمخلاف السليماني،وتهامة بأسرها وأصبحت قوته مرهوبة الجانب ، وتحسب له الدولة ألف حساب لاسيما وأن حملاتها كانت تتحطم أمام قوة عسير ولم تجد الطرق

السلمية كما لم تجد الطرق العسكرية لذلك قررت غزوه مهما كلف الأمر ، وفي الوقت نفسه فقد كانت الدولة العثمانية تريد أن تستعيد نفوذها في المناطق الخارجية عنها وأن تقوي مركزها بعدما أصابها من الضعف •••• لهذا كله أعدت عدة حملات لهذه الغاية ••••• ووصلت إمارة عسير إلى أقصى اتساع لها إذ امتدت من الحجاز شمالاً إلى عدن جنوباً ومن البحر الأحمر غرباً الى الربع الخالي شرقاً ، كما امتدت في الجهة الشمالية الشرقية إلى جبلي حضن وصبحه ووادي الدواسر وهضبة حصاة قحطان التي هي في أقصى وادي الرين من منطقة القويعية •

ترامت الأخبار إلى الأمير محمد من واليه على مخا ، وزبيد والحديدة والمخلاف السليماني محمد بن مفرح أن الأتراك قد زحفوا على جهته بقوات كثيفة وانضم إليها مرتزقة من اليمن ••• ثم توالت عليه الأنباء أن الترك قد حاصروا ابن مفرح وحاميته بغية إجلائهم عن الحديدة بعد أن أجلوهم عن المخا •••• فتوجه الأمير بقوة حتى وصل إلى الحديدة وفك الحصار عن حاميتها وأخرج الترك من المخا وتتبع تراجعهم ، وعزم على مواصلة الزحف لاحتلال صنعاء وطردهم من اليمن بأسره ، إلا أنه ما لبث وهو يواصل زحفه أن جاءته الأخبار بأن قوات تركية قامت باحتلال بلاد غامد وزهران وبيشة ، وطرد حاميات عسير منها ومواصلة زحفها إلى أبها فتراجع إلى المخا ومنها إلى الحديدة •• ونشط الاتراك في ملاحقته بعد معارك دامية ذهب الكثير فيها من

الطرفين قتلاً •••• وبقيت الترك تحتل كل بلد يرتحل عنه الأمير محمد فدبت الفوضى في صفوف الجيش العسيري وخرج الأمر من يد الأمير محمد ••• ويظهر أن الجند أثناء هذا قد ارتكبوا أفعال المنتصرين أو عملوا أعمال المنهزمين الناقمين ، وهذا ما كان له أسوأ الأثر على سمعة الأمير بصورة خاصة والعسيريين بوجه عام، وبخاصة أنهم كانوا يسمون عند الدولة العثمانية بالعصاة •••• هذا من جانب ، ومن جانب آخر فقد نسب للعسيريين ما فعلـه الترك عند دخولهم المناطق ••••

وما كاد يصل إلى أطراف أبها حتى فوجىء بطرد أخيه سعيد ابن عائض من بلاد غامد وزهران وبيشة ، وطرد الحامية المتمركزة في القاع في بلاد بيشة بإمرة أحمد بن ضبعان الغريبي •••• ثم احتلال بلاد شهران من قبـل جيش يقوده شريف مكـة والسير للهجوم على أبها من جهة الشرق •••

وقد نزلت حملة أخرى في القنفذة بقيادة محمد رديف باشا للتوجه إلى عسير والتمركز في شعار ، وجاءت قوة رابعة نزلت في الشقيق على أن يكون طريقها إلى عسير والتمركز في جبل تهلل ، وطرد والي تهامة من قبل الأمير محمد بن عائض لاحق بن أحمد أبو سراح الزيداني ••••

وصلت حملة القنفذة في ٢٠ شوال إلى المدينة وتقدمت إلى حلي بن يعقوب •••• واستعد رجال ألمع لمقاومة خصومهم في أول بلادهم ، وتقدم الترك إلى محايل فاحتلوها ، ومنها راسلوا

الأمير محمد بن عائض في الطاعة والاستسلام أو القتال ••• ثم سار محمد رديف فالتقى برجال ألمع وهزمهم وارتقى بمن معه من الترك إلى السراة عن طريق عقبة شـعار ، أما أحمد مختار باشا فقد توغل في أودية تهامة •

وعندما وصل الأمير محمد إلى أبها ، عقد اجتماعاً ضم علية القوم وشيوخ القبائل الموالية إليه فتعاهدوا على الحرب والتضحية والبذل في سبيل كسب النصـر مهما كان الثمن ••• وبـدؤوا بالاستعداد لذلك ••••

أما قوة الترك فكانت كبيرة واعتبرت حملاتها هذه انتحارية إما النصر والقضاء على آل عائض وإما الهزيمـة النكراء وترك عسير إلى الأبد ، لذلك فقد أرهب الترك القبائـل التي رأت أن لاطاقة لها بالحرب أمام هذه الجموع الجرارة فبدأت تلوذ بالفرار أو تعتصم في معاقلها السرية ••• حتى ترى النتيجة ولمن تكـون الغلبة • وكانت القيادة التركية تضم إليها القبائل التي تسير معها خوفاً أو طمعاً لترهب خصمها بها وتكسب لها أنصاراً باسم أنها تقاتل بجنود من عسير •••• هذا على حين كانت قوة آل عائض آخذة في الضعف بين يوم وآخر ، فإن ما معهم قلة لا ينهض بها نصر ، والذخيرة تتناقص مع الأيام أيضاً ، وليس هناك من سند أو دعم أو جهة يأتي منها السلاح وإنما الاعتماد على النفس •••••

قسّم الأمير محمد بن عائض القبائل والجند الذين حولـه

إلى أقسام ووجه كل قسم إلى جهة .... فقد وجه أخاه سعيداً الى السقا ومعه بنو مغيد ..

ووجه أخاه سعداً إلى رجال ألمع ومعه علكم بإمرة حَامد بن سليمان وأبي زوعة ..

ووجه أخاه عبد الله إلى بلاد ابن هشبل مع عدد من بني مالك بإمرة معدي بن علي وأبي حشر .

ووجه أخاه يحيى الى صبيا وبني شعبة مع عدد من بني مالك ومعه أيضاً علي بن سعيد بن مسلط وحمود شيخ بني شعبة .

ووجه عبد الوهاب المتحمي ومحمد بن علي بن مجثل إلى باحة ربيعة مع قبيلة ربيعة ورفيدة ....

وأمر أخاه ناصراً بالمرابطة في أبها ... ومعه رجال من قحطان وشهران ورجال الحجر وبيشة وتثليث والعجمان وبقية القبائل التي معه ....

وسار هو على رأس قوة إلى باحة شعار لمقابلة الترك المتجهين نحوها ....

وتم له النصر في المعارك كلها تقريباً ...

وصل الأمير محمد بن عائض إلى باحة شعار وتمركز فيها بانتظار خروج الاتراك منها وإذ به يفاجأ بوصولهم إلى سفوح جبل تهلل بعد ارتقائهم السراة عن طريق عقبة الصماء ، أي أنهم أصبحوا جنوبي الجيش العسيري ...

ذهل العسيريون بوصول العثمانيين إلى جبل تهلل فأسرعوا

إليهم ودار القتال بين الطرفين وكان سجالاً بين الفريقين ، ثم اضطر أمير عسير إلى التراجع إلى قرية السقا فلاحقه العثمانيون واشتبكوا معه في معركة دامت خمسة أيام انتهت بهزيمة عسير ودخول الترك السقا . وسار الأمير إلى جهة الحفير غربي السقا فتبعه المهاجمون ، وأخيراً التجأ إلى قرية ريدة وتحصن فيها وهي ذات موقع منيع ومركز حصين يصعب احتلاله ويشق على المهاجم الوصول إليه مهما بلغت قوته .

ومن جهة أخرى فقد هزم الأمير يحيى بن عائض وعلي بن سعيد بن مسلط وحمود الشعبي أمام الترك في درب بني شعبة في مطلع عام ١٢٨٩ هـ ١٢٨٩/١/٤ ، وبعد هذه الهزيمة توالت الهزائم على عسير بعد أن كادت تهزم الترك .. إلا أن قلة السلاح ونقص العتاد ووهن الرجال قد لعب دوره أمام الكثرة من القوات وقوة السلاح وزيادة العتاد ....

استمال محمد رديف باشا بعض رجالات القبائل وأقاموا معه بالسقا وصار بواسطتهم يراسل الأمير محمداً ويدعوه إلى الطاعة والتسليم ويعطيه الأمان ، وكاد الأمير يركن إلى الباشا لولا سماعه نصيحة بعض من معه بإرسال أخيه سعيد قبل ذلك يستوضح الأمر ويستجلي الخبر ويتيقن من الوضع ، وسار سعيد إلى السقا مركز الباشا وما أن وصل إليها ووقعت عليه عين رديف باشا حتى أمر بإلقائه في السجن مكبلاً بالحديد .

واستمر القتال ، وأعيى حصن ريدة رديف باشا ولم يحصل

منه على مبتغاه ، ولم تجده المخادعة السياسية فلجأ إلى المناورة العسكرية ، فأمر قسماً من جنده المرابط في القنفذة أن يسير بإمرة أحمد مختار باشا ويبحر إلى الشقيق ومن هناك يتوجه إلى السراة عن طريق وادي مربة وكان دليل الطريق شيخ (حلي بن يعقوب) عسر بن عبد الله الذويبي ....

تحرك أحمد مختار باشا ضمن الخطة المرسومة وتوجه نحو السراة سالكاً وادي مربة وبينما كان الأمير محمد يقاتل الترك على الجهة الشرقية إذ طلع عليه جند آخرون من جهة الغرب فأصبح بين نارين واستعر القتال ودامت الاشتباكات العنيفة خمسة أيام وهنت على إثرها قلوب العسيريين وساور الخوف نفوسهم وهم في مأمنهم ، فخرج من كان في حصن شهران .... واضطرب من كان في الحصن وزلزلوا زلزالاً شديداً ، ولم تعد تغن قوة الرجال، ولم يتذكروا ماقطعوا على أنفسهم من عهود ومواثيق إذ خارت القوى عندما ذكّرهم أميرهم .... كأنهم لم يسمعوا ....

توسط شريف مكة عبدالله بن محمد بن عون في الأمر وكان ضمن القادة المقاتلين ، وتدخل بين الطرفين واستطاع التوصل إلى اتفاق ، بحيث يطلب الأمير محمد الأمان فيعطاه ، ويسلم البلاد ، وتحفظ له الدولة أملاكه كافة، ويأخذ وعائلته مرتباً معيناً ؛وأصدر السلطان عبد العزيز فرماناً بذلك ، ووصل الفرمان إلى الجهات المختصة ومنها القوات العثمانية المتمركزة في السقا وكذا المحاصرة

لريدة . وبناءً عليه أعلن الأمير محمد الاستسلام ، وفتح حصن ريدة للقوات المهاجمة ، وسلم نفسه إلى القائد أحمد مختار باشا .

ولما تمكن الترك من حصن ريدة قبضوا على المستأمنين ، وسيقوا إلى السجن .... ونزل رديف باشا من السقا إلى ريدة ودخل مجلس القائد أحمد مختار ، فوقعت عينه على الأمير محمد جالساً بجانبه فغضب وكلّم أحمد مختار بأنه يريد أن يعدمه ... فأجابه أحمد مختار بأنه الأمان والفرمان،فلم يرعو أو يتراجع وكان الشرر يتطاير من عينيه وكان الحديث الذي دار بالتركية إلا أن سعداً فهم بعضه وعلم أنه الموت فوثب على محمد رديف بسكين مسمومة كانت معه فطعنه في بطنه وثار كل من في المجلس على بعضهم بعضاً وانتهت المعركة بقتل محمد وسعد وعبد الله أولاد عائض ومحمد بن علي بن مجثل واثنى عشر رجلاً آخر معهم من أعيان عسير ..... أما بقية أبناء عائض وهم سعيد وعبد الرحمن وأحمد وعلي ويحيى وسعد بن محمد بن عائض وحتى فاطمة بنت سعد بن عائض . فقد حملوا إلى استانبول مع ٦٠٠ رجل من سراة القوم منهم رئيس قضاة عسير الشيخ أحمد بن عبد الخالق الحفظي وعلي بن طامي وناصر بن طامي .... كما أخذ كل ما في الخزائن من أموال وكتب نفيسة نادرة ونقلت أيضاً الى استانبول.

أما ناصر بن عائض فقد بقي مرابطاً في أبها التي لـم تسقط بعد بيد الترك .

وأما القائد محمد رديف باشا فقد نقل إلى الشقيق ليبحر إلى تركيا إلا أن منيته قد أدركته وهو في الشقيق فدفن هناك ..

ودمرت بلدة ريدة وأصبحت أثراً بعد عين بعـد آن كانت عروسة في قمتها الشامخة وقصرها المنيف المنيع الذي طالما حطم كبرياء الجبابرة من الغزاة .

* * *

الحكم العثماني

١٢٨٩ — ١٣٣٧ هـ

بعـد الاستيلاء على ريـدة وقتل الأمير محمد بن عائض خضعت عسير للحكم العثماني ، وأصبحت متصرفية خاصة إلا آن الوضع لـم يسـتقر فيهـا إذ سادها الاضطراب وكثرت فيهـا الانتفاضات ، وانعدم فيها الأمن حتى كان كل إنسان يخاف على ماله وعلى أملاكه وأهله ... وهذا أمر طبيعي فالإسلام بعيد عن الحكم لذا عمت حياة الفوضى ، وأصبحت القوانين تسن حسب المصالح الشخصية ومقتضيات الظروف الخاصة وعنـدما يأتي الوالي ، يتصرف بالأمور وكأن المنطقة إقطـاع له ، فهو مطلـق الصلاحية فيها يأمر وينهى ويقطع ويمنع حسب هواه وما تسـول لـه نفسه .

جاءت الدولة العثمانية إلى هذه المناطق كما دخلت إلى غيرها من بلاد الاسلام باسم الاسلام ولحماية أرضه من أعدائه الذين طرقوا أبوابه وشنوا حرباً على أهله شعواء وحشية وهدأ السكان مدة من الزمن لهذا الشعار إلا أنهم لاحظوا أن هذا الكلام شعار لاينطوي على شيء فالاسلام بعيد عن كل عمل .... اللهم إلا ما يتفق ورأي الحاكم فإن وافق فهو الاسلام وإلا فهو الكفر ...

ولقد استمرت زاوية الانحراف بالانفراج والاتساع كلما مضت الأيام وتقادم المعهد على الدولة حتى كان أواخر الدولة فعم الفساد واستشرى البلاء •••••• وعندما أرادت الدولة العودة إلى ما قامت عليه اصطدمت بالواقع المرير من سوء السرائر وفساد الضمائر فقاوم الأشرار تلك الخطة وهذه المحاولة فذهبت الدولة قبل تنفيذ المحاولة •

كانت السلطة في عسير للدولة العثمانية بالإسم ، إذ لم يكن أمر الولاة يمتد لأكثر من المراكز العسكرية والثكنات، وبعض المدن أحياناً وماعدا ذلك فكانت السلطة الحقيقية بيد آل عائض ومشايخ القبائل لذا فإننا سنتكلم عن السلطة الاسمية تحت عنوان الحكم العثماني وفي الوقت نفسه سنذكر الأمراء الذين كان بيدهم الأمر ويحكمون حكماً فعلياً •

تولّى القائد أحمد مختار باشا أمر عسير بعد استيلائه عليها وسار مع الأهالي بمنتهى القسوة والعنف وقد جعل مدينة أبها مركزاً للمتصرفية وتتبعها ستة أقضية هي :

١ — بنو شهر ومركزها النماص •
٢ — بلاد غامد وتتبعها أيضاً زهران ومركزها رغدان •
٣ — رجال ألمع ومقرها الشعبين •
٤ — محايل وحاضرتها بلدة محايل •
٥ — القنفذة ومركزها ميناء القنفذة •
٦ — صبيا ومقرها مدينة صبيا •

وجعل قاعدة عسكرية في كل من السقا وريدة ، واتخذ من القنفذة ثغراً للمتصرفية ، وتوجه إلى صنعاء فاحتلها دون مقاومة •

وكان الامير ناصر بن عائض مرابطاً في أبها أثناء دخول الترك إلى بلدة ريدة واستمر يقاوم ثمانية أيام ، ثم انسحب إلى بلاد شهران إلا أنه عاد فدخلها بعد شهرين من احتلال عسير وحصّنها بمن التف حوله من القبائل العربية وعجز أحمد مختار عن دخولها فأحاط بها من كل الجهات وشن عليها هجوماً عاماً من ناحية الشرف (١) ومشيع (٢) ورضف (٣) وحصن أسلم (٤) واستمر القتال حتى عام ١٢٩١ هـ حيث شدّد الأتراك وطأتهم وتمركزوا برؤوس الجبال المشرفة على أبها ، وصوبوا مدافعهم على المواقع الهامة ، واستمر القصف ليلاً ونهاراً ، فاضطر الأمير ناصر إلى الانسحاب من أبها لنفاد الذخيرة بعد أن وحّد قوته على الجهة التي تمركزت فيها القوة التركية القادمة من جهة الشرف ، وقد استطاع أن يخلص بمن معه وكان ذلك في مطلع عام ١٢٩٢ هـ •

وتوالى المتصرفون الأتراك على عسير وكانت أيامهم ضرباً

---

(١) الشرف : بلدة تطل على تهامة من ناحية جنوبي ابها .
(٢) مشيع : إحدى قرى بني جعفر احلاف بني مغيد واصلهم من جعفر بن الحارث من عبيدة وقد نزحوا من وادي تثليث .
(٣) رضف : قرية لبني جعفر ايضاً وتقع شمالي ابها .
(٤) حصن اسلم : كان في السابق سوقاً تجتمع فيه بنو مغيد وعلكم ، واسلم هو اسلم بن عمرو بن ثمالة الازدي .

من الفوضى والغارات المتكررة من رجال القبائل على مراكز
الدولة ودورياتها وكانت مهماتهم صد المغيرين وبناء المعاقل
والحصون ليعتصموا بها •

كان المخلاف السليماني تابعاً لمتصرفية عسير بما في ذلك
مدينتي صبيا وجيزان ، وكانت هذه التبعية إسمية خاصة بعد أن
قويت شوكة الادريسي في تلك المنطقة ــ والتي سنتكلم عنها
بالتفصيل إن شاء الله ــ •

* * *

الأمير ناصر بن عائض
١٢٨٩ ــ ١٢٩٥ هـ

يعتبر الأمير ناصر بن عائض أمير عسير بعد قتل أخيه الأمير
محمد بن عائض إذ أنه أثناء حصار أخيه محمد في ريدة كان هو
مرابطاً في مدينة أبها بقبائل قحطان وشهران وتثليث وبيشة ورجال
الحجر لحمايتها من الأتراك ، وقد عرض على أخيه محمد الامتناع
في أبها وعدم التحصن في ريدة التي يمكن تطويقها ، وفوق هذا
فليس لها من منفذ إلا من وادي «مربة» فإن احتل الوادي فمعنى ذلك
الاستسلام بلاشك بينما يرى الأمير محمد أن الاحتماء في ريدة
أفضل لوعورة طرقها وضيق مسالكها وصعوبة مرتقاها ومناعة
حصنها إضافة إلى مافيها من الامكانات الكثيرة وهذا ما يجعل
المتحصنين فيها يستخفّون بالحصار مهما طال مدته •••• وأن
منفذها الغربي إلى وادي مربة يجعل الأمير ينسحب منها إلى الجهة
التي يريدها إذا اضطر إلى ذلك ، وبخاصة لوجود قبائل رجال ألمع
ذات البأس الشديد والمنعة القوية تحيط بذلك المنفذ ••••
بقي الأمير ناصر مرابطاً في أبها على حين تحصن أخوه الأمير
محمد في ريدة •••• وسقطت ريدة واستسلم الأمير محمد ••••
وفوجىء ناصر بالصلح فتوجه بقوة من رجاله لقتال من بالسقا
من الترك •••• واحرز الانتصار عليهم وعادوا إلى الاعتصام
بالسقا ••••• وركّز الأمير ناصر قواته في بعض المناطق القريبة

من أبها إلا أن الترك قد استطاعوا أن يزيلوهم عن مواقعهم ، وأطبقت القوات التركية على أبها وأخذت المدافع تدكها من الجنوب والغرب ...... وجرّد الترك حملة على قلعة شمسان مجتازة حصن أسلم إلا أن القوات المرابطة في سفوحه لم تمكنها من الوصول إليه وردتها على أعقابها خاسرة ....

في هذا الوقت وصلت الأخبار إلى أبها أن الترك قد تمركزوا في بلدة النماص في بلاد رجال الحجر وهي توالي زحفها نحو أبها .... فترك رجال الحجر الموجودين في أبها مراكزهم وتوجهوا إلى بلادهم لصد المعتدين عنها .... واستطاعوا التخلص من الحصار وساروا عن طريق واي مشيع ، فالعرين ، فبلاد بني مالك حتى وصلوا إلى النماص ، واستبسلوا في الدفاع عن بلادهم وقضوا على القوة التركية ...... وكانت قبائل غامد وزهران قد تركت مواقعها من قبل أيضاً للحفاظ على مواطنها من عرب الحجاز والترك ....

أما الأمير ناصر فإنه قد رأى عدم الجدوى من مقاتلة الأتراك فبقي حتى اليوم السابع لدخول الترك لحصن ريدة ثم انسحب إلى بلاد شهران وترك أبها فدخلها الاتراك وبقيت فيها حامية منهم وانسحب القائد أحمد مختار إلى السقا .....

وعندما وصلت أخبار مجزرة ريدة إلى الأمير ناصر عاد فاحتل أبها وبقي الاتراك مرابطين في السقا ، والتناوش بين الطرفين على أشده ، وفي إحدى المعارك أصيب الأمير ناصر برصاصة لقي بعدها حتفه في ١٠ المحرم ١٢٩٥ هـ .

الأمير عبد الرحمن بن عائض

١٢٩٧ — ١٣٠٥ هـ

كان الأمير عبد الرحمن بن عائض من الرجال الذين ساقهم الترك بعد انتصارهم على الأمير محمد بن عائض في ريدة إلى استانبول من آل عائض وآل الحفظي وأعيان ومشايخ عسير ... فمنهم من قضى نحبه هناك ومنهم من قدّرت له الحياة حتى عاد إلى وطنه يشارك في أحداثه .... ومن هؤلاء الذين رجعوا الأمير عبد الرحمن بن عائض وأخوه سعيد بعفو من السلطان ...... وما ان علم أعيان عسير بقدوم المبعدين حتى اتصلوا بهم وشرحوا لهم الوضع الذي يقاسونه من الترك والحالة التي يكابدونها وعرضوا على الأمير سعيد رغبتهم في بيعته إلا أنه رفض وحذرهم من مغبة قيامهم بأي عمل حربي إلا أنهم لم يقتنعوا برأيه وبايعوا أخاه عبد الرحمن ولم تمض إلا مدة قليلة حتى وجدوا أنفسهم وجهاً لوجه مع الأتراك .

استعد الأمير عبد الرحمن لتأليف قوة من قبائل عسير وقحطان ورجال الحجر ، لقتال الترك وإخراجهم من عسير ، وشن هجوماً على الحامية في شعار وأبادها ، وما أن وصلت أخبار هذه الأحداث إلى أبها ، وبلغت مسامع متصرف عسير عثمان باشا حتى

جهز حملة نهبت بلاد بني مالك وبالأحمر وبالأسمر عقوبة لهم حيث اشتركوا في الهجوم على حامية شعار ••••• إلا أن قبائل هذه المناطق قد تصدت لتلك الحملة وتمكنت من دحرها وهزيمتها ،

وبعد هذين الانتصارين نشطت قبائل عسير في تهامة والسراة لمقاومة الترك وقامت بأعمال حربية عدة بقيادة الأمير عبد الرحمن كان من أهمها الهجوم على القوات التركية في السقا وتمركزها مكانها •••• وكان مقر الأمير عبد الرحمن قبل ذلك في شعف آل يزيد ••••

أما الأمير سعيد فقد اتجه إلى شهران واعتزل الأمر ، وطلب من حسين بن مشيط شيخ شهران عدم الاشتراك مع الأمير عبد الرحمن وكان آل الغمر وآل سرحان قد انضموا إلى قوات عسير في القتال ضد الترك ••••

وقامت رجال ألمع بطرد الحامية التركية من ميناء الشقيق بالاشتراك مع بني شعبة وبقيادة حسن بن عبد المتعالي •

وفي أواخر عام ١٢٩٩ هـ استنفر الأمير عبد الرحمن القبائل الموالية له بقيادة مشايخها وضرب الحصار على مدينة أبها بعد أن هزم الترك في عدة معارك • واستطاع بعض العسيريين التسلل إلى داخل المدينة عن طريق الوادي واستمر الحصار مدة شهرين متتابعين ، وأصيب الأتراك داخلها بمجاعة شديدة ، وكانوا يزاولون أعمالهم ليلاً ، وكادت أبها أن تستسلم لولا وصول نجدة تركية

بقيادة حيدر باشا إلى تهامة كما تمكنت من احتلال بلاد رجال ألمع وواصلت زحفها نحو أبها وبعد معركة عنيفة في شعار استطاعت هزيمة القوات العسيرية بقيادة أحمد بن علي الحفظي ، وتابعت تقدمها نحو أبها فقويت معنويات الحامية التركية المحاصرة فيها•••

وفي أواخر عام ١٣٠٠ هـ عززت القوة التركية المرابطة في أبها بحملة كبيرة جاءت من مكة بقيادة عمر باشا وشريف مكة عبد الله ••• وقد واصلت زحفها عن طريق بلاد غامد وزهران فاستعدت لها مقاتلة غامد وزهران وبني شهر المشتركة في حصار أبها ••••• وواصلت الحملة السير حتى التقت بهم في بلاد خثعم وشهران وبالقرن، وعاد الشريف من بداية بلاد رجال الحجر، أما عمر باشا فقد واصل سيره فاصطدم بقوة رجال الحجر الذين تركوا أماكنهم في حصار أبها وأسرعوا لملاقاة خصمهم فهزموه فاعتصم ببلدة النماص •••••

وصلت أخبار هزيمة عمر باشا إلى حيدر باشا فشعر بالموقف الحرج ••••

توسط الأمير سعيد بن عائض في الصلح بين الطرفين ، ونجحت مهمته وتم الصلح في بلدة آل يزيد الشعف ، وفكت القبائل حصارها لأبها في مطلع عام ١٣٠١ •

قدر حيدر باشا هذه الوساطة وكتب إلى الباب العالي بذلك فصدر فرمان بتعيين الأمير سعيد قائمقام على بلاد غامد وزهران وبيشة فسكن الظفير ، وبقي في عمله هذا حتى عام ١٣١٥هـ • ثم

اعتزل العمل وسكن مكة المكرمة في شعب عامر حيث وافته منيته في أواخر عام ١٣١٦ هـ . وعين بعده ابن أخيه الأمير عائض بن محمد وبقي في منصبه حتى ثورة أخيه علي بن محمد .

وفي الوقت نفسه فقد عين الأمير عبد الرحمن معاوناً لمتصرف عسير حيدر باشا وبقي في مركزه حتى جاء أجله ١٣٠٥ هـ .

أما الأمير علي بن محمد فقد نزل إلى الحرملة ولم يرض عما حدث من صلح ....

* * *

الأمير علي بن محمد بن عائض

١٣١٨ - ١٣٢٤ هـ

رفض الأمير علي بن محمد الصلح الذي تمّ بين الاتراك وآل عائض ونزل إلى حرملة مغاضباً ، وفي عام ١٣١٨ هـ قام بثورة ضد الاتراك ، وحاصر مدينة أبها .... وجاءت نجدة تركية إلى حامية أبها مما حدا بالأمير عائض بن محمد أن يترك عمله كقائمقام بلاد غامد وزهران وبيشة وأن يسير بقوة من هذه القبائل لمساعدة أخيه المحاصر لمدينة أبها ... وعندما تجدد القتال هزم الأمير علي ابن محمد والقبائل الموالية له .

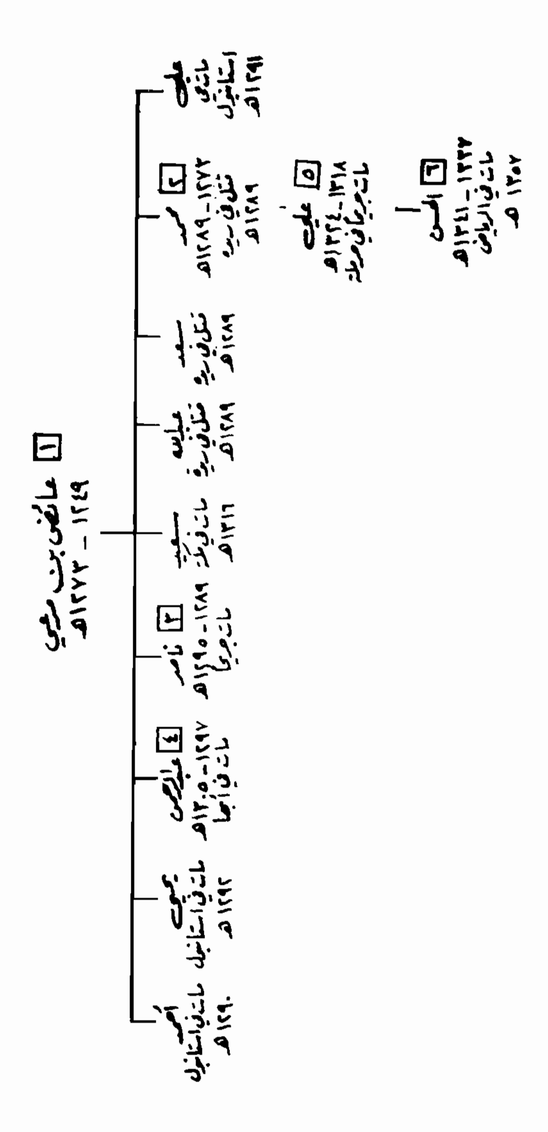
ثم قام الأمير علي بن محمد بعد مدة بثورة أخرى مستفيداً من سوء الاوضاع الداخلية في عسير والخارجية أيضاً، ففي الداخل لم يكن للولاة الذين تولوا أمر عسير من القوة ما يضبط أمر المنطقة ويجعل الطمأنينة تخيم على ربوعها فانقطاع حبل الأمن والظلم وكثرة الضرائب كلها تساعد على قيام الثورة ..... إضافة إلى الفقر وعدم إمكانية العمل في المزارع ..... أما بالنسبة إلى الأوضاع الخارجية فقد كانت الدولة العثمانية تلفظ أنفاسها الأخيرة، وجمعية الاتحاد والترقي تحاول السيطرة على الوضع، وقد انضم إليها معظم رجالات الدولة ..... فاستانبول في شغل شاغل

بما يجري فيها •••• ثم هناك ثورة أخرى في اليمن على مقربة من عسير بقيادة الإمام يحيى حميد الدين وكان هناك اتصال بين الإمام يحيى حميد الدين والأمير علي بن محمد للعمل معاً من أجل اخراج الترك •

وفي عام ١٣٢١ هـ تمردت قبيلة بني شعبة على الأمير فوجه لها حملة بقيادة عبد الله بن سعيد بن عمشة فأجبرها على الطاعة •

بدأ الأمير علي الاتصال بزعماء القبائل عام ١٣٢٢ هـ للاستعداد للقيام بانتفاضة ضد الترك ••• وعندما قام بحركته طوّق مدينة أبها واستمر في حصارها شهرين كاملين ويئس الأتراك من الخلاص وكادت المدينة تسقط بيد أهلها إلا أن قوة جاءت من اليمن بقيادة تحسين باشا •••••• الذي تقدم نحو أبها ••••• فانقسم أهل عسير حينئذٍ إلى قسمين : قسم أسرع لملاقاة تحسين باشا في جهات محايل وكان هذا الفريق بإمرة عبد الله بن محمد بن عائض والتقى الجمعان في تهلل وكان النصر حليف تحسين باشا الذي تابع زحفه •••••• أما الفريق الآخر فقد بقي محاصراً لمدينة أبها واستطاع أفراد منه دخولها بإمرة عايض بن محمد بن عايض وعبدالله بن عبد الرحمن وعايض بن الرحمن بن عايض ، وعايض ابن علي بن محمد بن عايض ، وعايض بن ناصر وأحمد بن لاحق ابن أحمد أبو سراح الزيداني وعلي بن مشيبة وغيرهم ، وقد وزعوا رجالهم في بعض الأحياء الأخرى بعد أن تمركزوا في حي البديع والمناظر •••••• ولكن ذلك لم يفدهم شيئاً إذ لم يلبث

أن وصلهم خبر هزيمة إخوانهم في تهلل ، وتقدم تحسين باشا نحو المدينة ••••• وهذا ما أضعف من معنوياتهم على حين قويت معنويات خصومهم ••••وهزم أهل عسير مرةأخرى على مشارف مدينة أبها •••• وقطع الأتراك خط الرجعة على الداخلين إلى المدينة فألقي القبض عليهم •••• فأرسلوا تحت حماية مفرزة يقودها (علي عبشان) إلى محايل ، ومنها إلى الشقيق حيث ابحر بهم الى ميناء الحديدة ومنها نقلوا إلى صنعاء حيث كانت تحت إمرة أحمد فيضي باشا (متصرف عسير سابقاً) وصل الأسرى في منتصف عام ١٣٢٤ هـ إلى صنعاء فأكرم واليها مثواهم مدة ثمانية أشهر ، ثم استصدر لهم عفواً من الباب العالي واقترح تعيينهم في مناصب حكومية ، وبالفعل فقد أعيدوا إلى أبها ، وعين الأمير عبدالله بن محمد بن عائض معاوناً لمتصرف عسير حقي باشا كما عين الأمير محمد بن عبد الرحمن محافظاً لمدينة أبها ••••• أما الأمير علي بن محمد بن عائض زعيم الحركة فكان قد جرح في حصار أبها ، ونقل إثر ذلك إلى بلدة الحرملة حيث قضى نحبه هناك ودفن فيها عام ١٣٢٤ هـ •



الأدارســـة

حلّ بمدينة صبيا عام ١٢٤٦ هـ رجل من متصوفة المغرب اسمه « أحمد بن ادريس » يرفع نسبه إلى الإمام ادريس بن عبد الله المحض من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب ، وهو مـــن أهل فاس ، ولد في احدى قراها (ميسور) عام ١١٧٢هـ (١٧٥٨م)، وجاور بمكة نحو ٣٠ عاماً [(١)] • وذهب إلى تهامة اليمن ، وطاب له المقام بمدينة صبيا فحلّ فيها ، وبـــدأ يدعو فيها إلى الطريقـــه الادريسية ، وكثر اتباعه ••• وكانت صبيا يومذاك تتبع عسير التي يحكمها علي بن مجثل وقد سمح له بالإقامة فيها رغم التباين بين الطرفين فعلي بـــن مجثل يعمل للـــدعوة السلفيـــة ويتبناهـــا والادريسي رجل صوفي ••• كما أنه قـــد خصص لـــه مقرراً شهرياً من واردات جيزان [(٢)] ••••

اعترض بعض الطلبة على الادريسي ، ورفع الأمر إلى الأمير علي بن مجثل ••• فكتب الأمير إلى عامله على صبياوكان يومذاك

---

(١) شبه الجزيرةفي عهد الملك عبدالعزيز ، خيرالدين الزركلي الجزء الثاني ص ٥٢٩ الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ بيروت .

(٢) تاريخ عسير في الماضي والحاضر هاشم بن سعيد النعمي ص ١٨٢ .

محمد بن علي بن خالد الحازمي مستفسراً عما ينسب إلى الادريسي من دعوى الكرامات و .. فأجابه بالسلب وعندما مر علي بن مجثل بمدينة صبيا في طريقه لحصار أبي عريش عقد مجلساً للمناظرة بين يديه ضم الادريسي وخصومه وكبار أنصاره .....

لم تطل حياة الادريسي فقد توفي عام ١٢٥٣ هـ في صبيا ، وخلفه ابنه محمد واستفاد من مركز أبيه فاستمال إليه بعض رجالات القبائل .... وتزوج محمد بامرأة من السودان فولدت له ولداً سماه علياً ... فلما شب علي تزوج بامرأة هندية فأنجبت له عام ١٢٩٣ هـ ولداً سماه محمداً ، وهو الذي لعب دوراً كبيراً في المنطقة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري .

رحل محمد بن علي الادريسي من صبيا الى مكة مجاوراً وعمره لم يتجاوز العشرين ،ثم انتقل إلى القاهرة ودرس في الأزهر مدة ست سنوات ١٣١٤ — ١٣٢٠ هـ ، ثم سافر إلى واحة الكفرة في ليبيا مركز الدعوة السنوسية ، وانتقل منها إلى السودان إلى بلدة « ارجو » من قرى دنقلة وتزوج من هناك .... ثم سافر إلى مسقط رأسه صبيا فوجد له مركزاً تركه له جده وجد أبيه، وجد البلاد في حالة من الفوضى فاستغل ذلك لمصلحته ...

كان محمد بن علي الادريسي داهية ذكياً عالماً جمع بين الحديث والتفسير ...

بدأ يعظ الناس في المجتمعات ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فأحبه الناس الذين هم بأشد الحاجة إلى مثل هذا وإلى من

يأخذ بأيديهم نحو الحق في وقت تعم فيه الفوضى ، ويضيع الحق إن لم تدعمه قوة ، هذا بالنسبة إلى العمل الشعبي ، أما بالنسبة إلى العمل الرسمي فقد أظهر للدولة العثمانية وممثليها قوته ورضاه، وكانت فكرة الدعوة إلى الجامعة الاسلامية قائمة فغذاها فعينته الدولة قائمقام على صبيا وأبي عريش .

قويت شوكة الادريسي في تهامة ، وأراد ان يسد نفوذه خارجها ، ولما كان يعطي نفسه أبهة ويريد ان يجعل حوله هالة بحيث يأتيه الكبار ويجتمع عنده الوجهاء ، فقد تفاوض مع الدولة التركية فأرسلت له وفداً إلى صبيا ، وفي الوقت نفسه طلبت الحكومة من متصرف عسير سليمان شفيق الكمالي الذهاب إلى الادريسي ، فنفذ المتصرف ، واستقبله الادريسي بحشود كبيرة تزيد على ٤٠٠٠ مسلح ليزيد من قوته في نظر الضيف ....

كانت القوة الموجودة في أبها لا تزيد عن ٢٠٠٠ رجل ، مما جعل القبائل تستخف بهذه القوة ، وتغير عليها كلما سنحت لها الفرص أو وجدت حاجة من قبل الوالي وتريد أن تتخلص منها .. وقد طلب المتصرف سليمان شفيق الكمالي قوة من استانبول ... وبالفعل فقد وصلت قوة إلى القنفذة قوامها ٣٠٠٠ رجل بينما كان طلب المتصرف أن تكون في جيزان لإخافة الإدريسي، ووضعه بين نارين إن هو فكر في الثورة ، أو أراد التطاول على الدولة .

استطاع الادريسي أن يقنع الأتراك أنه لا فائدة من الحملة التي نزلت في القنفذة،وذلك حتى يبقى شأن متصرف عسير ضعيفاً

وبالفعل فقد انسحبت الحملة من القنفذة وعادت إلى تركيا ...
وعندما جاءه متصرف عسير ذكر للاهالي في المنطقة أن المتصرف قد جاء إليه لمبايعته ، ولكنه هو رفض ، بحجة أنه لا يريد شيئاً من الرئاسة أو الوجاهة ، وفي الحقيقة كان يسعى حثيثاً وراء ذلك بل لا يطلب غيرها ....

اتفق مع المتصرف أن تحل مشكلات الخلاف بين القبائل في صبيا عند الادريسي على أن يرأس الاجتماع مندوب من قبل متصرف عسير ، وهذا التساهل من قبل المتصرف ما هو إلا محاولة لتثبيت دعائم الأمن في المنطقة ، إلا أن الإدريسي لم يتقيد بهذا فكان يحاول حل الخلاف دون اعلام السلطات بما جرى .

اقترح متصرف عسير أن تكون الشقيق ثغر أبها بدلاً من القنفذة البعيدة عنها إضافة إلى طول طريقها والتوائه ، ولكن هذا لا يناسب الإدريسي لأن الحملاتَ في هذه الحالة تمر من منطقة نفوذه لذا فقد رفض الإدريسي هذا الاقتراح وطلب الغاءه بحجة أن رجال القبائل لا يقبلون نزول الجند في الشقيق ، ونحن الآن بحاجة إلى إرضاء السكان والقبائل وعدم إثارتها ..... وهذا كله في سبيل تقوية مركزه ، ورغبته في الاستقلال ،وإضعاف شأن متصرف عسير حيث يريد أن يوسع نفوذه .

بدأ الادريسي يتصل بالطليان بواسطة ابن عمه في القاهرة ويشتري الأسلحة من هذه الجهة ويزود بها الجند ، وبخاصةٍ وأن ايطالية في ارتيرية على الطرف الثاني من البحر الأحمر .

قلب ظهر المجن للدولة التركية عندما قوي أمره ، وأعلن عن قيام حكومة خاصة به عام ١٣٢٦ هـ ، وبايعه أهل صبيا ماعدا أحمد شريف الخواجي الناقم عليه ، واتجهت وفود القبائل نحو مركزه تعلن الطاعة .

لقيت دعوة الإدريسي آذاناً صاغية في عسير أيضاً بسبب دعواه في إعادة النظام وحفظ الأمن وتطبيق الشرع ، وقد ظهر قوياً فعلاً والناس قد ملّوا الفوضى التي كانت تنتشر في المنطقة إضافة إلى خوف السكان من الشريف حسين بن علي شريف مكة الذي يطمع في توسعة نفوذه ومده إلى عسير ، وأعلن لرجال القبائل أيضاً أنه يريد إخراج الترك من المنطقة فوافق هذا هواهم وما في نفوسهم ، وبخاصةٍ أن بعضهم ظن أنه إذا خرج الأتراك من المنطقة ونمادى الإدريسي في غيه ، فبإمكانهم إخراجه بسرعة ما دام غريباً ضعيفاً لاعصبية له ولا سند .

جاءت إلى الادريسي وفود القبائل من عسير كلها : رجال ألمع جميعهم ، ورجال الحجر كلهم ، وقبائل عسير (بنو مغيد — علكم — بنو مالك — ربيعةورفيدة) ،قبائل قنا والبحر،آل موسى، آلريش ، بارق ، الدريب ، حلي بن يعقوب ، غامد وزهران ؛ بيشة ، شهران ، نجران ، قحطان ، وكان ابن دليم مديراً لناحية في قحطان وعمل مع الحكومة مدةمن الزمن ثم ساند بقبائل قحطان جميعها الادريسي وتولّى قيادتها في حصار أبها .

حاول متصرف عسير أن يقف في وجه الادريسي إذ بث الدعاية ضده وأرسل حملة عسكرية للهجوم على صبيا إلا أنها فشلت ، وأشيع أن المتصرف نزل لتسليم الأمر إلى الادريسي ، ولم يقف الأمر عند فشل الحملة ، بل هجمت عليها رجال القبائل الموالية للادريسي ، ولم ينقذها من التهلكة إلا ادعاء قائدها بأنه في طريقه إلى ميناء جيزان ولا فكرة عنده للقتال أو الاعتداء .

ولما عجز متصرف عسير كتب إلى استانبول يوضح خطر الإدريسي وسوء عاقبة صلته بإيطالية ، فاستدعت استانبول الادريسي للتحقيق معه بشأن أحمد شريف الخواجي الذي اختلف معه فرفض الحضور لذلك طلبت من عزت باشا قائد قواتها في اليمن ومن معاونه عصمت اينونو تجهيز حملة بحرية للقبض على الادريسي وارساله إلى تركية .....

انطلقت الحملة التركية ونزلت في مرفأ جيزان بقيادة محمد راغب وكان تعدادها يزيد على أربعة آلاف جندي ولما بدأ القتال هزم الاتراك هزيمة منكرة بسبب قلة المياه وتركوا في ميدان المعركة أكثر من ثلاثمائة قتيل ..... وكان لايطالية دور عملي من جهة البحر .... وانسحب الاتراك من ميناء جيزان الى جزيرة فرسان ، ودخل الإدريسي جيزان واستولى على كل مافيها من ذخيرة وبقي الأتراك في جزيرة فرسان ثم ساروا بعدثلاثةأشهر

إلى القنفذة تحت ضغط ايطالية أيضاً ، ولاحقتهم إلى القنفذة أيضاً لمساعدة جيش الادريسي الذي كان يحاصرها براً ....ورغم تدمير السفن التركية الراسية في ميناء القنفذة إلا أن الحامية لم تستسلم وبقيت محاصرة براً وبحراً .

وترامت الأخبار بعزل متصرف عسير كاظم باشا واستبداله بسليمان شفيق(١) باشا الكمالي فقام آل عائض بوداع كاظم واستقبال المتصرف الجديد من ميناء الشقيق في أواخر عام ١٣٢٦هـ وبعد وداع كاظم عاد الجميع يحفون بالمتصرف الجديد ...... وفي آخر عام ١٣٢٨ هـ بدأ المتصرف الجديد سليمان بن باشا يتبرم من آل عائض الذين لمسوا فيه سوء نية ، ذلك ان الأدريسي قد أدرك أن الوفاق بين آل عائض والمتصرف التركي ليس من مصلحته في شيء بل يرى في ذلك خطراً عليه يهدده ويقضي على مخططاته فرغب في ابعاد آل عائض ، وجنح إلى استعمال الحيلة وإيجاد مايفرق بين الطرفين وقد تمكن من ذلك فارتاب آل عائض في أمر المتصرف وفكروا في التخلص منه لذلك عقدوا اجتماعاً سرياً في بلدة حرملة لدراسة الموقف وتبادل وجهات النظر في الثورة ضد سليمان باشا .... كما أنهم أخذوا في الحسبان موقف الادريسي

---

(١) سليمان شفيق الكمالي : متصرف عسير وقائد حاميتها ١٣٢٦ – ١٣٣١ هـ وانتقل بعدها الى سوريا ، ثم أصبح والي البصرة وقائد الفيلق العثماني فيها عام ١٣٣٢ هـ ، واخيراً تسلم وزارة الحربية .

الذي يرقب أحداث عسير . وموقف شريف مكة الحسين بن علي الذي يهتم بأمور عسير أيضاً ، لذلك قرروا التلويح بالثورة ضد الترك ليجسوا نبضه ويعرفوا حقيقته .. وتم ذلك ففي الوقت الذي نصحهم الشريف حسين بالتريث والانتظار لأن الوقت غير مناسب كان الادريسي قد شجعهم وحثهم ووعدهم بالمساندة والمساعدة ووضع كل امكاناته تحت تصرفهم وحرضهم طالباً السرعة ...

بدأ التنسيق بين آل عائض والادريسي للثورة .... وشعر سليمان باشا ببوادر الحركة فأعد العدة لها واحاط الباب العالي بالخبر لإرسال ما يحتاجه من أقوات وعتاد ..... وبدأت المناوشات .... وقرر سليمان باشا الدفاع والاستماتة .

تقدمت رجال القبائل نحو أبها وألقت الحصار عليها وأمر الادريسي قائد قواته في تهامة السيد مصطفى النعمي بالتوجه إلى أبها ومساعدة عسير في انقاذ المدينة من الاتراك ، فنفذ النعمي الأمر وسار على رأس قواته إلى أبها بينما بعث فرقة منهم لمساعدة رجال الحجر الذين يحاصرون الحامية التركية في شعار .....وقد تمكن رجال الحجر ومن جاءهم من تهامة من دخول شعار والقضاء على الأتراك الذين كانوا فيها ثم توجهوا إلى أبها لمعاونة إخوانهم في حصارها الذي استمر من شهر ذي القعدة عام ١٣٢٨ إلى شهر رجب عام ١٣٢٩ هـ ، وكانت أيام قاسية على الحامية التركية من شدة الجوع والخوف والنقص في العدد وكاد الأمر يتم

للمهاجمين ، وأوشك الاستسلام أن يقع لولا خبر تقدم شريف مكة الحسين بن علي بالنجدة .....

أدرك سليمان باشا لعبة الادريسي عندما بلغه نبأ اشتراكه مع آل عائض في الثورة ضد الترك . كما أن اشتراكه هذا لم يكن حباً في آل عائض وإنما مرحلة لتنفيذ مخططاته إذ استغل ظروف الحرب ضد الترك مع آل عائض في محاصرة أبها واتصال أعوانه بالقبائل واتصال دعاته بالاعيان فكانوا يبثون آراءه بكل أمن وحرية مما جعل آل عائض يدركون نواياه ويبتعدون عنه ويسرع الأمير محمد بن عبد الرحمن لمقابلة الشريف حسين في القنفذة والسير معه إلى أبها .... وكذا الأمير حسن بن علي الذي كان على رأس المحاصرين لأبها أصبح على رأس المساعدين لمن فيها .

لما علمت الدولة التركية بوضع حاميتها السيء في أبها كلفت أمير مكة الشريف حسين بن علي للعمل على انقاذها ، وطلبت من قائد حاميتها في القنفذة نشأت بك أن ينضم وجنده إلى حملة الشريف عندما تصل إليه ، وأمدته بالذخيرة والجند .

ولم يكن أمير مكة على وفاق مع الدولة التركية ولكنه يريد أن يقوم بالدعاية لنفسه في عسير تمهيداً لما يمكّنه من أمر يزمع عمله في المستقبل ، كما أنه يريد أن يثبت وجوده في المنطقة التي تتلاطم فيها الأحداث كأمواج البحر ، وامتداد نفوذ الزعماء بين مد وجزر ، ومن جهة ثانية يريد أن يخفي بعمله هذا على الدولة مايشيع من اتصالات تتم بينه وبين الحلفاء .

سار الحسين بن علي على رأس جيش كبير نحو تهامة وعندما وصل إلى القنفذة انضم إليه نشأت باشا بمن معه من الجند .... كما وصل إليه الأمير محمد بن عبد الرحمن ـ كما ذكرنا ـ والتقى الجيش الزاحف بجيش الإدريسي في الجنوب الشرقي من القنفذة .... فاندحرت قوات الادريسي .... ثم أعقبتها معركة حامية لم تختلف عن سابقتها .... ثم خرج الشريف حسين بجيشه إلى سراة بني شهر عبر عقبة « ساقين » ومن هناك اتجه إلى بلاد بالأسمر وبالأحمر فعقبة شعار حيث التقى شماليها بجيش الإدريسي وعسير فهزمه ، ووالى زحفه نحو أبها ...

ونستطيع هنا أن نتوقف قليلاً لنلاحظ نقطتين اثنتين أولاهما أن الهزائم التي توالت على القوات المناهضة للترك قد أضعفت معنوياتهم على حين قويت معنويات جيش الشريف خاصة وأن الاسطول التركي كان في البحر الأحمر يضرب موانىء الادريسي ... لذا فقد انسحب الجيش المحاصر لمدينة أبها إلى مراكزه ، وثانيتهما : أن رجال القبائل الذين كانوا يظنون أن الادريسي ضعيف وأنهم يستطيعون إخراجه فيما إذا خرج الترك قد غيّروا رأيهم عندما رؤوا دهاءه ، وعلموا أطماعه، وعرفوا صلته بالطليان و .... لذا ماكادت تصل طلائع الشريف إلى بلادهم حتى تركوا جيش الادريسي وانضموا إلى الشريف وعلى رأسهم الأمير حسن بن علي آل عائض . أما رجال ألمع وقبائل تهامة فقد بقوا على ولائهم للادريسي .

وصل الشريف حسين الى أبها وكان معه من أولاده عبد الله وزيد كما كان يرافقه أولاد عبد العزيز بن سعود بن فيصل تركي وأولاد محمد بن سعود وكانوا مغاضبين لابن عمهم عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل وكذا رافقهم الهزازنة امراء الحريق .

بقي الشريف حسين بن علي شهراً كاملاً في أبها في ضيافة آل عائض هو ومن معه استقبل فيه وفود القبائل وبذل لها المال بسخاء وعاد إلى الحجاز عن طريق بلاد شهران ـ بيشة ـ الطائف ..... ولكنه لم يخرج من أبها إلا والأمير حسن بن علي آل عائض معاوناً لمتصرف عسير سليمان شفيق الكمالي ، والأمير محمد بن عبد الرحمن محافظاً لمدينة أبها ، كما عين بقية آل عائض برتب فخرية ووافقت الدولة على ذلك .

ضعف الادريسي وعاد لمتصرف عسير مركزه وبدأ يغير على المناطق التي يسيطر عليها الادريسي ، ولكن الأمر لم يطل إذ لم تلبث ايطالية أن أعلنت الحرب ضد تركية ونزلت في بلاد ليبيا وأخذ اسطولها الحربي يقصف الموانىء التركية ومنها المنتشرة على شواطىء البحر الأحمر ، فنشط الادريسي وجرد حملات عسكرية ضد القبائل الخارجة على طاعته،وبخاصة في تهامة ، وعاد الأمر إليه في شمالي عسير والقنفذة وهذا ما أقض مضاجع شريف مكة لذا أسرع فأرسل ابنه فيصلاً على رأس حملة إلى تلك الجهات فالتقى مع قوات الادريسي قريباً من القنفذة ورغم مساندة الطليان للادريسي وقصفهم جيش الحجاز من الاسطول في البحر إلا أن

النصر كان بجانب الحجازيين ، وهمّ فيصل بدخول عسير عن طريق بلاد رجال ألمع إلا أن رسالة جاءته من أبيه تدعوه للعودة للعمل ضد الأتراك في الحجاز . وكان مما زاد قوة الادريسي أن ايطالية بعد أن اتفقت مع تركية التي انسحبت من ليبيا قد طلبت دعم الادريسي وأصبح الخلاف بين شريف مكة والادريسي خلافاً شخصياً على التوسع وزيادة النفوذ ، وكل منهما يعمل ضد الترك .

هدأ الوضع في عسير فقد أصبح متصرف عسير يعاونه الأمير حسن بن علي آل عائض وهو من قادة البلاد كما أن تصرّف سليمان باشا كان واعياً إذ عهد بالتموين إلى المتعهد محمد سعيد باحيدرة وهو رجل من حضرموت ، له صلة بالسكان ، وهو ثقة عندهم ، وقدم له المساعدات إذ كانت عليه ديون نتيجة توليه هذا العمل في السابق وعدم توفيقه للأحداث التي مرت على البلاد ، لذا بدأت الأوضاع تتحسن وتسير في طريقها الطبيعي .

نقل سليمان باشا من عمله في عسير وجاء محله علي حيدر بك الذي لم تطل مدة ولايته إذ أحيل على التقاعد .... وجاء محي الدين باشا[1] واندلعت نار الحرب العالمية الأولى ، ووقفت تركيا بجانب ألمانيا ضد الحلفاء .... ووقف الادريسي بجانب الحلفاء ضد الاتراك ، ومن جهة ثانية فقد لاحظ بدء زيادة نفوذ

(1) صبح فيما بعد سفيراً لتركيا في مصر .

انكلترا وقوة مركزها في البحر الأحمر فعقد معها معاهدة صداقة عام ١٣٣٤ هـ حيث اعترفت له بالسيطرة التامة على تهامة من اللحية جنوباً وحتى القنفذة شمالاً ، وكان للعثمانيين جنوبي إمارته بعض المراكز ومنها اللحية فساعدته على احتلالها ، وجددت المعاهدة عام ١٣٣٦ هـ وتعهدت انكلترا بحمايته كما تعهد بعدم اجراء أي اتصال سواء أكان سياسياً أم تجارياً دون علمها ، وكذلك ضم الحديدة إليه بعد الحرب .

وجد الادريسي نفسه بين نارين ، إمام صنعاء الذي يريد ضم تهامة إليه ويعتبرها جزءاً من اليمن ، وشريف مكة الذي يعتبر تهامة من أرض الحجاز إضافة إلى آل عائض الذين يفكرون بالثورة ضد الاتراك ولابد من الصدام في المستقبل وتشرئب أعناقهم إلى تهامة أيضاً من قمم السراة ويعتبرونها تتبع عسيراً . أمام كل هذا كاتب أمير نجد عبد العزيز آل سعود ، وبقي مرهوب الجانب حتى توفي عام ١٣٤١ هـ ، وتولى الأمر بعده ابنه علي .

استولى إمام اليمن يحيى حميد الدين على القسم الجنوبي من تهامة ، إذ أخذ الحديدة وضم إليه المنطقة الساحلية حتى بلدة ميدي .

ثار سكان تهامة على علي الادريسي وبايعوا عمه الحسن . فلجأ علي إلى آل سعود في نجد وأقام في الرياض .

أعطى حسن الادريسي انكلترا حق التنقيب عن النفط في

جزر فرسان ، كما فاوض السعوديين وإمام اليمن والايطاليين ، ولكن سفارته إلى آل سعود هي التي نجحت إذ أبرم ابن عمه ميرغني معاهدة في مكة بينه وبين الملك عبد العزيز آل سعود عام ١٣٤٥ هـ وضعت بعدها تهامة ضمن المملكة العربية السعودية .

* * *

نهاية الأتراك

قوي التعاون بين تركية وأهل عسير أثناء الحرب العالمية الأولى وكان الاتفاق قائماً بين محي الدين باشا متصرف عسير والأمير حسن بن علي آل عائض ، وكان المتصرف رجل حنكة وخبرة ودهاء وسياسة وقد أقام القلاع في منطقته وفتح الطرق ، وقد عانى أهل عسير أيام الحرب ماعانوا من مصائب وصعوبات بسبب عزلة بلادهم ، وانحصار أرضهم بين مناطق ثائرة على الدولة سواء أكانت من ناحية الغرب حيث ثورة الادريسي على الاتراك وهو يتعاون مع الانكليز أم من ناحية الشمال حيث أعلن الشريف حسين بن علي الثورة على الاتراك أيضاً بعد عامين من بدء الحرب وبعد أن ساعد أهل عسير ضد الادريسي أم من ناحية الجنوب حيث أئمة صنعاء على خلاف مع الاتراك وكذا في الشرق حيث تمتد أملاك آل سعود .

انتهت الحرب العالمية الأولى ، وهزم الاتراك ، واضطروا للانسحاب من منطقة عسير والبلاد التي تخضع لهم ، ووصلت الأوامر السلطانية في شهر ربيع عام ١٣٣٧ هـ عن طريق الانكليز والادريسي تطلب من المتصرف مغادرة عسير وتسليم أمرها وذخيرتها إلى آل عائض .

نزل محي الدين باشا وهبط من السراة إلى الشقيق على الساحل ومعه أفراد الجالية التركية من موظفين إداريين والقوة النظامية التركية وعددهم لا يتجاوز ثلاثة آلاف جندي ، وقد نقلتهم إلى تركية بواخر انكليزية حسب الاتفاقية التي تمت بين الاتراك والانكليز ..... وهكذا انتهت آخر سيطرة للاتراك في بلاد العرب .

* * *

الاستقلال

قبل رحيل محي الدين باشا آخر متصرفية الأتراك في عسير جمع آل عائض ومعهم أهل الحل والعقد وأخبرهم بوصول الأوامر إليه بالانسحاب من عسير وتسليم الأمر إليهم مع مخلفات الدولة جميعها من معدات ومنشآت ، من ضمنها ثمانون قلعة متفرقة في البلاد ، وتسلم منهم وثيقة موقعة من الأمير حسن بن علي ومحمد ابن عبد الرحمن ومحمد بن ناصر وعائض بن علي وناصر بن عبد الرحمن وعائض بن عبد الله بن محمد آل عائض وغيرهم... كما بقي في عسير عدد من الحامية التركية رغبوا في البقاء .... ثم قال لهم : أريد قبل الذهاب أن أنصح لكم فإن بلادكم واقعة بين عدة نيران وكل يريد التهامها فالادريسي في الغرب وهو صاحب نفوذ وصلة معروفة،وأكبر أمله أن يضم إليه عسير....وفي الشمال الشريف ورغبته في عسير لا تقل عن رغبة الادريسي ، وفي الشرق آل سعود وأملهم في التوسع كبير ... وفي الجنوب إمام اليمن .... وأقدم لكم بعض الحلول لتأخذوا بأحسنها عندكم حتى تستطيعوا البقاء وتضمنوا لبلادكم القوة والاستقلال .

١ً — أن تتفقوا مع الانكليز .... فإنهم أصحاب النفوذ الحالي والسيطرة الحقيقية وتمتد أيديهم إلى الكثير من المناطق فصلتهم مع الادريسي معروفة ، وعلاقتهم مع الشريف لاتخفى على

أحد ، كما اتفقوا مع الوهابي (عبد العزيز آل سعود) وقدموا له ١٥٠ ألف بندقية أم تاج و ...... وليس كلامي هذا محبة لهؤلاء الانكليز الملاعين ، فهم أعدائي وسبب القضاء على دولتي و .... ولكن اتكلم الواقع ..... وهذا ما أريده لكم .[1]

رفض آل عائض هذا الرأي وأبدوا أنهم لا يمكن أن يتعاونوا مع أجنبي مهما كان ....

قال : فإن رفضتم فإليكم رأياً آخر .

٢ – الاتفاق مع الملك عبد العزيز آل سعود ، فإن ملكه سيمتد ونفوذه سيتسع وقوته كثيرة ومعنوية الشعب عنده كبيرة، وله محبة عندهم ورهبة وإن أخوف ما أخافه عليكم هو .....

تداول آل عائض الرأي ، ووجدوا أن بلاد نجد بعيدة عنهم ولايزال القتال قائماً بين الملك عبد العزيز آل سعود وآل الرشيد في الشمال ، والخلاف واقع بينه وبين الشريف حسين . ولابد من صدام في المستقبل بينه وبين إمام صنعاء ،فماهي الضرورة للارتباط معه والعداوة لإمام اليمن وشريف مكة و .... ؟

ولذا فلم يوافقوا على ذلك ، وأبدوا رفضهم أيضاً للرأي الثاني .

فأجاب محي الدين باشا إذن لكم الرأي الثالث .... والأخير ... ولا سواه .... وهو .

(١) كلام تركي .

٣ – الاستقلال : وهو إذا حصنتم بلادكم واستفدتم من المعدات الموجودة عندكم وفي قلاعكم فلن يستطيع أحد اقتحام أرضكم بشرط أن ترابطوا فيها ولاتخرجوا لغيرها ...فإن طلبات الانحياز ستصل إليكم من مختلف الأطراف التي ذكرناها والتي هي في خلاف دائم مع بعضها بعضاً ...

وبعد هذا تداول آل عائض الأمر ... ارتؤوا أن هذا الحل هو المقبول عندهم ولا غيره وتم الاتفاق والدعوة بالتيسير والنجاح .... وانتهى الاجتماع .

وهذا ماتم في السراة بين محي الدين باشا الذي سيرحل عنها وبين آل عائض الحكام الجدد ، أما في تهامة فقد خشي الإدريسي كثيراً و « لعب الفار بعبه » كما يقولون . خاف الادريسي أن يتسلم آل عائض عتاد الحامية التركية في عسير وعندها يقوى أمرهم ويستطيعون الذود عن حياض عسير التي يرغب الادريسي في ضمها إلى ملكه وهي من أولى أمانيه بل ويستطيعون عندها العودة إلى صبيا وتهامة وهي التي كانت ضمن حدود إمارتهم .. فرأى أن يكتب إلى الطرفين بشكل سري يوقع ما بينهما ويستفيد بالحصول على العتاد .....

كتب إلى محي الدين باشا بأن آل عائض يريدون الوقيعة به وبمن معه من الاتراك عندما يرحلون عن بلادهم وليس معهم شيء من السلاح ..... وأن الأمير حسن بن علي آل عائض سيكون بعيداً عن أبها يوم سفره ولن يكون في وداعه .... لذا

عليه أن يأخذ الحذر والحيطة ويسير بكامل السلاح مع القـوة التركية •••• وليكن في الطريق حذراً حتى يصل إلـى درب بني شعبة وعندها سيكون في مأمنة وبحمايته هو (الادريسي) بـل على استعداد لارسال قوة تحميه من رجال القبائل التي يمكن أن تهاجمه ••••• وأن هذا وصل إليه من جهات موثوق بها تماماً •

وكتب إلى الأمير حسن أنه قد بلغه من جهة ثقـة أن محي الدين باشا يريد أن تسير معه مودعاً وكبار أهلك وأنه سيقبض عليكم وسيحملكم معه أسرى إلى تركيا •••• لذا فأرى أن تبتعد عن أبها يوم الرحيل على الأقل •••• وإن طلبك فإياك والحضور •

وقع أثر رسالتي الإدريسي في نفسي اللذين تلقياهما بشيء من الحذر فقد بقي الأمير حسن بعيداً عن أبها في بلدة حرملـة إلا أنه قد أمدّ الحامية بالجمال لتنتقل عليها وكتب إلى كبير الجمالة يوصيه الجند ويقول له : هؤلاء أمانة لدينا ماداموا في حـدود بلادنا حتى يتسلمهم الادريسي وبخاصة المتصرف الباشا وأعوانه• وكذلك فمحي الدين قد أخذ معه ما أمكنه من سلاح حذراً وحيطة وتأهباً لكل حادث •

وصل محي الدين باشا إلى درب بني شعبة فاتجه إلى كبير الجمالة وقال له : لماذا لم يهاجمنا حسن في ضلع ؟ إنـه جبان ! فأجابه قائلاً : لم يكن في نية حسن فكرة الهجوم ، وقـد أوصانا خيراً وبخاصةٍ بالنسبة لكم وهذا كتابه لي ، وأعطاه إياه فقرأه

وعلم أنه خُدع •••• أما الادريسي فقد استقبلهم في درب بني شعبة بجيش قوامه ستة آلاف مسلح وأخـذ السـلاح منهم ، واعتبرهم أسارى حرب ، وساقهم مباشرة في طريقهم إلى شـقيق حيث تنتظرهم البواخر الانكليزية •• •وبهذا حصل الادريسي على كمية من السلاح وإن لم يكن السلاح الثقيل من ضمنها •

واستمرت الكتب تتوالى على الأمير حسن من الادريسي •

شكل الأمير حسن حكومة محلية ، وأقام نواة جيش صغير كان يضم عدداً من الضباط الترك الذين تخلفوا فى عسير ، وقبض على زمام الأمر بشكل جيد ، ولكن كان ينقصه شيء كثير كان بحاجة إلى المال فالبلاد تدخل عهداً جديداً وتخرج من فترة فوضى فهي بحاجة إلى مشروعات كثيرة ، وإعادة ماخرب أثناءعهد الحروب والزمن المرير الذي مرت فيه ، وبحاجة إلى الرجال الأكفاء الذين يديرون الشؤون ويتعهدون الأمور ، وإن وجدت فئة قليلة منهـم تمرست أثناء الحكم التركي بما أوكل إليها من وظائف ولكنهـا لاتكفي ، وبحاجة إلى الجند الكثير الذي يحمي البلاد من أطماع الطامعين وما أكثرهم وهم على مقربة ، وبحاجة إلى النشاط الزراعي بعد أن ملّه الناس بسبب مامر عليهم من خوف وما وجدوه من انعدام أمن ، والآن وقد حصرت البلاد وانقطعت مع الخارج علاقاتهـا ، وتوقفت المساعدات من الدولة التركية ، وذهب ماكان يصرفـه الموظفون والاداريون •••• وأصبحت تعتمد على الانتاج المحلي بالدرجة الأولى لأن الاستيراد بحاجه إلى مال، والمال مفقود •••

نظر رجال هذه الدولة الناشئة إلى وضعهم الذي هم فيه ورؤوا التعاون مع الجوار الذين هم على صلة بالخارج بشكل أوسع ، والذين تمرسوا على ادارة البلاد، إلا أنهم اختلفوا حول الجهة التي يتعاونون معها •••• فقد رأت مجموعة التعاون مع الادريسي ومنهم القاضي عبد الله بن مرعي وعبد العزيز المتحمي وابن حامد وابن معدي وابن دليم وابن مشيط وقد استطاعت هذه المجموعة كسب الأمير حسن بن علي نفسه ••••

ورأت مجموعة أخرى التعاون مع الشريف حسين ومنهم الأمير محمد بن عبد الرحمن آل عائض والشريف الحسني وشيوخ بني شهر وغيرهم ••••

وكانت أموال تتدفق من الإدريسي إلى رجالات عسير كما أن أعداداً يفدون عليه وينالون من أعطياته ويرون من كرمه •••

واتفق أهل الرأي في البلاد أن يذهب وفدان من البلاد كل وفد إلى جهة من الجهتين التي يتجه نحوها نظر بعض الأفراد ••• وتكون اتصالات واجتماعات وعندما يعود الوفدان يُنظر بما رجع المخبرون •••

سافر الأمير محمد بن عبد الرحمن وأخوه ناصر إلى مكة •••واستدعيا لمرافقتهما راشد بن جمعان بن ربوس ومحمد بن عبد العزيز شيخي قبيلتي زهران وغامد والتقوا بشريف مكة ••

وكان الحديث عن ارسال قوة كبيرة من عسير والحجاز لضرب ابن سعود تكون بعدها الهزيمة وتسليم البلاد له أو النصر

والتخلص منه •

وكان الشريف حسين يرى أن الحرب بينه وبين ابن سعود بعيدة الاحتمال ، وأن ما يحدث بين الطرفين إلا مناوشات بسيطة تحدث دائماً بين الجوار ، كما يقول : إن جيش ابن سعود معظمه من عربان الحجاز ويكفي اغراؤهم بالمال لتركه والابتعاد عنه • وإنه لن يستطيع طرق أبواب الحرمين والحجاز لأن ذلك فوق طاقته بكثير وبخاصة أنه مع خصمه العنيد ابن الرشيد في ميدان الصراع • ثم إذا لزم الأمر جنّدنا له كل قوانا سواء أكانت مادية أم معنوية وعندها تعرف النتيجة ولمن تكون العاقبة •

وذكّر الأمير محمد الشريف حسين أن حسم الداء في مبدئه ووأده في مهده أسلم وأبعد للخطر وإن أخشى ما أخشاه أن يتغذى بنا اليوم ، ويتناول بكم العشاء غداً — وهذا ماتمّ —

وقد أسهم الشريف حسين بارسال حملة مع أهل عسير إلى نجد بقيادة حمدي بك [1] وعبد الله الفعر وأمدهم بالمال ، كما فتح ميناء القنفذة إلى عسير ، وبقي يراقب الأحداث •

وسافر الأمير حسن بن علي ومعه رؤساء عسير وشهران وقحطان إلى المخلاف السليماني ومكث يومين في الدرب ومثلها

---

(١) حمدي بك : أحد الضباط الترك الذين بقوا في عسير ، ولم يعرف اهل البلاد لقبه وانما اشتهر باسم حمدي بك .

في صبيا ، وثلاثة أيام في جيزان، ويظهر أن هذا الانتقال كان يحمل طيه هدفاً سياسياً يريد أن يستجلي فيه رأي القبائل والقوةالحقيقية التي يسلكها الادريسي •••• وقد حدث لهـذا الوفد أن التقـى بالادريسي وتمت اتفاقية بين الطرفين ••• بحيث تـوحّد القوتان اللتان في عسير وتهامة وتعملان معاً ضد الشريف في مكـة وإمـام اليمن في صنعاء ••••• وأن يكون الادريسي في صبيا المسؤول الأول ونائبه الأمير حسن في أبها وله الحق في مرتب شهري فـدره خمسة آلاف ريال ••••• ولكن الادريسي بما عرف من سياسة وذكاء قداستطاع أن يتصل بكل عضو مـن أعضاء الوفـد ••• ويعطيه مبلغاً من المال شهرياً يجعله مرتبطاً بـه وبخاصـة ابن دليم شيخ مشايخ قحطان •••••

وعاد الوفد إلى أبها ينتظر عودة الوفد الـذي سافر الـى مكة ••••• وبعد مدة وصل الأمير محمد بن عبد الرحمن ويحمل في جعبته اتفاقاً مع الشريف ينص على ارتباط عسير اسمياً بمكـة مع موافقة الأمير حسن •

اجتمع أهل الرأي للتنسيق بـين الاتفاقين وتوصلوا إلـى رأي موحد وهو الاستقلال فإنه الحل الأمثل والطريق الصحيحـة للخلاص من التنافس على عسير ••••

جاء طلب الادريسي إلى عسير يقتضي بتحقيق اتفاقية صبيـا وارسال السلاح اللازم من مخلفات الاتراك الثقيلة لحرب الإمـام

يحيى حميـد الـدين •••• ورأى الأمـير حسن أن الاعتـذار عن ارسال السلاح يكفي وحده لنقض اتفاقية صبيا والتخلص مـن سيادة الإدريسي المزعومة لعسير فاعتذر عن ارسال السلاح بحجة وجود قبائل مناوئة ويقتضي الأمر اخضاعها واستعمال السـلاح ضدها • وأرسل الأمير حسن إلى الادريسي وفداً برئاسة ابـن عمه الأمير ناصر بن عبد الرحمن آل عائض •••• وقابل الإدريسي نقض اتفاقية صبيا من قبل الأمير حسن برد فعل قوي إذ اعتقـل الوفد الذي عنده برئاسـة الأمير ناصر ، وأغلـق ميناء جيزان في وجه التجارة العسيرية،وأمر مصادرة كل مايأتي منوإلى عسير عن طريق رجال ألمع في حين يسمح للموالين له من أهل عسير بالتجارة وعدم التعرض لهـم بسوء •••• أو بالأحرى أعلن فرض حصار اقتصادي على عسير •

أمام هذا التصرف الادريسي كان لابـد من التوجـه نحو الشريف حسين وميناء القنفذة الـذي يعتبر حجازياً •••• وشعر الادريسي بمغبة الأمر وسوء تصرفه الذي أعقبه دعاية لخصمـه شريف مكة •••• ورأى أن عليه القيام بعمل عسكري لينهي كل وضع في غير صالحه ••••

بـدأ الادريسي بالاتصال بمشايـخ عسير ممـن يثق بهم • ويوضح لهم أنه عازم على دخول أبها بعـد أن أخـل آل عائض بوعودهم ومواثيقهم ، ويطلب منهم مناصرته في دخول أبها •••• وأرسل جيشين الأول عن طريق رجال ألمع والثاني عن طريق بلاد

قحطان ••• وكان قداتصل بإمام اليمن وطلب منه السلاح والرجال لمحاربة عسير الذين يعملون لحرب الطرفين (الادريسي ـ إمام اليمن) ، إلا أن إمام اليمن قد رفض اعطاءه السلاح ولكن أمده بعشرة آلاف جندي •••• وكان الإمام يتتبع حوادث القتال بشكل دائم •

أما الأمير حسن فقد اتصل بالشريف حسين بمكة وأعلمه حقيقة الوضع وطلب منه النجدة ••• وأعلن النفير بين القبائل الموالية له ، وطلب من ابن دليم ترك الادريسي والانضمام إليه فأبى ••• إلا أن بعض أمراء عبيدة وقحطان قد رفضوا دعوة الادريسي وبقوا على ولائهم لآل عائض وكذا ابن سليم وابن فردان •

تقدم الجيش الادريسي الأول في بلاد رجال ألمع فتعرض له شيخ محايل سليمان بن الخالد وأثناء هجومه على حامية الادريسي قتل اثنين من رجال ألمع مما أثار العصبية ، فوقف رجال ألمع جميعهم مع الادريسي وهرب شيخ محايل والتجأ إلى الحجاز في حين دخل رجال الادريسي محايل •••• وسار الجيش وتمركز في باحة ربيعة ورفيدة حسب نصيحة عبد العزيز بن عامر المتحمي ولم يجد مقاومة أثناء تقدمه هذا •••• وبينما كان الأمير حسن يستعد لملاقاة هذا الجيش ، إذ يصله خبر تقدم جيش الادريسي الثاني في بلاد سنحان ووصوله إلى المنطقة المسماة بالبطحاء وكان قائد عسير المكلف بمواجهة جيش الادريسي على هذه الجبهة هو

محمد بن عبد الرحمن فهزمت عسير في بداية الأمر وعندما وصلت إليها نجدة بناء على طلب أميرها الذي ضرب خصمه ضربة لاذ على أثرها بالفرار وهرب الجنود اليمنيون بسلاحهم إلى بلادهم ••••• وقد أرسل الأمير محمد حملة من قبيلة سنحان تتعقب جيش الادريسي المنهزم وتجرده من سلاحه •

وكذلك هزم جيش الادريسي الاول بعد أن وصل إلى قوات الأمير حسن نجدات وبخاصة وصول الجيش الذي انتصر في البطحاء ضد قوات الادريسي ••••• وهكذا علت راية آل عائض فوق ربوع عسير وخرجوا منتصرين في معركة كانت أكبر من طاقتهم وأقوى من قوتهم حيث كانت جموعهم متفرقة وقبائلهم منشتتة ، وقلوب مشايخها موزعة ، والأموال تغدق على الأفراد والكبار •••••

وكانت أثناء تلك المعارك وفود في أبها لاستمالة آل عائض •• وفود من جهات ثلاث من السعوديين والادارسة والهاشميين وربما كان الهاشميون أقرب الوفود إلى النفوس ولكن دون عهد أو مواثيق •••••

استقل ابن دليم وابن مشيط في بلاد شهران وقحطان وكانت الدعوة السلفية قد انتشرت في بلديهما وكانا من جنودها هما أيضاً ••••

أما الادريسي فقد رأى أنه هزم عسكرياً ، وفشل سياسياً

وفده أيضاً في أبها فرأى أن يسلك طريقاً أخرى هي طريق السياسة مع الخداع وبخاصة بعد أن طلب آل عائض الاستعداد للهجوم عليه ..

نظر الإدريسي إلى فشل الوفد السعودي سياسياً في أبها فهو شريكه من هذا الجانب وأن المؤثر عليه إنما هو الجانب الديني فكتب إلى الملك عبد العزيز آل سعود .... يوضح له خطر آل عائض وضرورة الاتفاق ضدهم .... وادعى أنهم ينتهكون حرمات الدين وأن الأمير حسن قد عقد على الاختين ..... (الواقع أن الأخت الأولى كانت قد ماتت ..... فعقد على أختها) .

كتب ابن سعود كتاباً إلى آل عائض وأرسله مع ابن مشيط يذكرهم فيه بالروابط السابقة بين أسرتهم وأسلافه السعوديين ..

أجاب الأمير حسن أنه لاخلاف بين السعوديين وآل عائض أبداً وأن هذا سيبدو جلياً بعد الانتصار على الشريف والادريسي وإمام صنعاء فإنهم سبب مايحدث في المنطقة وما يتمّ بين القبائل من حقد وضغائن ...

جاءت رسالة ثانية من الملك عبد العزيز إلى الأمير حسن وفيها نوع من التهديد وإن كانت من النوع السياسي بحيث تفسر على أنها طلب الطاعة كما تفسر على أنها نوع من التقريع والتهديد.

وكان جواب الأمير حسن مشطاً من الرصاص أرسله إليه دلالة على الحرب .

فأرسل الملك عبد العز جيشاً بقيادةعبد العزيز بنمساعدتمركز

في بيشة مدة شهرين يتصل خلالها بالقبائل ومعه ابن دليم شيخ قحطان وابن مشيط شيخ شهران ... وسارت سرية من بني شهر لمباغتة جيش ابن مساعد وكان عددها ٤٠٠ مقاتل إلا أنها فنيت بكاملها في موقع يقال له « العين » إذ فاجأها بدلاً من أن تباغته إذ أدركها النوم بعد أن أعياها التعب وإذا بالجند يذبحون فيها .

وتقدم ابن مساعد إلى بلاد شهران الشرقية فمكث في القاع مدة من الزمن ثم سار فتمركز في بلدة خميس مشيط .

وجد آل عائض أن موقفهم في حرج وبلادهم في خطر إذ بينما يتقدم إليهم جيش ابن مساعد من ناحية الشرق ويريدون ملاقاته إلا أنهم يخافون أن يوجهوا كامل قوتهم إليه فيتقدم الادريسي من الغرب وهم يعلمون أطماع الأخير في عسير ويعرفون الاتصال والمراسلة بين الطرفين لذا فقد وجهوا قسماً من قوتهم رابطت في الجهة الغربية خوفاً من أي حادث يقع فيجعلهم في حيرة من أمرهم .... وقد خبروا هذا من تاريخهم ، وتعلموا درساً من ماضيهم ..... ووجهوا القسم الثاني من القوة إلى الجيش المهاجم وكان قائدهم الأمير محمد بن عبد الرحمن آل عائض وكان عليهم أن يرابطوا في حصونهم المنيعة ويتحصنوا في قلاعهم الحصينة التي طالما حمتهم وقت الشدة ومنعتهم من خصومهم زمن المصائب والنكبات .... إلا أنه على ما يظهر صعب عليهم رميهم بالجبن ولم يهزموا بعد أمام آل سعود .... والله هو المدبر ، وهو يحكم ما يريد .

خرج الأمير محمد بقوته من أبها واتجه نحو الشرق لملاقاة ابن مساعد والتقى الطرفان عند حجلة •••• ودخل الجيش السعودي بمعظمه عسير عن طريق بلاد بني مالك فوصلوا إلى أبها ولم تصدهم قذائف مدفعية قلعة ذرا بقيادة عايض بن عبد الرحمن ولايزال محمد بن عبد الرحمن آل عائض في حجلة ووصل الخبر إليه أن أبها قد اجتيحت •••• فدبت الفوضى والذعر وهام الناس على وجوههم •••• وتبعهم من بقي من الجيش السعودي في حجلة في وجههم فأصيب من أصيب وقتل من قتل ونجا من نجا وكان محمد قد جرح وفر الأمير عبد الله بن عبدالرحمن وسار إلى القوات المرابطة في جهة الغرب ••• حيث أسعف أما الأمير عبدالعزيز بن مساعد فقد تقدم نحو أبها ودخلها دون مقاومة ، وكان الأمير حسن بن علي آل عائض في بلدة السقا واستمر القتال بينه وبين الجيش السعودي مايقرب من عشرين يوماً ••••• ورغم ما حدث من استسلام بعض الجند والقبائل إلا أن الأمير ظل مع ٨٠٠ من رجاله معتصماً في حصنه •

بدأت المراسلات السليمة بين الأميرين ابن عائض وابن مساعد انتهت بنزول الأول إلى أبها واستسلامه وعندها اعلن ابن مساعد العفو العام ، واستقبل وفود القبائل ، وأرسل وفداً إلى الادريسي لتحديد الحدود بينه وبين عسير •••

عاد ابن مساعد إلى الرياض ومعه الأمير حسن وابن عمه محمد وبقيت أبها تحت اشراف عبد الله بن أحمد بن مفرح •

جرى اتفاق في الرياض بين الملك عبد العزيز وآل عائض على أن تكون عسير مرتبطة إسمياً بنجد ، على أن تكون المساعدة والتجنيد وقت الضرورة وحين يطلبها ابن سعود ••••• ولم يكن الملك عبد العزيز يطمع آنذاك في ضم عسير لوجود ابن رشيد في حائل والشريف في مكة يناوئانه ••••• ولهذا كانت معاملته إلى آل عائض معاملة طيبة ••••

عاد الأمير حسن بن علي آل عائض إلى أبها ومعه ابن عمه الأمير محمد بن عبد الرحمن على ما اتفقوا عليه مع الملك عبد العزيز آل سعود ••

كانت السلطة في أبها بيد آل عائض ، والسعوديون الموجودون في أبها ومنهم الأمير شويش يقدمون الاحترام للأمير حسن •••• وبقي الأمر كذلك ما يقرب من ثمانية أشهر حتى شعبان ١٣٣٩ هـ حيث نقل الأمير شويش وجاء الأمير عبد الله بن سويلم من الرياض ولم يطل الوضع إذ اختلف ابن سويلم مع الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ لسياسة القسوة التي اتبعها ابن سويلم مما جعل الشيخ يغادر أبها فعزل ابن سويلم واستبدل بالأمير فهد بن عبد الكريم العقيلي •• وتغيرت معاملة الأمير السعودي للأمير حسن فواجههم آل عائض بالأمر فما تغير الوضع • فاتجه الأمير حسن إلى حصن حرملة ولم تلبث مدة حتى شعر الأمير فهد بالقبائل تحيط بمدينة أبها وتحاصرها وكان على رأس الحركة الأمير محمد بن عبد الرحمن آل عائض وسعيد البطاط ،

ونزل الأمير حسن من حصنه في حرملة لقيادة الحركة واستمر الحصار عشرة أيام ثم تمّ الصلح على أن تغادر الحامية السعودية أبها وتنتقل إلى بلاد شهران وأن يتعهد الأمير حسن بعدم مسّ أحد من أفرادها بأذى ضمن حدود عسير وألا تعتدي هي من جهتها على أحد من الرعايا التابعة لأمارة عسير •

غادرت الحامية أبها وانتقلت إلى بلاد شهران وعندما وصلت إلى خميس مشيط استقبلها شيخ شهران سعيد بن مشيط ورؤساء قبائل بيشة وشيخ قحطان ابن دليم •••• ورفع الأمر إلى الملك عبد العزيز يطلبون منه النجدة •

علم الأمير حسن ببقاء الحامية في خميس مشيط فاعتبر أنها لاتزال ضمن حدود إمارته فتتبعها على رأس جيش من عسير واشتبك الطرفان في معركة حامية وكانت النتيجة وقوع الحامية في يد الأمير حسن واستسلام سعيد بن مشيط وفرار رؤساء بيشة فعفا عنهم الأمير حسن وعاد إلى أبها •••• أما الحملة التي جاءت من نجد مدداً فقد لاذت بالفرار ، مماجعل الملك عبد العزيز يتأثر كثيراً ويعاقب أفرادها ••••• ثم سارع بارسال جيش كثيف على رأسه ابنه فيصل فوصل إلى بيشة •.• وتقدم نحو بلاد شهران•• وسارع أهل عسير بإمرة محمد بن عبد الرحمن الذي رابط في حجلة وأرسل قوة لمساندة حامية بيشة • وكانت قوات عسير قد وزعت في جهات عدة وبخاصة في الغرب خوفاً من كل طارىء يحدث أو من حركة يقوم بها الادريسي •

تقدم الأمير فيصل بن عبد العزيز والتقى في جنوب غربي بيشة بقوة من بني شهر وغيرهم وجههم الأمير حسن فبدد الأمير فيصل شملهم في موقع العين وتابع زحفه حتى إذ وصل إلى خميس مشيط التقى بالقوة التي تريد بيشة فانتصر عليها وسار نحو الغرب فالتقى في حجلة بقوة عسير •

خافت إحدى القبائل على أوطانها ففضلت مغادرة حجلة والدفاع عن مواطنها من القوة السعودية التي ارسلت من تلك الجهات وبعد أن جرت معركة مريرة في حجلة استمرت يومين قتل فيها الأمير سعيد بن عبد الرحمن رأى الأمير محمد أن ينسحب بقية المرابطين إلى مواطنهم •• وعاد هو إلى أبها بدون رجال ومنها سار إلى الحجاز يطلب النجدة كما سار الأمير فيصل الى أبها ودخلها عام ١٣٤٠ هـ من غير قتال •

اعتصم الأمير حسن بحصن حرملة •••• وجرت مراسلات بينه وبين الأمير فيصل إلا أنها لم تصل إلى نتيجة فتقدمت سرية سعودية نحو حرملة واستطاعت دخولها بعد عدة معارك إلا أن الأمير حسن قد نجا بنفسه وأهله واتجه نحو الغرب ••••

علم الإدريسي بخبر الأمير حسن فطلب من عامله على رجال ألمع مصطفى النعمي أن يتعقب الأمير حسن ويقبض عليه ويرسله اليه إلى صبيا أو يسلمه إلى الأمير فيصل •••• إلا أن ابن عائض استطاع الإفلات من مصطفى النعمي ، والانضمام إلى جيش

الشريف حسين الذي كان قد وصل من مكة وعلى رأسه الشريف راجح والأمير محمد بن عبد الرحمن الذي سار إلى الحجاز ــ كما ذكرنا ــ بعد دخول الأمير فيصل أبها •

أما الأمير فيصل فبعد دخوله أبها نصب عليها الأمير سعد بن عفيصان وعاد إلى الرياض •

تمركز الجيش الحجازي في بارق واتجه نحو السراة عن طريق عقبة « ساقين » حيث تمركز في باحة تنومة ، فأرسل ابن عفيصان سرية بقيادة ابنه سليمان فالتقى بالجيش الحجازي الزاحف نحو أبها في بلاد بالأسمر في موقع « مسفرة » فانهزم الجيش السعودي وقتل قائده سليمان بن سعد بن عفيصان وعشق ابن شفلوت وأسر محمد بن دليم وبعض أمراء قحطان ومحمد بن سعيد بن مشيط •••••••• وتقدم الجيش الحجازي نحو أبها وعلى مقدمته الأمير حسن وابن عمه محمد بن عبد الرحمن فحاصر الجيش أبها ، واستسلمت المدينة واعتصمت الحامية السعودية في قصر شدامدة عشرين يوماً، وكادت أن تستسلم إلا أن النجدة جاءتها من نجد ، وفي الوقت نفسه طلب الشريف حسين من جيشه الانسحاب من أبها والتوجه نحو الطائف لمعاونة بقية قواته التي تصطدم هناك بالقوات السعودية •••• وانسحب آل عائض إلى حرملة وأطلقوا سراح أسراهم •

توفي سعد بن عفيصان عام ١٣٤١ هـ وتولى إمرة أبها مكانه محمد بن جيفان واستمر في امارته مدة ثلاثة أشهر حيث أبدل

بالأمير عبد العزيز بن ابراهيم الذي استطاع أن يُنزل الأمير حسن من حرملة إلى أبها ، وأن يزوره في قصره في السقا ، وتفاوض معه وانتهى الاتفاق بارسال الأمير حسن إلى الرياض (١) مع كبار أسرته ومنهم : الأمير محمد بن عبد الرحمن وناصر ابن عبد الرحمن وعائض بن عبد الرحمن وعبد الله بن عبد الرحمن وعائض بن عبدالله بن محمد وعائض بن علي بن محمد ومحمد بن ناصر بن عبدالرحمن ومحمد بن علي بن محمد وعايض بن عبدالله بن محمد ومحمد بن عبد العزيز الغامدي شيخ قبائل غامد ومحمد بن مسلط الوصال •

حيث بقي الأمير حسن في الرياض حتى وافاه أجله عام ١٣٥٧ هـ • وباستسلام الأمير حسن أصبحت عسير جزءاً من المملكة العربية السعودية •

وفي عام ١٣٤٤ هـ خرج الملك عبد العزيز لأداء الحج وأخذ معه آل عائض الذين هم في الرياض • وفي مكة خرج عبدالله بن عبد الرحمن آل عائض خفية واتجه نحو عسير عن طريق الطائف ، وقد التقى في طريقه في [ليه] شرقي الطائف بالشريف عبدالله بن حمزة العفر ، فأعطاه سره فوعده الشريف بالكتابة إلى الأمير عبدالله بن الحسين الذي آلت اليه امارة الأردن لمساعدته واشغال السعوديين من الشمال في منطقة العقبة •

(١) وصل إلى الرياض في يوم كان جلالة الملك عبد العزيز يعرس فيه على زوجه ابنة محمد بن طلال بن رشيد وربما كان هذا لسبب في خفة النقمة عليه .

وصل الأمير عبدالله آل عائض إلى رجال ألمع عن طريق بلاد غامد وزهران ، ونزل عند شيخ قبائلهم ابراهيم بن الحسن عبد المتعالي شيخ قبيلة قيس وأعطاه سره ، ومن هناك اتصل أيضاً ببقية مشايخ قبائل رجال الحجر وشهران وقحطان وعسير وغيرها ، وقد وجد عندهم الاستجابة والدعم •

فكر الأمير عبد الله آل عائض في طريق الحصول على السلاح الذي جُرّد من أهل عسير فكاتب الإمام يحيى حميد الدين في صنعاء فوعد بالدعم بعد خروج آل عائض في عسير وظهور قوتهم حتى لا يقف أمام السعوديين وحده ضعيفاً فيما إذا كانت قوة آل عائض هزيلة ، إلا أن الأمير عبدالله آل عائض يريد الذخيرة والسلاح قبل الخروج ليخرج بشكل قوي وهذا مالم يتم له مما أوقعه في الحيرة وجعله يفكر في العودة من حيث أتى منتحلاً للملك عبد العزيز الأعذار لذهابه إلى عسير حيث يريد تفقد المسنين ومن لا معيل لهم •

وإذا كان غياب الأمير عبدالله بن عبد الرحمن قد بقي سراً في المملكة إلا أنه ليس بسرٍ خارجها ، فقد تكلمت بعض الصحف العربية وبخاصة المصرية منها عن غياب عبدالله وكانت تتوقع بدء حركته في كل يوم •

أما الملك عبد العزيز فقد هدد آل عائض الذين هم في قبضته إذا ما حدث شيء في عسير ومن ناحية ثانية فقد أرسل إلى عسير من يناشد الأمير عبدالله في حقن دماء المسلمين •

فكر الأمير عبدالله في طريق العودة بعد أن وجد سلبية إمام صنعاء . واتجه عن طريق تهامة ، وسار معه عشرون رجلاً من رجال ألمع إلى القنفذة ، ونزل عند الشيخ محمد عبده شيخ قبائل البِرْك ، وبواسطته انتقل إلى محمد بن زعير أمير القنفذة من قبل الملك عبد العزيز . وأعلمه الشيخ محمد عبده أن الأمير عبدالله لم يدّخر في خلده شيء مما يدّعيه كثير من الناس ، وإنما جاء إلى عسير لتأمين بعض أهله ممن لا يقدرون على شيء لعجزهم بسبب شيخوختهم وكثير منهم نساء •

إلا أن ابن زعير وجد في هذا فرصة مناسبة لإظهار الولاء للملك عبد العزيز فاحتجزه ، وادعى أنه ألقى القبض عليه••••• ونُقل عبد الله بواسطة جماعة تحت الحراسة المشددة بامرة تركي المرزوق إلى مكة المكرمة •

أبقى الأمير فيصل بن عبد العزيز نائب الملك في الحجاز ابن عائض ومرافقه الخاص جماح بن علي الغامدي بمكة حتى يأتي أمر والده الملك عبد العزيز بشأنهما ثم جاء الجواب بارسالهما إلى الرياض وقد تم ذلك في مطلع شهر ربيع الآخرة ١٣٤٥ هـ • وبعد هذا انتهت كل محاولة لآل عائض في عسير •

موجز تاريخ عسير

أيام الرسول صلى الله عليه وسلم

الصرد بن عبدالله الازدي ١٠ — ١١ هـ

الخلفاء الراشدون عبدالله بن ثور ١١ — ٣٤ هـ

الأمويــون ضمن ولاية مكة المكرمة .

العباســيون تتبع ولاية مكة المكرمة .

خروج علي بن محمد بن عبد الرحمن ١٦٩ هـ

الطولونيــون ٢٥٤ — ٢٩٣ هـ

العباسيون ٢٩٣ — ٣٣٠ هـ

الاخشيديون ٣٣٠ — ٣٦٢ هـ

الفاطميــون ٣٦٢ — ٤٦٣ هـ

السلاجقة ٤٦٣ — ٥٦٧ هـ

الايوبيــون ٥٦٧ — ٦٢٩ هـ

بنو رسول وبنو طاهر ٦٢٨ — ٦٥٠ هـ

المماليك(أحياناً بنو طاهر باسم المماليك) ٦٥٠ — ٩٢٣ هـ

العثمانيــون ولاة عثمانيــون ٩٢٣ — ١٠٣٨هـ

أمراء محليون ١٠٣٨ — ١٢١٥هـ

السعوديــون محمدبن عامر أبو نقطة المتحمي ١٢١٥ — ١٢١٨هـ

عبد الوهاب بن عامر أبو نقطة المتحمي ١٢١٨ — ١٢٢٤هـ

طامي بن شعيب المتحمي ١٢٢٥ — ١٢٣١ هـ

محمد بن أحمد المتحمي ١٢٣١ — ١٢٣٣هـ

الشريف حمود حاكم أبي عريش عدة أشهر

المصريــون محمد علي باشا والي مصر ١٢٣٣ — ١٢٣٩هـ

الاستقــلال سعيد بن مسلط ١٢٣٩ — ١٢٤٢هـ

علي بن مجثل ١٢٤٢ — ١٢٤٩هـ

عايض بن مرعي ١٢٤٩ — ١٢٧٣هـ

محمد بن عايض ١٢٧٣ — ١٢٨٨هـ

العثمانيــون ١٢٨٨ — ١٣٣٧هـ

الاستقــلال حسن بن علي بن محمد بن عايض ١٣٣٧ — ١٣٤١هـ

أصبحت عسير جزءاً من المملكة العربية السعودية ١٣٤١ هـ

الخاتمة

وأخيراً فإن هذه البقعة الخيرّة من الأرض إذا ما وجهت إليها الأنظار ، ومدّت فيها المواصلات ، وأقيمت فيها المشروعات ، وأعدت فيها وسائل الراحة كانت مركز خير وسعادة لأهلها ، ولمن يأتيها بسبب ما وهبها الله من مناخ عذب ، وما منحها من مناظر أخّاذة ، وما أعطى أهلها من صفات طيبة وما هداهم إليه من عقيدة سمحة ، فهم للضيوف أهل ، يجيدون استقبال الزوّار ، ويحرصون على خدمتهم وتأمين راحتهم ، وهذا مالاحظناه في عاداتهم الاجتماعية .

وبهذه الصفات فلن تكون بلادهم كالمصايف الأخرى مجالاً
وبهذه الصفات فلن تكون بلادهم كالمصايف الأخرى مجالاً
للكثير من الأعمال التي تأبى أخلاقنا أن تكون ...

وعندما تصبح عسير مصايف الجزيرة فإن المنطقة ستسعد ، وسنحفظ على أبنائنا أخلاقهم ، ويحفظون أموالهم لأنفسهم .... وهذا ما نرجو ..... بل هذا ما ننتظره في المستقبل وننظر إليه في الخيال .... والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المراجع

١ ـ البداية والنهاية — ابن كثير

٢ ـ الدول الاسلامية — ستانلي لين بول

٣ ـ الدولة السعودية الثانية — عبد الفتاح ابو علية

٤ ـ الكشوف الجغرافية ـ حقيقتها دوافعها — محمود شاكر

٥ ـ امكانية التنمية الزراعية — حسن حمزة جمرة

٦ ـ الوجيز في سيره الملك عبد العزيز — خيرالدين الزركلي

٧ ـ تاريخ عسير — هاشم بن سعيد النعمي

٨ ـ تاريخ المخلاف السليماني — محمد بن احمد عيسى العقيلي

٩ ـ تاريخ نجد — محمود شكري الألوسي

١٠ ـ تاريخ البلاد العربية السعودية — منير العجلاني

١١ ـ جزيرة العرب في القرن العشرين — حافظ وهبه

١٢ ـ جغرافية شبه جزيرة العرب — محمود طه ابو العلا

١٣ ـ خمسون عاما في جزيرة العرب — حافظ وهبه

١٤ ـ ديوان ابن مشرف — ابن مشرف

١٥ ـ رحلات في عسير — يحيى ابراهيم الالمعي

١٦ ـ شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز — خيرالدين الزركلي

١٧ ـ صفة الجزيرة العربية — الهمداني

١٨ ـ غزوات الجراكسة والاتراك في جنوب الجزيرة (البرق اليماني في الفتح العثماني) — (قطب الدين محمد بن احمد النهروالي المكي)

١٩ ـ في بلاد عسير — فؤاد حمزة
٢٠ ـ في ربوع عسير — محمد عمر رفيع
٢١ ـ في سراة غامد وزهران — حمد الجاسر
٢٢ ـ قلب جزيرة العرب — فؤاد حمزة
٢٣ ـ لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب — تحقيق احمد مصطفى ابو حاكمة
٢٤ ـ مجلة العرب التي تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر — باشراف حمد الجاسر
٢٥ ـ مذكرات سليمان شفيق الكمالي — سليمان شفيق الكمالي
٢٦ ـ مذكرات جعفر الحفظي — جعفر الحفظي
٢٧ ـ مسند الامام احمد — الامام أحمد بن حنبل
٢٨ ـ معجم البلدان — ياقوت الحموي
٢٩ ـ مقاطعة جازان ـ المعجم الجغرافي — محمد بن احمد العقيلي
٣٠ ـ ملحمة عيد الرياض — بولس سلامه
٣١ ـ نجد وملحقاته — امين الريحاني
٣٢ ـ نفحات من شعر عسير — من قصائد أسلاف آل الحفظي

فهرس المصورات

فهرس الموضوعات

* * *